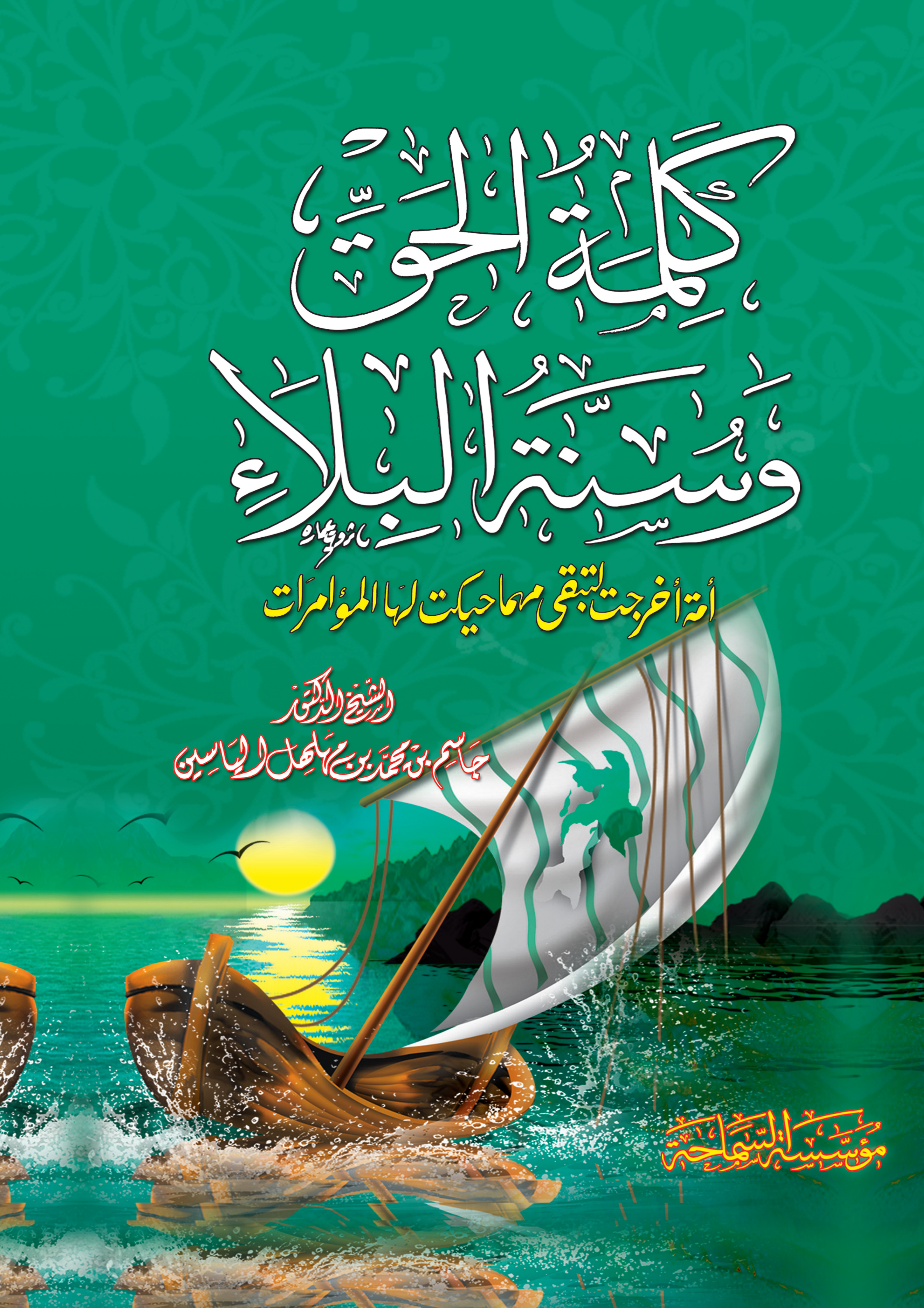
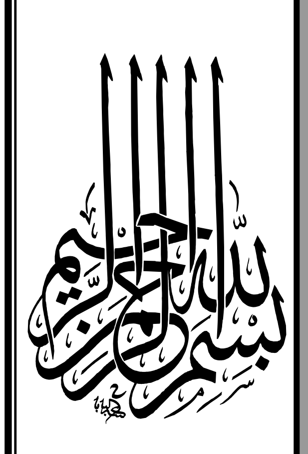

كلمة الحق
وسنة البلاء
أمة أخرجت لتبقى مهما حيكت لها المؤامرات
الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين
مؤسسة السماحة

كلمة الحق وسنة البلاء



الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

بطاقة الكتاب

اسم الكتـــاب : كلمة الحق وسنة البلاء

تأليف : الشيخ د / جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الناشـــر : شركة السماحة للنشر والتوزيع
الكويت

الصف والإخراج : مركز بدور للثقافة والترجمة

عدد الصفحـات : ٣٥٨

مقاس الكتـاب : ١٧× ٢٤

عـدد المـلازم : ٢٢,٢٥

رقـم الإيـداع : ٢١١٨٩ / ٢٠١٢

شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت
ت/٩٩٥٥٧٤٧١
الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦
ص.ب : ٦٦٥٢٠ بيان

كلمة الحق
وسنة البلاء

أمة أخرجت لتبقى..

مهما حيكت لها المؤامرات

الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

تطلب مؤلفات الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

في الكويت من: شركة السماحة - الكويت.

ت/ ٩٩٥٥٧٤٧١

الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦

ص. ب : ٦٦٥٢٠ بيان

في مصر من: مؤسسة شروق للترجمة والنشر

المنصورة / شارع جيهان – أمام مستشفى الطوارئ

ت: ٠١٢٢٥٦٨٢٣١٤

الإِهْدَاءُ نَثْراً

إِلَى وَالِدَتِي مُنِيرَةَ، الَّتِي لَهَا مِن اسْمِهَا نَصِيبٌ، فَقَدْ أَنَارَتْ لِي طَرِيقَ حَيَاتِي، فَعَرَفْتُ رَبِّي، وَسَلَكْتُ مَنْهَجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ .

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي أَرْضَعَتْنِي مَعَانِيَ الْخَيْرِ كُلَّهَا، فَكَانَتْ مَدْرَسَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ يَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَعَلَّمَتْنِي الإِحْسَانَ إِلَى الآخَرِينَ وإِنْ أَسَاؤُوا، وأَرْضَعَتْنِي مَعَانِيَ الصَّبْرِ الَّتِي قَرَأْنَا فِي المجَلَّدَاتِ وَكَتَبْنَاهَا. لَقَدْ عَلَّمَتْنِي مَعْنَى الإِنْفَاقِ مِمَّا كَانَ فِي يَدِهَا لِتُدْخِلَ بِهِ السُّرُورَ عَلَى الآخَرِينَ.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الشَّكْوَى فِي حَيَاتِهَا، وَلَمْ تَئِنّ مَعَ كَثْرَةِ أَمْرَاضِهَا.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِها – رَحِمَهَا اللهُ – بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ، وَإِنِّي لأَذْكُرُ قَوْلَ أَحَدِ الأَصْدِقَاءِ عَنْ أُمِّهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا: لَقَدْ ذَهَبَتْ مَنْ كُنَّا بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ. وَإِنِّي لأَقُولُ: لَئِنْ تَنَعَّمْتُ بِدُعَاءِ أُمِّي فِي حَيَاتِهَا، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ لَهَا دُعَاءً، ازْدَادَتْ نَفْسِي إِحْسَاساً بِالنَّعِيمِ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَنَعَّمُ بِدُعَائِهَا فِي حَيَاتِهَا وَأَتَنَعَّمُ بِالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَفِي الْحَالَتَيْنِ، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بِخَيْرِهَا فِي الْحَيَاةِ وَالمَمَاتِ.

وَلَسْتُ أَعْرِفُ لإِنْسَانٍ فَضْلاً عَلَيَّ – فِيمَا أَنْعَمُ بِهِ مِنْ فَضْلٍ – خَيْراً يُعَادِلُ أَوْ يُقَارِبُ فَضْلَ وَالِدَتِي – رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَى. وَأَسْأَلُ اللهَ – سُبْحَانَهُ – أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا لِي، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي لَهَا.

لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهَا الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ؛ فَقَدْ شَطَبَتْ مِنْ حَيَاتِهَا مَا يُسَمَّى بِالإِيذَاءِ، فَكَانَتْ لاَ تُؤْذِي أَحَداً وَلا شَيْئاً، حَتَّى الأَرْضَ الَّتِي كَانَتْ تَمْشِي عَلَيْهَا، عَلَّمَتْنِي مَعَانِيَ كَثِيرَةً، قَدَّمَتْهَا وَهِيَ تُضَحِّي بِصِحَّتِهَا وَوَقْتِهَا وَسَعَادَتِهَا.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي أعْـرِف مِـنْ مَدْرَسَـتِهَا الْكَثِـيرَ، وَلا يَـسَعُنِي ذِكْـرُهُ فِي هَـذَا الإِهْدَاءِ، وَسَأُفْرِدُ لَهُ رِسَالَةً خَاصَّةً، إِنْ شَاءَ اللهُ.

إِلَى وَالِدَتِي أهْدِي ثَوَابَ هَـذِهِ الرَّسَـائِلِ، لَعَـلِّي أُؤَدّي زَفْـرَةً مِـنْ زَفرَاتِهَـا فِي وِلادَتِي.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى وَالِدِي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى رَفِيقَةَ الـدَّرْبِ أُمّ مُعَـاذٍ، الَّتِـي كَانَـتْ لِي عَوْنـاً فِي صَبْرِهَا عَلَى سَهَرِي وَسَفَرِي.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى أَوْلادِي جَمِيعاً، ذُكُوراً وَإِنَاثاً.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى كُلّ مَنْ أسْهَمَ فِي إِخْرَاجِهَـا، وَجَعَلَهَـا بَـيْنَ يَـدَي النَّاسِ فِي الْمُشْرِقِ وَالْمُغْرِبِ.

وَإِنَّنِي إِذْ أَكْتُبُ هَذَا الإِهْدَاءَ، أَرْجُو مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ هَذَا الْكِتَابُ أَلا يَنْسُونَا جَمِيعاً مِنْ صَالِحِ دُعَائِهِمْ.

الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



الإِهْدَاءُ شعْراً

أمَّــاهُ كُنْــتِ مُنِيــرَةً وَمَنَــارَةً ... عُلْيَا وَصَــرْحاً ثابتَ الأَرْكَـانِ
قَـدْ كُنْتِ مَدْرَسَـةً تُعِدُّ نُفُوسَنَـا ... لِـصَنَائِعِ المَعْــرُوفِ وَالإِحْـسَانِ
قَــدْ كُنْــتِ لِلأَيْتَــامِ أُمًّــا بَــرَّةً ... وَالجَــارِ وَالمِـسْكِينِ أَرْأَفَ حَــانِ
أَرْضَعْتِنَا الأَخْلاقَ شَهْدَاً سَلْسَلاً ... تَــدْنُو ثِمَــارُ قُطُوفِهَــا لِلْجَــانِي
عَلَّمْتِنَــا الـصَّبْرَ الجَــمِيلَ خَــلِيقَةً ... وَالقَوْلَ لِلحُسْنَى وَكَفَّ لِسَانِ

* * *

أبَتَــاهُ قَــدْ رَبَّيْتَنِــي وَأَحَــطْتَنِي ... برِعَـايَــةٍ فِــي غِبْطَــةٍ وَأَمَــانِ
وَفَّـرْتَ أَسْبَابَ الـسَّعَادَةِ وَالهَنَـا ... فَجَعَلْتَنِي أَسْمُو عَلَى الأَقْرَانِ
فَجَزَاكَ رَبُّ العَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... وَأُسْــكِنْتَ فِي رَوْحٍ وَفِي رَيْحَــانِ

* * *

نَوَّرْتَ **يَا بَدْرَ** الدُّجَا سُبُلَ العُلا ... بالفَــضْــلِ لا فَــظٍّ وَلا مَنَّــانِ
كَـمْ ذَا تُقَابِـلُ بِالـسُّـرورِ تَـدَلُّلِي ... بمَـحَبَّــةٍ وَبرَأْفَــةٍ وَحَنَــانِ
أَحْبَبْتَنِــي قَـرَّبْتَنِــي رَبَّيْتَنِــي ... بالعِــزِّ فِي ثِقَــةٍ وَفِــي اطْمِئْنَــانِ

* * *

أرَفيقَتِي كُنْتِ الـشُّعَاعَ إِذا دَجَـا ... لَيْـلُ الحَيَـاةِ بمُظْـلِمِ الحِـدْثَانِ
قَـدْ كُنْتِ خَـيْرَ شَرِيكَــةٍ وَمُعِينَـةٍ ... فِي الـبِرِّ عِنْـدَ تَقَـاعُسِ الأَعْـوَانِ
الـصَّبْرُ فِيـكِ مَـعَ الوَفَـاءِ سَـجِيَّةٌ ... بتَعَـاقُبِ الأَفْــرَاحِ وَالأَحْـزَانِ

* * *

يَــا حَبَّــذَا **أَفْــلاذ أَكْبَــادٍ** بِهَــا ... كَــمُلَ المُــرَادُ وَقَــرَّتِ العَيْنَــانِ
فَاحْفَـظْ **مُعَاذاً** وَاحْفَظَنَّ **مُهَلْهِلاً** ... أَمَــدَ الزَّمَــانِ **وَعَابِــدَ الـرَّحْمَنِ**

لا زَالَ **عَبْدُ** اللهِ فِي حِفْظٍ وَلا   زَالُوا جَمِيعاً غُرَّةَ الفِتْيَانِ

وَلْتَحْظَ **عَائِشَةٌ وَفَاطِمَةٌ** بِهَا   قَدْ شَاءَتَا مِنْ بُغْيَةٍ وَأَمَانِ

وَاحْفَظْ **هَيَا وَمُنِيرَةً** يَا رَبَّنَا   مِنْ مُبْطِنِ البَغْضَاءِ وَالشَّنَآنِ

***

يَا رَبِّ لا زَالَ الجَمِيعُ بِنِعْمَةٍ   وَقِهِمْ شُرُورَ الحَاسِدِ المِعْيَانِ

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى **النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ**   وَالآلِ وَالأَصْحَابِ كُلَّ أَوَانِ

الشيخ الدكتور
جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين



المقدمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبي الأمم، سيدنا محمد الأجل الأكرم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الأعظم..

وبعد :

فإن الحقائق في حياة الإنسان متعددة ومختلفة؛ منها ما هو معروف، ومنها ما هو خفي.. قضايا متنوعة ومتعددة، وخواطر تخطر على الفكر والقلب؛ فيُسرع القلم إلى تسجيلها، وينطلق إلى تدوينها بمداده، وتخليدها.

هذه الحقائق هي التي سوف نتناولها ونستعرضها، حيث إنها تشتمل على مواضيع مهمة وفي غاية الاحتياج.

فمنها ما يتناول:

- بشرى معاشر المسلمين من الآيات والذكر الحكيم، وهي البشارة من الله– تعالى– للمسلمين بالفوز والثبات.

- هكذا تحترم إرادة الشعوب واختياراتهم وحرياتهم، نضرب فيه بعض النماذج للشعوب التي تحترم إرادتها.

- الطابور الخامس في قلب الأمة، وهم المرجفون الذين نسلط عليهم الضوء للحذر منهم.

- كلمة الحق وسنة البلاء، وهي حقيقة نجليها للقارئ بأن سنة الله– تعالى– في الحياة أن أهل الحق معرضون للبلاء.

- الفرق بين أحوال الناس في زمن دون زمن.. زمن يكون فيه الود واللعب، ثم يكون هناك اللهو واللعب، ثم القتال والشجار، ثم الود والوصال وهو كحال الأطفال الصغار.

- ثم في حقيقة أخرى نشحذ الهمم نحو القمة، ونطلب من العلماء أن ينصفوا العلم بالتقوى به وأدائه على أحسن وجه.

- ثم لم ننس في حقيقة أخرى أن نذكِّر ببعض الأخطار التي تضرب الأمة والذي قد يغفلون عنه.

- ولم ننس أن ننبه على حقيقة نفسية أن الذكاء قد يكون نقمة لا نعمة، وأنه قد يكون طغيانًا إذا لم يهذب.

ومن الحقائق المهمة التي تناولناها حقيقة أهمية الوطن، وأن النفس من حبها له قد تذهب حسرات على وطني.

وأخيرًا كان لنا حديث عن حضارتنا المهاجرة فمتى وكيف تعود؟ وطرق السعادة ، وأهمية الكتاب وأنه لا يغني كتاب عن كتاب، ولا جماعة عن جماعة.

هذا ونسأل الله- سبحانه وتعالى- أن تكون هذه الحقائق جلية واضحة يستفيد منها القاصي والداني والعالم والجاهل.. إنه السميع المجيب.



ما أحوجنا في هذه الظروف السوداء الحالكة السواد التي تعصف بالأمة الإسلامية اليوم وفي هذه الأحداث الأليمة التي يتفاعل معها المسلم وغيره على حد سواء.. ما أحوجنا إلى كلمات التشجيع وعبارات التثبيت التي تمسح على القلوب المرتجفة والنفوس المضطربة، فتمنحها ثقةً بالله، ويقيناً بنصره، وثباتاً على المبدأ، وتمسكاً بما اختارته وعانقته من قيم ومعتقدات.

وقد كانت للبشارات التي تصنعها عبارات التثبيت والتقوية والتشجيع أخبارٌ في تاريخنا الإسلامي المجيد، تبعث العزة في النفوس والفخار في الأفئدة، وترفع الرؤوس عالياً، وترسل رسالة مبطنة أن وعد الله بالنصر قادم للمستضعفين في فلسطين كما نال المستضعفين من قبل ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾[١].

روى مسلم في صحيحه عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم**» وذكر قصة الغلام مع الساحر حتى قتله، إلى أن قال: «**فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ**»[٢].

ويالله ما أصدق وصف سورة البروج لحال المسلمين المضطهدين في كل

---

(١) القصص: ٥.

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥).

زمان وبالذات اليوم في فلسطين!! واقرأ معي قول الله- عز وجل- إذ يقول: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[١].

وعن خباب بن الأرت قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو الله لَنَا؟ قَالَ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْـمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحدِيدِ مَا دُونَ لحمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَالله لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا الله أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**»[٢].

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت كثيرًا أسمع والدي يقول: رحم الله أبا الهيثم، غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم. فقلت: يا أبت من أبو الهيثم؟ فقال: لما أخرجت للسياط ومددت يداي للعاقبين إذ أنا بشاب يجذب ثوبي من ورائي ويقول لي: تعرفني؟ قلت: لا. قال أنا أبو الهيثم العيار، اللص الطرار، كتوب في ديوان أمير المؤمنين، إني ضُربتُ ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق، وصبرتُ على ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين. قال: فضُربتُ ثمانية عشر سوطا بدل ما ضُرِبُ ثمانية عشر ألفا، وخرج الخادم فقال: عفا عنه أمير المؤمنين[٣].

---

(١) البروج: ٤-١٠.

(٢) رواه البخاري (٣٦١٢)، وأبو داود (٢٦٤٩)، وأحمد (٥/ ١٠٩).

(٣) صفة الصفوة، لابن الجوزي (٢/ ٣٥١)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

فهناك الكثير الكثير مما لو تأملنا فيه وعشنا أجواءه لنفعنا اليوم جدًا، ولكان لنا كالبرد على الأكباد الظمأى.

روى البخاري في صحيحه عن عمير بن هانئ أنه سمع معاوية- رضي الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يَزَال مِنْ أُمَّتِي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**»(١).

وروى مسلم في صحيحه عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الله تَعَالَى زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ**»(٢).

وروى أحمد في مسنده عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ**»(٣).

وروى البخاري في صحيحه عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ. ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟**» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا الله**» قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ «**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**» قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ. وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦).

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٧٧) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري (٣٥٩٥).

وروى الإمام أحمد عن أبي قبيل قال:كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَسُئِلَ: أَيُّ المدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ الله بِصنْدُوقٍ لَهُ حُلَقٌ، قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا. قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسولِ الله ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ المدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا»** يَعْنِي: قُسْطَنْطِينِيَّةَ(١).

ليس هذا فحسب، بل لدينا مزيد، ففي يوم الهجرة حين خرج عليه الصلاة والسلام فارًّا من مكة بدينه وآسفاً أن لم يستجب أهلها لدعوته ووقفوا ضدها وصدوا عنها، فآثر الانتقال بها إلى أرض ذات تربة صالحة لتقوم عليها غراسه، فولى وجهه شطر يثرب وبصحبته أبو بكر- رضي الله عنه- فأدركه سراقة بن مالك- رضي الله عنه- طمعاً في الحصول على المكافأة التي وضعها كفار مكة لمن جاء بمحمد وصاحبه حيين أو ميتين، فأدركهما سراقة، وكان من أمره وتعثر فرسه في الرمال ما كان، وطلب من رسول ﷺ الأمان، فوهبه إياه، وكتب له كتاباً بذلك، ثم رَنَا رسول الله ﷺ ببصره إلى بعيد وكأنه يطالع أمراً سيحدث أو يتخيل شيئاً ذا بال، ثم قال لسراقة: **«كيف بك إذا لبست سواري كسرى»** فلما أُتِيَ بهما إلى عمر ألبسهما إياه وقال: الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة(٢).

تساءل سراقة في نفسه، لا من شك، بل من عجب: أمحمد هذا الفارّ من قريش، والذي طلب النجاة لدينه ودعوته وحياته، ولا يدري في أي لحظة يدركه الطلب، ولا يعلم أيستقر الأمر أم تدركه المنية دون أن يبلغ غايته.. هذا الرجل وفي هذه الظروف الصعبة المحيطة به يجد متسعاً من الوقت

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٦)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٦٨)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) الشفا للقاضي عياض (١/ ٣٤٤).

وفسحة في الأماني ليبشر ببلوغ هذا الدين أماكن يستحيل أن يدخلها عربي أو يطالع جمالها وزخرفتها بدوي.. إنه تاج كسرى وسواراه.. تماماً كما لو بشرت عاملاً عادياً بأنه في يوم ما سيجلس على الكرسي الشهير في البيت الأبيض في واشنطن.. فما أعظم هذه البشارة!

ويوم حفر الخندق وفي ظروف كهذه التي تحياها غزة الجريحة وفي أجواء عصيبة حين تكالبت الأعداء وتحزبت الأحزاب على رسول الله ﷺ في مدينة صغيرة فباشر بحفر الخندق لصد ذلك العدوان المرتقب عليه، وبينما الصحابة يحفرون إذ اعترض طريق حفرهم الخندق صخرة كبيرة لا تنفع معها ضربة فأس مهما كانت، وعجز الصحابة عن تفتيتها وتحريكها عن مكانها، فتصدى لذلك رسول الله ﷺ وقال: «**دعوني فأكون أول من ضربها**». فقال: «**بسم الله**». فضربها، فوقعت فلقة ثلثها فقال: «**الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة**»، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال: «**الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة**». فقال عندها المنافقون: نحن نخندق على أنفسنا وهو يعدنا قصور فارس والروم[(١)].

ذلك الموقف العصيب وصفه الله لنا في كتابه فقال: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[(٢)].

(وانظر كيف ينطبق هذا الوصف على ما يعايشه أهل غزة من القصف الذي يأتيهم من فوقهم ومن أسفل منهم، وخذ من ذلك بشارة أخرى لهم لتشابه الأحوال)، يبشر رسول الله ﷺ أصحابه بشارات لا يسعها إلا إيمان الصحابة والمؤمنين. فنحن الآن نعاني من تألُّب الأحزاب، ونحتال لصدهم عن مدينتنا، وتتوالى بشارات هي أعظم من ذلك وفوق تصورات العقل

(١) السيرة النبوية، لابن كثير (٣/ ١٩٤).
(٢) الأحزاب: ١٠.

المحدودة تبعث الأمل في النفوس وتحيي القلوب من جديد.

وغير ذلك كثير وكثير في سيرة النبي ﷺ التي ترسل للناس والضعفاء والمضطربين رسالة تقول فيها:

أيها المضطهدون في كل مكان وشبر من هذه المعمورة، من تخلّى عنهم القريب والحبيب والصديق والغريب.. يا من طالتهم ضربات الكفر والإلحاد.. ونهشت فيهم أنياب الأعداء.. وتقاعست عنهم المنظمات الدولية الحقوقية من مجلس أمن وجمعيات حقوق الإنسان وغيرها.. يا من فقدت زوجها وثكلت ولدها.. يا من نُكب في زوجته وأولاده.. اصبروا وصابروا ورابطوا. ولئن قعدنا عن مناصرتكم بالسلاح فقلوبنا معكم، وألسنتنا تلهج بالدعاء لكم.. يا شعب غزة الصامد الأبي، تلك تباشير النصر وإرهاصات الفوز- بإذن الله تعالى- وإن غداً لناظره قريب.

حقيقة نبوية:

إن انتصار الدين في معركته مع اليهود حقيقة يعرفها اليهود قبل المسلمين؛ ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمْ المسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عَبْدَ الله، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»[(١)].

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة**»[(٢)]. فستكون المعركة، وسينتصر المسلمون، وسيعقب الانتصار إقامة الخلافة في القدس.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٢٢).

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٠٢) (٦٤١٧).

عن أبي حوالة الأزدي- رضي الله عنه- قال: وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي- أو على هامتي- ثم قال: «**يا بن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلايا والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك**»[١]، وهذا أمر يقر به اليهود والنصارى «البروتستانت». فمن العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى الإيمان بمجيء يومٍ يحدث فيه صدام بين الخير وقوى الشر، وسوف يكون هذا الصدام أكبر معركة في التاريخ، وسوف تدور رحاها- كما يعتقدون- في منطقة «مَجْدُو» بفلسطين، وهي موقع يبعد عشرين ميلاً جنوب شرق حيفا. وهذا ما يسمى عندهم بعقيدة «الهرمجدون».

وقد ألَّفت الكاتبة الأمريكية «جريس هالسيل» كتاباً أسمته «النية القاتلة: المبشرون البروتستانت على درب الحرب النووية». وجاءت في الكتاب معلومات مذهلة عن تعاون النصارى مع اليهود من أجل الهدف المشترك «بناء الهيكل وهدم المسجد». وهؤلاء يعتقدون أن إعادة بناء الهيكل سيعجل بمجيء مسيحهم «عيسى ابن مريم عليه السلام» للمرة الثانية، وهم يطمعون أن يدخل اليهود في دينه هذه المرة. واليهود ينتظرون مجيء المسيح للمرة الأولى، ولكن ليس عيسى. وبموجب هذه العقيدة، فإن التعاليم الإنجيلية تتطلب حدوث ثلاثة أمور قبل أن يتحقق مجيء المسيح للمرة الثانية:

١ - تصبح إسرائيل دولة.

٢ - تكون القدس عاصمة لهذه الدولة.

٣ -إعادة بناء الهيكل.

وهذه العقيدة فقط في أمريكا تُمثل ٣٩٪ من الشعب الأمريكي، أي حوالي خمسة وثمانين مليون أمريكي، وهذا ما تبين من الاستفتاء الذي أجرته

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٧)، وأحمد (٥/ ٢٨٨)، وصححه الألباني.

مؤسسة «يانكلوفينش». ونحن كمسلمين نعتقد بنزول عيسى- عليه السلام- ولكن لكسر الصليب وقتل الخنزير؛ ففي صحيح مسلم، من حديث النواس ابن السمعان الكلابي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**»(١).

لا تعجلوا أيها المؤمنون:

وأنتم، أيها المؤمنون، في شتى بقاع الأرض نشكركم على دعائكم الله لإخوانكم في غزة، لكن لا تعجلوا فقد يستجاب لأحدكم ما لم يعجل.

قد تظنون ويخالطكم بعض الارتياب في تأخير ما طلبتم من الله: لِمَ لا تزلزل الأرض من تحت أقدام الأعداء؟ لِمَ لا تنكس رايته وأعلامه؟ لِمَ لا ترسل عليه جنود لا يراها؟ لِمَ لا يجعل تدميره في تدبيره؟ لِمَ .. لِمَ... لِمَ... لِمَ تأخرت الإجابة..؟؟

ولعل الجواب أن السبب هو نحن ولا شيء غير ذلك؛ فمشكلتنا أننا في شغل عن قضايا الأمة المصيرية، وفي معزل عن التفكير فيها ووضع الخطط السليمة إلى حل مشاكلها والتمكن منها، وتتراكم الأخطاء وتتوالى إلى العثرات، ونحن في تناسينا سادرون، حتى إذا ما حلت الكارثة ووقعت المصيبة وتعرض شعب مسلم للإبادة الجماعية نددنا وشجبنا، وقلنا: إننا في قلق بالغ إزاء التطورات في فلسطين وغزة وغيرها، وأكثر ما يمكننا فعله هو اللجوء إلى الدعاء في وقت الشدة، وكنا قبل في وقت الرخاء لاهين ناسين أو متناسين، ونبينا- عليه الصلاة والسلام- يقول فيما علمه لابن عمه عبد الله ابن عباس- رضي الله عنهما: «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»(٢).

يقول الإمام ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث: «يعني أن العبد

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٠٧)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢٣)، وقال: «هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير عن ابن عباس رضي الله عنهما».

إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، روعي له تعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة. وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه..

وفي الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته. وقال الضحاك بن قيس: اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة. إن يونس- عليه الصلاة والسلام- كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، وإن فرعون كان طاغيا ناسيا لذكر الله، فلما أدركه الغرق قال: آمنت. فقال الله تعالى: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2]»[3].

لكن هذا وتلاهينا عن حل قضيتنا في الرخاء لا يعني أن نتراخى عن مواصلة الدعاء ومساعدة أهل غزة بما نقدر عليه، والله لا يكلف نفساً إلا ما آتاها.

هكذا عهدناكِ يا كويت الخير:

الله يعلم كم سررتُ حين قرأت في الصحف خبر ارتداء المنتخب الكويتي (الأزرق) في خليجي ١٩ في عمان- مع أني لا أتابع المباريات ولست من هواتها- الكوفية الفلسطينية كتضامن منهم مع قضية غزة وتفاعل مع شهدائها العزل، وقلت حينها: عاشت الكويت.

سررتُ كثيراً للتفاعل الإيجابي من الحكومة والسلطة مع مأساة غزة بسماحها للتظاهرات والمسيرات المتضامنة مع غزة، على حين أن دولاً عربية

---

(١) الصافات: ١٤٣، ١٤٤ .

(٢) يونس: ٩١.

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٩٠)، دار المعرفة- بيروت.

تعتقل المتضامنين والمتظاهرين.. عندها قلت: عاشت الكويت.

لما رأيت سخاء أهل الكويت والمقيمين على أرضها وإعطاءهم بجود غير متناهٍ مساعدة لأهل غزة، علمت أن الكويت هي كويت الخير، وأن الدنيا بخير، وأن الخير باقٍ في أمة محمد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لما رأيت الأيدي ترفع إلى الله طالبة، والألسنة بالرجاء لِهجة في مساجد الكويت وعلى منابرها، تيقَّنت أن قلوب أهل الكويت قلوب صافية لا تحمل حقداً ولا تعرف غلاً على من أساء إليها في مرحلة سوداء من تاريخنا في العقد الماضي.

ولأهل الكويت ـ كويت الخير ـ أقول:

لا تلتفتوا إلى أصحاب الأقلام المأجورة والنفوس المسعورة التي تحاول أن توقظ الفتنة وهي نائمة.. لا تسمعوا لمن يريد أن يذكركم بأخطاء ثلة مرجت عهودهم ونسوا جميلكم عليهم فأساؤوا إليكم، لكنهم عادوا وحفظوا أياديكم البيضاء.. ولقد عهدكم العرب والمسلمون أصحاب قلوب بيضاء صافية، تَقِلُّون عند الطمع وتَكْثُرون عند الفزع.



الأقصى دمعة عين :

قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ...﴾[1] هنا جعل الله- تعالى- الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى آية من آياته، وعقيدة من عقائد الإيمان، وعلى ذلك مَن يفرِّط في القدس يفرط في الكعبة. إن القدس ليست قضية أرض وشعب يمكن أن نُدخلها في دهاليز السياسة، بل هي آية في كتاب الله.. إنها جزء من عقيدة المسلم، ولهذا فقضية فلسطين لن تموت؛ لأنها عقيدة في قلب كل مسلم، فهل سمعتم أو قرأتم عن عقيدة يحملها في قلبه أكثر من ألف مليون يمكن أن تموت؟؟ إن الناس يموتون في سبيل العقيدة، وما ماتت عقيدة من أجل حياة إنسان!!

أحبتي الكرام .. المسجد الأقصى.. دمعة في عين كل مسلم.

المسجد الأقصى.. طعنة في قلب كل مؤمن.

المسجد الأقصى.. قطعة من أفئدتنا، سلبت منا يوم ضعفت في قلوبنا: لا إله إلا الله.

لقد لعب الاحتلال الإسرائيلي- في عدوانه على غزة- لعبة جديدة تعلمها من حربه السابقة الخاسرة مع حزب الله عام ٢٠٠٦ عندما أعلن عن أهداف كبيرة لم يستطع تحقيقها، فكانت هزيمته منكرة بكل المقاييس؛ مما عجل

(١) الإسراء: ١.

باستقالات كثيرة وكبيرة في صفوف الجيش الإسرائيلي؛ نظراً لأنها فشلت في تحقيق الأهداف السياسية.

في ظل تلك التجربة حافظ الاحتلال على موقف غامض أمام الإعلام، ووضع وسائل الإعلام أمام حيرة سياسية في تحليلها وبحثها عن الأهداف المتوخاة من اجتياح غزة، فتارة يصرح بأنه يهدف إلى تغيير الخارطة في غزة وإنهاء حكم حماس، وتارة يعلن أنه يهدف إلى إضعاف حكم حماس، بغية الوصول إلى هدف وقف صواريخ المقاومة وحماية المدنيين من الصواريخ الفلسطينية.. **ولكن عند التحقيق نرى أن هناك أهدافًا مباشرة على مستوى حماس والشعب الفلسطيني في غزة وأخرى على المدى الطويل بشأن أرض الإسراء «المسجد الأقصى».**

الأهداف الصهيونية من الحرب على غزة:

أ – الأهداف المعلنة :

١ – القضاء على حماس والمقاومة في غزة، لفتح الطريق لأجهزة أمن عباس للسيطرة على غزة.

٢ – عند فشل الهدف الأول، ينتقل الاحتلال ساعياً إلى تحقيق جملة من الأهداف على أرض الواقع على النحو التالي:

أ – إنهاء ظاهرة الصواريخ من غزة.

ب – إرغام حماس والمقاومة على قبول التهدئة بشروط الاحتلال.

جـ – استقدام قوات دولية لحماية أمن إسرائيل والحيلولة دون إمداد المقاومة بالسلاح.

د – السعي لإبقاء ظاهرة الانقسام الفلسطيني بين نموذجي (غزة المحاصرة، والضفة المسيطر عليها أمنياً).

ب ـ الأهداف غير المعلنة:

عند الغوص في تحليل العدوان الصهيوني على غزة نجد أن الاحتلال ومنذ

اللحظة الأولى للحرب كان يهدف إلى إشغال المسلمين في العالم أجمع- وفي فلسطين خاصة- عن أهم قضية في حياة وفكر المسلم، ألا وهي «**قضية مدينة القدس والمسجد الأقصى**».

وتلك لعبة سياسية لكل القوى التي تهدف إلى محاربة الإسلام، فحتى ينسى المسلمون قضاياهم الحساسة والملحة، علينا- يقول أعداء الإسلام- بإشغالهم بقضايا جديدة تمس إسلامهم وجعلها قضايا مصيرية، فمن الرسوم المسيئة للنبي ﷺ، إلى إصدار مذكرة للقبض على الرئيس السوداني عمر البشير، ومن الضجة الكبرى لانتخاب أوباما، إلى إثارة الخلاف بين فتح وحماس والوقوف بجانب طرف دون آخر.. وهكذا دواليك .

كل هذا وذاك من أجل أن ينسى الإنسان المسلم أن لديه غاية أولى وأخيرة، وهي استرجاع أولى القبلتين وثالث الحرمين من براثن الغاصب المحتل.

واليهود في كل زمان ومكان يعرفون أن الذي سيحرر القدس ويطهر فلسطين من اليهود المجرمين هي الأيادي البيضاء الطاهرة المتوضئة.. إنهم ورثة محمد بن عبد الله ﷺ فهم الذين يقولون:

خلو الطريق لنا فنحن الناس … أما الذين بغوا فهم أنجاس
مسرى النبي لنا جميعاً كله … لا النصف لا الأرباع لا الأخماس
ولينصرن الله ناصر دينه … هذا هو المعيار والمقياس

تاريخ صراع الحركة الإسلامية مع اليهود في قضية القدس:

لن أبدأ في ذكر الصراع من قبل بعثة النبي ﷺ في استيطان اليهود في يثرب وإثارة الفتن والحروب بين عرب الجزيرة، ولكنني سأبدأ من هجوم عصابات اليهود لاغتصاب أرض المقدس سنة ١٩٤٨، وحين ذاك بدأت الحركة الإسلامية التحرك الفعلي في مواجهة الخطر، **وهنا سارع سفراء**

بريطانيا وفرنسا وأمريكا في مصر إلى مصر للتدخل لدى ملك مصر السابق «فاروق» ليشيروا عليه بتوجيه ضربة شديدة للحركة الإسلامية في مصر، ممثلة في جماعة الإخوان المسلمين، فكانت الخطوات العملية من «فاروق» فعمل على:

١- محاصرة معسكرات المجاهدين في جبهة القتال في فلسطين.

٢- حل الجماعة واعتقال قياداتها في مساء الثامن من ديسمبر سنة ١٩٤٨.

٣- اغتيال الإمام حسن البنا- رحمه الله- مساء الثاني عشر من فبراير سنة ١٩٤٩.

وبعد هذه الخطوات العملية في محاربة الحركة الإسلامية أبرم الملك فاروق عن طريق الحكومة التي كانت موجودة آنذاك «حكومة النقراشي» في الرابع من فبراير سنة ١٩٤٩ معاهدة «رودس» مع اليهود، ونشطت حركة الإعدامات في أوساط المجاهدين.

ثم لننظر إلى الأحداث المعاصرة للحركة الإسلامية:

١- في سنة ١٩٥٦م أُلْقِي الألوف من أبناء الحركة الإسلامية في أعماق السجون، لتتقدم إسرائيل في السنة نفسها وتحتل قناة السويس.

٢- في التاسع والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٦م تم إعدام سيد قطب- رحمه الله- ونفر من أصحابه، وهنا تتقدم إسرائيل في ساحة خالية خاوية بعدها بشهور لتهزم ثلاث دول عربية في الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧م وتحتل القدس وسيناء والجولان.

٣- وفي السبعينات سنة ١٩٧٤- ١٩٧٥- ١٩٧٦ كانت الضربات تنزل بالحركة الإسلامية لتهيئة الجو لإبرام معاهدة الصلح «كامب ديفيد».

٤- وفي بداية الثمانينات جمع السادات قادة وأعضاء الحركات الإسلامية على اختلاف اتجاهاتهم في السجون والمعتقلات، مستغلاً ما سميَ بأحداث

«الزاوية الحمراء» بين المسلمين والنصارى، والله وحده أعلم ما هي الخطوة التي كان السادات ينوي القيام بها بعد هذا التصعيد، لكن المؤكد أن هذه خطوة كانت بناءً على طلب اليهود، **ففي أغسطس سنة ١٩٨١م قال «مناحيم بيغن» في تصريح له لوكالات الأنباء بعد اختتام زيارته للولايات المتحدة الأمريكية: إنني لن أطمئن على مستقبل معاهدة كامب ديفيد وملحقاتها مع مصر إلا بعد أن يتم القضاء على الحركات المتعصبة الإسلامية في مصر بشكل خاص**. ثم يقول: إن صديقي السادات أبدى اهتماماً شديداً بما قدمته له من وثائق تدين المتطرفين المسلمين بالعمل ضد اتفاقيات «كامب ديفيد».

ثم يقول: لقد كان صديقي السادات عند حسن ظننا به؛ إذ لم أكد أغادر مصر عائداً إلى إسرائيل حتى بدأ حملة عنيفة لمحاربتهم، وإنني أتمنى له النجاح والتوفيق من كل قلبي.

وهذا غيض من فيض من التصريحات والدراسات والخطط الاستراتيجية التي تؤكد مقولة موحدة عن اليهود والنصارى ومن يعمل على خدمتهم، إن هذه التصريحات تؤكد من قِبلهم أنه يجب **أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة بين اليهود والعرب. إن إقصاء الإسلام عن المعركة مع اليهود مخطط قديم، فالمؤتمر اليهودي الأول في مدينة «بال» بسويسرا سنة ١٨٩٧ كان هدفه الأول إسقاط الخلافة العثمانية الإسلامية، وتم لهم ذلك سنة ١٩٢٤م، ثم إقامة دولة يهودية وتم ذلك سنة ١٩٤٧م.**

يقول هرتزل: إن فتح أبواب الشرق لليهود في فلسطين لَيتوقف بالدرجة الأولى على تدمير الخلافة العثمانية، حيث كانت عبارات السلطان عبد الحميد- رحمه الله- تؤرقهم والتي منها: (إن بلادنا- يعني فلسطين- التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط فيها دون أن نبذل أكثر مما بذلنا من دماء في سبيلها) نعم لا تُسترجع فلسطين بالقلم

والقرطاس، بل بالسيف والجهاد.

يقول المتنبي – رحمه الله :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتـى يــراق علـى جوانبـه الـدم

كما أثبتت كل الشواهد الفشلَ الذريع والهزائم المنكرة والتراجع المذهل للاتجاه العلماني بأثوابه المتعددة من اشتراكية وقومية وتقدمية.. بل الأمر أشد، فكلما قربت ساعة النصر من شباب الجهاد كانت الأنظمة العلمانية والتقدمية تتدخل لصالح اليهود؛ ففي سنة ١٩٤٨م كاد المجاهدون أن ينهوا ما يسمى بالعصابات الصهيونية، لتدخل بعد ذلك الجيوش العربية بأسلحتها الفاسدة وتطلب من المجاهدين إلقاء سلاحهم، **ولتكون المهزلة مهزلة تقسيم فلسطين إلى ثلاثة أقسام: الجزء الأكبر أقام اليهود عليه دولتهم، والضفة الغربية ألحقت بالأردن، وقطاع غزة ألحق بمصر،** وتتكرر الصورة فتكون الانتفاضة المباركة في الثامن من شهر ديسمبر ١٩٨٧م، لتكون بعد ذلك معاهدات الصلح لإنهاء الانتفاضة بثمن بخس هو أرض منزوعة الكرامة والسلاح.

يقول شمعون بيريز مدافعاً عن اتفاق أوسلو: إننا لم يكن أمامنا إلا خياران: إما أن نأتي بالمنظمة الضعيفة ونسلب منها كل مقومات المقاومة ونتفاوض معها وهي ضعيفة بشروطنا، أو أن نذهب إلى حماس وهي قوية وتلقى قبولاً لدى الناس. ثم يقول: اذهبوا إلى غزة الآن وانظروا إلى حال المرأة الفلسطينية في غزة وكيف حجابها؟ من يستطيع أن يقول: إن المرأة كانت تستطيع نزع حجابها أيام الانتفاضة.

أما محاربة الدعاة فيكفي أن نعرف أن حصيلة ما سلمه الاحتلال للسلطة في غزة : ٣٠ مركز توقيف، وسبعة عشر سجناً، و٤٠ ألف شرطي.

إن اليهود حريصون على أن يكون في مواجهتهم ما قال فيهم الشاعر:

أشباه ناس وخيرات البلاد لهم يا للرجال وشعب جائع عارِ

أشباه ناس دولارات البلاد لهم ... ووزنهم يساوي ربع دولار
والناس شر وأخيار وشرهم ... منافق يتزيًّا زي أخيار
وأضيع الناس شعب بات يحرسه ... لص تستَّر في أثواب أحبار
في ثغره لغة الحاني بأمته ... وفي يديه لها سكين جَزَّار

واجب الحركة الإسلامية والمسلمين نحو المسجد الأقصى:

١- الإعداد للتغيير : ربما ليست لدينا القوة على التغيير في الصراع مع اليهود، ولكن لدينا القدرة- بإذن الله- على الإعداد لهذا التغيير.

إن المكر العالمي بكل وسائله يعمل على دعم اليهود وتواجدهم في فلسطين، وقد يصل كما صوره القرآن ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[1] ولكن سينتصر جند الله، وسنقول كما علمنا القرآن: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[2]، **وهناك حقيقة وهي أن مشروع الجهاد لا تملكه السلطة بل ولا حماس ولا غيرها، إنه وسيلة الأمة كلها لدفع العدوان.**

٢- الاستشعار الكامل أن فلسطين والمسجد الأقصى أمانة في أعناقنا سيسألنا الله ماذا قدمنا؟ وماذا فعلنا من أجل تطهيره من دنس اليهود؟

٣- التحرك وفق نظام التدافع بين الحق والباطل والنصر والهزيمة.

٤- اليقين أن النصر للمسلمين قدر محتوم.

٥- تنمية الخير الموجود في النفوس في الشعب المسلم.

٦- التركيز على إنشاء المراكز والمعاهد الشرعية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم.

٧- توحيد الصفوف بين كل العاملين في الحقل الإسلامي في فلسطين.

٨- دعم المسلمين لإخوانهم من باب النصرة الشرعية للشعب المسلم في

(١) الأحزاب: ١٠.
(٢) الأحزاب: ٢٢.

فلسطين.

وهذه المنهاجية التي ذكرناها مستقاة من هدي النبي ﷺ في استرجاع الأقصى من الروم النصارى **فنحن نرى أن الفتح الإسلامي لمدينة القدس في السنة الخامسة عشرة للهجرة لم يتم دفعة واحدة، إنما سبقته خطوات عملية هيأت لعملية الفتح الإسلامي:**

١- هيأ الرسول ﷺ وعبأ النفوس حول هذه المدينة المقدسة بالآيات التي وردت في كتاب الله عن هذه البقعة؛ بحثِّ القلوب والعقول، فأصبحت تحنُّ إلى بيت المقدس وهو واقع تحت الاحتلال الروماني ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾[1]، وقد حدث في مراحل الضنك والألم التي عاشها المسلمون في مكة. فعلى هذا فقضية التحرك للقدس تبقى حية حتى في ساعات الاستضعاف.

٢- الخطوات العملية والتي ظهرت في:

- حقيقة الإسراء والمعراج.
- معركة مؤتة بين المسلمين والروم.
- غزوة تبوك.
- ثم جاءت معركة اليرموك التي أنهت تواجد الرومان في القدس، ثم عندما عاد الصليبيون للقدس كانت معركة حطين مع صلاح الدين، وكلا المعركتين في إعادة القدس كانت في الشام في وادي الأردن.

لمحة على غزة العزة وحربها الدائرة مع العدو :

هذا هو شأن العدو الإسرائيلي في عدوانه مع أي طرف عربي أو إسلامي، لا يكاد يوفر شيئاً؛ فالمؤسسات المدنية والأمنية والوزارات والمساجد والبيوت الآمنة المطمئنة كلها أهداف محددة لقصفها الجوي والبري والبحري.. هذا فضلاً عن الحصار الظالم المستمر.

---

(١) الإسراء: ١.

سؤال للمسؤولين العرب:

ما الذي يمنع اجتماع وزراء الخارجية العرب من أن يتفقوا على الأمور الطبيعية الآتية:

١ – الاتفاق على هدنة محددة.

٢ – عقد مصالحة وطنية بين حماس وفتح برعاية المملكة العربية السعودية نيابة عن مجلس الجامعة العربية.

٣ – الوقف الفوري للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة.

٤ – انسحاب قوات الاحتلال من القطاع.

٥ – فك الحصار عن غزة والضفة، وفتح جميع الحدود مع الدول العربية؛ باعتبار أن دولة فلسطين (المحررة) جزء من العالم العربي والإسلامي، ولمواطنيها حق التنقل والاتصال بحسب النظم المتفق عليها.

٦ – الاتفاق على وضع المراقبين الدوليين على المعابر وفق اتفاق واضح على مهامها وزمنها.

٧ – عقد مؤتمر دولي للمانحين لإعمار غزة.

نداء لأبناء الحركات الإسلامية:

في ضوء هذه الأحدث الدامية والمحنة العاصفة التي نعتقد أن في طياتها منحة ربانية، نتمنى عليهم الآتي:

١ – الاستفادة من حركة الشارع التلقائية من الاستجابة مع الأحداث العامة.

٢ – الثقة بأن مؤسسات المجتمع المدني والهيئات الشعبية قادرة على تقديم الكثير للأمة.

٣ – العمل على تحريك الأمة من الداخل وتعبئتها نفسياً وإيمانياً.

٤ – تكوين لجنة دائمة في كل بلد إسلامي عند حدوث أي نازلة بها، تتعامل معها في إطار تخطيط علمي ميداني واقعي؛ من أجل إدارة النشاطات والفعاليات في كل الدول العربية والإسلامية، مع التركيز على المسار الإعلامي

من خلال الفضائيات لتغطية هذه الفعاليات.

٥- الاتصال مع كل القوى الإنسانية والحرة في العالم.

٦- الاستفادة من الصحوة الإسلامية في تركيا لتنسيق التحرك السياسي في سياق المبادرة المتفق عليها والمعبرة عن انتفاضة الشارع الإسلامي.

٧- استثمار التكوين الإيماني والبناء العقدي والسلوكي والتربوي في يوميات الحركة الإسلامية، فنتاجها مضمون بعد توفيق الله تعالى. وصلابة حماس في مواجهة الآلة العسكرية اليهودية والمدعومة من قوى الشر في العالم دليل على ذلك.

بشارات ميدانية من قلب المعركة في غزة:

أ - أنه لا يوجد أي تأثير من العدو على تقسيم الأولوية العسكرية، والوضع الميداني مطمئن، ومازالت القدرة على إطلاق الصواريخ فعالة ولم تتأثر بالعدوان.

ب - نتائج الاشتباكات المباشرة مع العدو جيدة؛ فالإصابات في صفوف الصهاينة جاءت نتيجة هذه الاشتباكات.

جـ - أفشل المجاهدون ما أسماه العدو بـ«تطوير الهجوم البري والانتقام من المدنيين وتهجيرهم».

إن العمليات تتركز في رفح، وقد طلب العدو من الأهالي المغادرة، إلا أنهم رفضوا الخروج وتجمعوا في منازلهم، فقصفوا البيوت، وكل ذلك لتوسيع الشريط.

وفي الختام نقول: على الحركة الإسلامية أن تعمل على إخراج القدس من دائرة رد الفعل إلى دائرة صناعة الفعل، والتأكيد على مصطلح (القدس الإسلامية).

ودائما نردد قوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

---

(١) المجادلة: ٢١.



٣
هكذا تحترم إرادة الشعوب

إن ما مر على أمة الإسلام من مآسٍ، وما عاشته من آلام خلال الفترة الماضية متمثلاً في الإجرام الوحشي والعدوان الهمجي الإسرائيلي على أهلنا في غزة في ٢٠٠٨-٢٠٠٩، ليفطر الأفئدة، ويخلع القلوب من كل أصحاب الإنسانية الحية، حزناً وأسىً على ما جرى.

كبَّلوهــم قتَّلوهم مثَّلــوا ... بذوات الخدر عاثوا باليتامى
ذبَّحوا الأشياخ والمرضى ولم ... يرحموا طفلاً ولم يبقوا غلاما
هدَّموا الدور واستحلوا كل ما ... حـرَّم الله ولم يرْعوا ذماما

لقد حركت هذه المجازر قلوب الناس ذوي الضمائر من كل جنس ولون، فما بالك بمن تجمعهم مع أهل غزة كلمة التوحيد، وتؤلف بينهم شهادة الإسلام، وتوحد بينهم أواصر اللغة!!

إن هذه المأساة لتذكرنا بوحدة الصف العربي والإسلامي، وتنسينا- لا تذكرنا- كل الخلافات الجانبية الداخلية، وهذا ما طالبت به كل الشعوب العربية والإسلامية.

فالشعوب رأت من خلال هذه الجريمة النكراء أن عدونا الذي ينبغي أن نتكاتف للوقوف في وجهه، ونتحد جميعاً لصده عن أهلنا وعرضنا وأرضنا، إنما هو العدو الإسرائيلي الغاشم الذي يجثم على أرض الإسراء والمعراج، الذي لا يرقُب في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا يعرف لمسلم حقاً ولا حرمة، فخرجت الشعوب غاضبة على ما آلت إليه أمور دولها وأقطارها من تشرذم وتبعثر، خرجت مطالبة بأن يقف العرب- كل العرب- والمسلمون- كل

المسلمين- وقفة رجل واحد، ويوحدوا كلمتهم، ويرصوا صفوفهم لرد هذا العدوان الغاشم عن بلادهم وإخوانهم.. خرجوا في جميع أصقاع الأرض من شرقها لغربها، ومن شمالها لجنوبها، منددين ومستنكرين، مطالبين بوقفة جادة، ومواقف عملية من قادتهم وزعمائهم، وكذلك خرجت شعوب أخرى لا تربطها بأهل غزة إلا روابط الإنسانية.

فالشعوب العربية والمسلمة أرادت وطالبت ونددت وتظاهرت .

وإذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب النظام

هذا ما تريده الشعوب منكم أيها الحكام :

شعوبنا العربية الإسلامية تريد دعم القضية الفلسطينية ومقاومتها بكل ما أوتيت.

شعوبنا تريد نبذ الخلافات والشقاقات الجانبية.

شعوبنا لا تريد تدخلاً أجنبياً في بلاد العرب والمسلمين.

شعوبنا تريد أن تؤكد أن العدو الإسرائيلي ليس عدو الشعب الفلسطيني فحسب، إنما هو عدو الإسلام والمسلمين، ولن يألو جهداً- إذا حانت له الفرصة- في تقطيع أي بلدٍ آخر من بلاد العرب والمسلمين.

وجاءت مواقف أكثر القادة والحكام لتؤكد أن هذه الإرادة يجب أن تحترم، وأن إرادة شعوبهم وأممهم يجب أن تقابل بإرادة صادقة، فعلى صعيد العالم الإسلامي رأينا الاجتهاد الصادق، والجهد المضني، والموقف المشرف الذي قام به رئيس الوزراء التركي: رجب طيب أردوغان من خلال سعيه الدؤوب وجهده المتواصل لإيقاف هذه الحرب وحقن دماء المسلمين، ومطالبته بمحاسبة الصهاينة المعتدين على ما ارتكبوه من جرائم في حق النساء والأطفال والشيوخ، وتصريحه بضرورة احترام إرادة الشعب الفلسطيني الذي اختار (حركة حماس) في انتخابات نزيهة شهد لها العالم كله

بذلك.

فهذا الموقف الصادق، وكذلك مواقف كل المسلمين في العالم التي تمثلت وتوضحت خلال أيام العدوان الهمجي الوحشي لتذكرنا بوحدة الصف الإسلامي، ولَمِّ شعث المسلمين؛ ليكونوا يداً واحدةً على من سواهم، ويبينوا للعالم كله أننا- نحن المسلمين- جسد واحد، وأن أي شوكة تصيب أي موضع منا فهي تؤلمنا جميعاً، وسنسعى بكل السبل لإزالتها، وكما قيل:

إذا اشتكى مسلمٌ في الصين أرقني ... وإن بكى مسلمٌ في الهند أبكاني

ومصرُ ريحانتي والشام نرجستي ... وفي الجزيرة تاريخي وعنواني

فالمواقف الإسلامية- وخاصة الموقف التركي- تذكرنا بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وهذا يعيد إلى قلوبنا وعقولنا مبدأ الجسد الواحد الذي خطه لنا نبينا ﷺ بقوله: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[2] وقوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[3].

فبهذا البنيان، وهذا الجسد، تعوَّد العزة التي افتقدها المسلمون لما ابتعدوا عن شريان عزهم، ومنبع كرامتهم، وصلة الوصل بينهم، ألا وهو دينهم، وكما قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه: «نحن قومٌ أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله».

أما على الصعيد العربي فكان كما قال حافظ إبراهيم:

إذا ألمّت بوادي النيلِ نازلةٌ ... باتت لها راسياتُ الشامِ تضطربُ

وإن دعا في ثرى الأهرامِ ذو ألمٍ ... أجابهُ في ذرى لبنانَ منتحِبُ

فقد كان الموقف القوي من الشعوب العربية التي خرجت في مظاهرات

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٦).

حاشدة غاضبة ومندِدة، ومطالبة بموقف جدي وعملي من القادة العرب تجاه هذا العدو الذي استحت كلمة الإرهاب أن يوصف بها لوحشيته وهمجيته، وتجاه كل من يقف معه. ولم تكتف بالمظاهرات والكلام فحسب، بل رأينا كيف تبرع الناس بأموالهم ودمائهم وبكل ما يستطيعون، حتى رأينا العَبرَات والدموع تذرف من عيونهم، والدعاء على اليهود المعتدين والمتعاونين معهم لا ينقطع من ألسنتهم، بل وحتى من قلوبهم، ورأينا كذلك الإرادة الجادة من الزعماء العرب لنبذ كل خلاف، والوقوف جميعاً سداً منيعاً مع الإخوة الفلسطينيين في مواجهة العدو الصهيوني الغاشم.

ففي الكلمة التي ألقاها سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح أكد سموه فيها على الوقوف معاً وبكل صلابة مع أشقائنا الفلسطينيين في غزة، ودعمهم بكل ما أمكن، وأكد كذلك على أن تحقيق الغايات ونجاح هذه المساعي النبيلة يستلزم منا في المقام الأول توحيد الصف، واتفاق الكلمة، وإزالة الفرقة. وأعلن سموه عن تقديم نصف مليار دولار مساهمة من الكويت لدعم أهل غزة.

وعلى هذا المنوال كانت كلمات القادة الآخرين تنبئ عن عزم صادق، وإرادة حقيقية لتحقيق شيء لهذه الأمة.

فخادم الحرمين الشريفين أعلن عن تجاوز مرحلة الخلاف، وفتح باب الأخوة العربية، والوحدة لكل العرب، ودون استثناء أو تحفظ، ومواجهة المستقبل صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[1]، كما أكد على وقوفه ودعمه لأهل فلسطين، مبيناً أن قطرة دم واحدة من الفلسطينيين أغلى من كنوز الأرض.

وأكدت مصر وقوفها إلى جانب الأشقاء في فلسطين، ودعمها الدائم

---

(١) الأنفال: ٤٦ .

للإخوة في فلسطين، ورفض كل الاتهامات المشككة في جهود مصر لحقن دماء الفلسطينيين، والسعي الصادق للوساطة في إعادة اللحمة الفلسطينية وتوحيد الصف الفلسطيني، وكان قبل ذلك قد صرح مؤكداً أن مصر لن تقبل بوجود قوات دولية على أرض مصر بينها وبين حدود قطاع غزة .

وأكدت سوريا ضرورة الدعم السياسي والمعنوي لغزة، والتأكيد على حقها في مقاومتها بالرد على العدوان الإسرائيلي، وكذلك عبر عن هذا الدعم باقي الرؤساء والأمراء والملوك.

كلمات طيبة، وتصريحات مشرفة منكم أيها القادة.. وهكذا تحترم إرادة الشعوب، فالشعوب ظمئت إلى مياه العزة والكرامة، وسئمت صرخات الجرحى، وأنين المرضى، وصور المظلومين المنكوبين من شهداء وجرحى المسلمين في كل مكان.

فيا حكام العرب والمسلمين، سيروا بأمتكم على درب الوحدة والكرامة والعزة، فقد رأيتم ما حلَّ بغزة، وأتبعوا الأقوال والتصريحات بالأفعال والأعمال، وستجدون كل دعم ومساندة من أممكم وشعوبكم، وسيوفقكم الله ربكم، وما دام الهدف واحداً، والغاية مشتركة، فهذا يدعونا لنجتمع لا نفترق، ونتفق لا نختلف، ونتوحد لا نتشرذم، ربما تختلف رؤانا، وربما تتعدد في مواجهة الأمور أساليبنا، لكن كل ذلك لا يستدعي التفرق والمشاحنة والبغضاء بيننا.

والحافظ من كل ذلك هو الاعتصام بحبل الله المتين، فهو العصمة من كل شقاق وخلاف، والمؤلف للقلوب، والحافظ لها من كل ما يشتتها ويفرقها، وينفر بعضها من بعض، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1].

أيها الحكام مواقفكم هذه، وعزيمتكم هذه، واحترامكم- ولو بالكلام - لإرادة شعوبكم خطوة على الطريق الصحيح، وقطرة من غيث العزة الذي

(١) آل عمران: ١٠٣ .

حبس في الغمام، وكما يقال: أول الغيث قطرة، فأكثروا من هذه القطرات، فشعوبكم تنتظر الغيث المغيث من مواقفكم، فلتجتمعوا، وليكن أمركم شورى بينكم، ولتنظروا إلى نقاط الاجتماع والالتقاء- وما أكثرها- ولتنبذوا دواعي الاختلاف- وما أقلها- وراء ظهوركم، فتوحُّدكم واتفاقكم واجتماع كلمتكم هو ما يخيف أعداءكم، ويرهبهم منكم، وكما قيل:

إذا حضرت أيدي الرجال بمشهد وفي كثرة الأيدي عن الظلم زاجر
ومن لم يكن ذا ناصر عند حقه يُغلَّب عليه ذو النصير ويضهد

المعركة الحقيقية :

معركتنا الحقيقية هي ضد كل من يعادي ديننا وأمتنا، ويقتل نساءنا وأطفالنا، ويستبيح أعراضنا وحرماتنا، وضد كل من يظاهر ويعاون أعداءنا علينا، وإن أي تحويل للمعركة عن هذا المسار، ومحاولة اختراع أعداء من المسلمين أنفسهم لمجرد أنهم يخالفوننا في فروع الفقه، وأساليب الدعوة، أو في أولويات العمل والسياسة، أو في بعض القضايا الجزئية- لَيُعْتَبَر غفلة شديدة عن حقيقة العدو الذي يتربص بالجميع الدوائر، ويريد أن يضرب بعضهم ببعض، وهو ينظر إليهم، ثم يضربهم جميعاً الضربة القاصمة، فمن فعل ذلك من المسلمين أياً كان دوره ومنصبه، فهو المصيبة بعينها، وخطر هذه المصيبة كبير- جد كبير- لأنها تكون بمثابة الخيانة للإسلام وأمته.

الجهاد الحق يستلزم عقيدة صحيحة :

وكم يحكي لنا التاريخ عن دول وأفراد حادوا عن طريق الجهاد الحقيقي، ومالوا عن جادة العقيدة السليمة، فكانوا وبالاً على دولة الإسلام وأهله، وكان شرهم عظيماً على المسلمين، في حين نسوا عداوتهم مع أعدائهم الحقيقيين من اليهود والمشركين والصليبيين والتتار والمغول وغيرهم.

فالدولة الفاطمية- مثلاً- كانت تدعي الدفاع عن الإسلام والمسلمين، ولكن في الحقيقة والواقع هم الذين قضوا على المسلمين، وحاربوا الإسلام

بسبب عقيدتهم الزائفة، وفكرهم المعوَّج، فلم يُؤثَر في تاريخهم كله أنهم قاموا بغزو أو عمليات عسكرية ضد الفرنجة لتوطيد أركان دولة الإسلام، بل الثابت تاريخياً أنهم كانوا حرباً على أهل الإسلام، سِلْماً على أعدائه، فهم يضيقون الخناق على أهل السنة، ويجيشون الجيوش لإرغامهم على اتباع فكرهم الباطني، بينما هم مع الفرنجة سلم لهم، بل يستنجدون بهم على أهل الإسلام وغيرهم.

وعلى نفس النهج الخاطئ، والفكر الفاسد، كانت دولة القرامطة؛ فقد كانت حروبهم ضد المسلمين، وهدفهم محاربة الإسلام بكل الوسائل، وذلك بارتكاب الكبائر، وهتك الأعراض، وسفك الدماء، والسطو على الأموال، وتحليل المحرمات، فسَفاحُهم أبو طاهر القرمطي استباح الحرم المكي، وقتل من المسلمين الآلاف وهم يطوفون ويصلون في بيت الله الحرام، وقام بعد ذلك بهدم قبة زمزم، وأمر بقلع باب الكعبة، ونزع كسوتها، وأمر بقلع الحجر الأسود، وسرقه إلى الإحساء، وبقي أكثر من عشرين عاماً بعيداً عن الحرم المكي.

وكذلك كل فئة أو دولة لا تقوم على أسس الكتاب والسنة، ولا تبني عقائدها على ما يرضي الله ورسوله كالخوارج وغيرهم، فقد قاتل الخوارج المسلمين وحاربوهم، واستباحوا دماء الصحابة وأبنائهم، وأزهقوا أرواحهم؛ لمجرد مخالفتهم لهم في آرائهم وأفكارهم الباطلة، ومن المفارقة أنهم أتوا إلى ابن عباس يسألونه عن حكم قتل البعوض في الحرم، فكم أضروا بدولة الإسلام وأهله.

وربما تكون هذه الفكرة عند رجل متسلط واحد فحسب، فيحمله فكره الخاطئ على قتل المسلمين، وتوجيه السهام والحراب إليهم، وتعريضهم لسهام العدو؛ ليسفك دماءهم، ويستحل محارمهم، ويستبيح أعراضهم وحرماتهم، فمثلاً ابن العلقمي الذي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم

كان شخصاً واحداً، لكن خطره وفساده عم الأمة الإسلامية بأكملها، فقد سرح الجيش الإسلامي، وأهدر قوة الأمة، وخان أمته ودينه، وأدخل التتار إلى بلاد الإسلام حتى عاثوا في الأرض فساداً، وأتوا على الأخضر اليابس، فأهلكوا الحرث والنسل، واستباحوا حرمات المسلمين، وأسقطوا الخلافة الإسلامية آنذاك، وجرت الأنهار بدماء المسلمين.

وما ذاك إلا لعقيدته الباطنية الباطلة، وأفكاره المنحرفة، التي جعلت منه خطراً على الإسلام والمسلمين، ووبالاً كبيراً عليهم.

وابن العلقمي لم يكن بِدْعاً في هذا العالم، ولا صورة فريدة من نوعها، بل هو صورة متكررة في كل عصر وزمان، وحتى هذا العدوان لم يخل من أمثال ابن العلقمي متمثلاً في العملاء الخونة الذين كانوا يساعدون العدو ويدلونه على المجاهدين والمقاومين.

فالحذر الحذر، أيها المسلمون، من الانجرار وراء الأهواء المضلة، والأفكار الهدامة، فهي تخرب وتهدم صرح الإسلام، وتفرق كلمة المسلمين، وتقوي الأعداء علينا، وبعدها نجلس لنضرب أخماساً بأسداس، ونعض أصابع اللوم حسرةً وندامة.

مدرسة الجهاد النبوي هي التي تعطينا الدروس الجهادية :

لكن من أراد الجهاد الحقيقي، والفهم الصحيح، فلينظر إلى الدولة التي أقامها النبي ﷺ وأصحابه من بعده، دولة قوامها الأخوة والمحبة في الله، فالنبي ﷺ جعل من أهم الأسس التي أقام عليها الدولة الإسلامية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فقال بعد أن حطَّ رحاله في المدينة المنورة : «**تآخوا في الله، أخوين أخوين**»[(١)].

وجعل دستورها الكتاب والسنة، فكانت أعظم دولة عرفها التاريخ كله،

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٥٠٤)، تحقيق السقا.

ليس فيها مكان لعصبية، أو قومية، أو فئوية، أو حزبية، إنما شعارها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(١)].

وعندما تلوح في الأفق بوادر الفرقة والشقاق يسارع إلى وأدها ودفنها تحت التراب، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنه قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال دعوى الجاهلية؟**» قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «**دعوها؛ فإنها منتنة**»[(٢)].

بخ بخ ... فزت ورب الكعبة :

لم تكن الدنيا تغرهم، ولا الشهوات تجرهم، ولا المصائب تصدهم وتهزهم، إنهم ينظرون إلى الدنيا نظرة من لا يأبه بها، ولا يهتم بها، عندما يفقد أحدهم حياته- التي هي أعز ما يملك- في سبيل الله يقول: فزت ورب الكعبة.

ولما دنا المشركون يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض**»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «**نعم**»، قال :بخٍ بخٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسولَ الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «**فإنك من أهلها**» فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل، واستشهد في سبيل الله- رضي الله عنه[(٣)].

إنه الإيمان الصادق بالله ورسوله الذي جعل منهم رجالاً أذلةً على

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٣) رواه مسلم (١٩٠١).

المؤمنين، أعزةً على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، فارتقت نظرتهم للحياة، وسمت فوق الكون كله ؛لأنها تعلقت بالله، ومن كان الله معه فلا يخشى أحداً غيره أبداً.

وهذا ما تمثل في جوابهم لأبي سفيان يوم أحد، فإنه لما كان يوم أحد، وأصاب المسلمين ما أصابهم، صعد النبي ﷺ الجبل، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد، يا محمد، ألا تخرج، ألا تخرج؟ الحرب سجال يوم لنا ويوم لكم، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أجيبوه**»، فقالوا: لا سواء، لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. فقال أبو سفيان: لنا عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم**»، فقال أبو سفيان: اعل هبل، فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: الله أعلى وأجل**»(١).

فليقل اليهود: عندنا أسلحة فتاكة، وصواريخ مدمرة، وجيوش جرارة، ووراءنا أمريكا وأوربا، فسنقول: الله مولانـا، ولا مولى لكم.

ليقولوا: قتلنا ألوفاً منكم، فسنقول: قتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار.

ليُعلوا من شأن شيطانهم وزعمائهم وطغاتهم، فسنقول: الله أعلى وأجلّ.

لكن لنجعل ولاءنا لله وحده، ولجوءنا لله وحده، وسيأتي النصر من الله وحده لا شريك له.

الجهاد وحرمة دم المسلم شيئان متلازمان:

ومع حرص النبي ﷺ وأصحابه ومن اتبع طريقهم على الجهاد في سبيل الله والذود عن حياضه، إلا أن الدم المسلم كان خطاً أحمر لا يجوز تجاوزه، ولا يسمح بالتعدي عليه، فالنبي ﷺ في خطبة حجة الوداع حذر وشدد كثيراً على حرمة الدم المسلم فقد وقف في أصحابه فقال: «**أي يوم هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه. ثم قال: «**أليس يوم**

---

(١) رواه البخاري (٤٠٤٣).

النحر؟» قالوا: بلى. قال: «**فأي شهر هذا؟**» قالوا: قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قالوا: بلى. قال: «**أي بلد هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليست البلدة (مكة)**» قالوا: بلى. قال: «**فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم تبارك وتعالى، ألا هل بلغت؟**» قالوا: نعم. قال: «**اللهم اشهد، ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلَّغ أوعى من سامع، ألا لا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[(١)].

كيف تكون مواقف العلماء الصادقين ؟

إن للعلماء كلمتهم المؤثرة، ومواقفهم المسؤولة في كل زمان ومكان، فعليهم أن يكونوا على قدر هذه المسؤولية، ويقوموا بواجبهم كما أمر الله ورسوله، وكما تتمناه وتتوقعه منهم أفراد الأمة الإسلامية، وأريد أن أذكر هنا بعضاً من مواقف العلماء المجاهدين الذين أدوا الأمانة كما أمر الله ورسوله، فشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- كان له موقفه المؤثر ضد التتار؛ فإنه لما هجم التتار على بلاد المسلمين لم يدع سبيلاً من سبل الجهاد- صغيراً أو كبيراً- إلا سلكه، فحث الناس على الجهاد بالنفس والمال، وسعى للقاء ملك التتار (قازان)، وكان ذلك سبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين من الأسر، وأمره كذلك لحاكم قلعة دمشق بالثبات وعدم تسليمها وكان من قوله: «لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت».

وكذلك حث السلطان في مصر على الخروج لقتال التتار، فقد قال له: «لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا ملوكه، واستنصركم أهله وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعيَّتكم وأنتم مسؤولون عنهم»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).
(٢) البداية والنهاية (١٤/ ١٥).

ولم يزل بهم حتى جردت العساكر إلى الشام، وكان- رحمه الله- من بين المنخرطين في جيوش المسلمين.

وكذلك العز بن عبد السلام- رحمه الله- فقد كانت حياته كلها جهاداً في سبيل الله من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك حمل السلاح للجهاد في سبيل الله، بالرغم من كبر سنه- رحمه الله .

وهذا واجب العلماء في كل زمان ومكان .

وكذلك على كل مسلم أن يجاهد في سبيل الله، كلٌّ حسب تخصصه وموقعه، فالجهاد يشمل كل وجوه الحياة، علمية كانت أو تقنية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اجتماعية أو نفسية.

فالجهاد واجب إسلامي كبير، ودعم المجاهدين الحقيقيين في سبيل الله ليس إرهاباً ولا تطرفاً، إنما هو وقوف في وجه الظلم والعدوان.

فمن وسط دم الشهداء يجب أن ينبلج الفجر الذي طال انتظاره، ومن رحم الركام والخراب والدمار الذي خلفه العدوان لا بد أن يولد المولود العظيم- مولود العزة والكرامة والوحدة- الذي هو مبتغى الشعوب ومراد الأمم العربية والإسلامية. فلنحترم هذه الإرادة، ولنسعَ لتحقيق ذاك المبتغى، وليوفق الله الجميع.



حسناً فعلت كويتنا الحبيبة حينما فتحت صدرها للأشقاء العرب، واستضافت الزعماء جميعاً على مائدتها الكريمة، ووسعتهم بأخلاقها العربية الأصيلة؛ فأقامت المؤتمر الاقتصادي والاجتماعي تحت عنوان (غزة). وتلك - لعمر الله - من بوادر الخير في الأمة التي تبرق بين الحين والآخر كبارقة خير وشعلة أمل وومضة ضياء مشعٍ، يستعيد من خلاله العرب كل خير فات، ويستجمعون قواهم المتعددة؛ ليقفوا على أرجلهم من جديد.

وهكذا فلتكن استفادتنا من أخطائنا وخلافاتنا استفادةً تبصرنا بمكامن الضعف فنعالجه، ومواطن القوة فننميها، ولا غرو أن نطلق على هذه القمة اسم (قمة الاستفادة)، نستلهم منها العبر، ونجني العظات، حتى نعود أقوى من ذي قبل تلاحماً واصطفافاً واجتماعاً ومحبة وأخوة، ومن ثم نجني ثمار النصر المنشود والفرحة المأمولة.

من التاريخ نتعلم :

وها هم الصحابة- رضوان الله عليهم- تعلموا من خطئهم يوم أحد حين غادر الرماة أماكنهم من على جبل الرماة، وحدث ما حدث، فكان ذلك درساً عظيماً لهم جنوا ثماره فيما بعد من معارك وغزوات، وما أحرانا أن نفعل كالذي فعلوا، ونفعِّل ضعفنا إلى ضعف، وتفرقنا إلى تفوق.

وما أجدر الحركات الإسلامية بأن تستفيد خيراً من مقومات الأمة الاقتصادية والاجتماعية، والعادات والتقاليد العربية الأصيلة، وتفعلها وتسخرها لخدمة

الحركة وأهدافها، فالذكي الحصيف هو الذي يعرف من أين تؤكل الكتف، وكيف يلعب اللعبة الصائبة، وكيف يدير الأمور وفق ما يريد ويتمنى ويشتهي.

ولعل لنا فيما فعل خالد بن الوليد يوم مؤتة عظيم عبرة؛ حيث عرف كيف يدبر أمره في أرض المعركة، على الرغم من قلة المسلمين عدداً وعُدَداً، فغير مقدمة الجيش فجعلها مؤخرة، والمؤخرة مقدمة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، حتى بث ذلك الرعب في قلوب الأعداء، ظانين أن مدداً ما كان يصل المسلمين من المدينة المنورة، فحسبوا لذلك حساباً جعل خالداً ينسحب من أرض المعركة في صورة الفائز المنتصر، فهو فوز معنوي، بل وحقيقي تماماً كفوز حركة حماس في معركتها الأخيرة مع العدو الإسرائيلي .

وهذا ما يسمى بحسن الإدارة، إدارة الأزمات، فيجعل الإنسان من الفشل نجاحا، ومن السقوط اندفاعاً نحو الأمام، ومن التعثر محطة للقيام من جديد.

وحين توظف الحركات الإسلامية ردة فعل الجماهير نحوها سلباً أو إيجاباً لصالحها، فإن ذلك يعني أنها بخير وعلى ما يرام، وإنني أذكر جيداً كيف أن كثيراً من الدعاة الناجحين ووسائل الإعلام الهادفة جعلت من موضوع نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ مناسبة لإيصال رسالة واضحة إلى الغرب وبلغات عدة تبين حقيقة هذا الرسول وحقيقة هذه الدعوة الحقة التي جاء بها، فكان أن دخل في الإسلام عدد لا يحصى من الغربيين، وكانت المحنة منحة، ورُبَّ ضارة نافعة- كما يقال.

على أن المحنة التي تعصف رياحها الهوجاء بالأمة الإسلامية من خلال محاربة الحركات الإسلامية توجب على الأمة **وعلينا - معشر المسلمين - أن نعي أن هذا الدين قد يمرض، لكنه لا يموت، وكم ردد الغربيون: نخشى أن يظهر محمد جديد في الشرق، أو يستيقظ الرجل النائم (الإسلام)، أو**

يَصِحَّ الرجل المهيض المريض.

ولولا أن الإسلام حق بذاته، مؤيد بتأييد الله، محفوظ بحفظه، لم تبق منه بقية تصارع قوى الشر في الأرض التي ما تركت سبيلاً من المكر به إلا سلكته، ولا سبباً لإطفاء نوره إلا أخذت به، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(١).

ووالله ما تعرض دين على مر السنين والعقود لمؤامرات ومخططات كما تعرض الإسلام، ولكن الله يقيض لهذا الدين رجالاً يحافظون عليه، ويدافعون عنه، ولا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، مصداق قول النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طائفَةٍ مِّنْ أُمَّتِيِّ ظاهَرِينِ عَلَىَ الحْقَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ**»(٢).

فالإسلام قادم لا محالة، قادم وبقوة، مهما أحدقت به المخاطر والأزمات.

فكم زالت رياض من رُباها ... وكم بادت نخيل في البوادي
ولكن نخلة الإسلام تبقى ... على مر العواصف والعوادي

خيار المقاومة:

وكل هذا رهن بأن نوفر له أسباب القوة، ونحفظ له عوامل المنعة والاستمرار والبقاء، وذلك من خلال ألا نلغي خيار المقاومة، **ولا نعطل لغة الصراع مع اليهود، فهي اللغة الوحيدة التي يفهمها اليهود، وهي اللهجة والنبرة التي ترتاح لها آذانهم، وقديماً قيل: من لم يفهم بقوة المنطق أُفهم بمنطق القوة. وهم كذلك.**

واقرؤوا إن شئتم التاريخ، فستجدون أنهم أقوام لا تجدي معهم

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) رواه مسلم (١٩٢٠).

التفاهمات ولا الحوارات ولا معاهدات السلام، إنما القوة فحسب.

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

من غزوة بني قريظة نستفيد :

في غزوة بني قريظة وبعد أن تعاون يهود بني قريظة مع الأحزاب، ونقضوا العهد مع رسول الله ﷺ كعادتهم ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وحاصرهم رسول الله ﷺ في حصونهم، وجمعهم في صعيد واحد، وحكَّم فيهم حليفهم سعد بن معاذ- رضي الله عنه- فحكم فيهم أن تسبى نساؤهم، وتقتل ذراريهم، فقال رسول الله ﷺ : «**الله أكبر! لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات**».

فإذا كان هذا حكم الله- عز وجل- فيهم جزاءً لطبيعة الغدر المتأصلة في نفوسهم، واللؤم المتجذر في قلوبهم، فأحرى بنا أن نضع هذه الحقيقة نصب أعيننا، ونعلم أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن تستثير القياداتُ السياسية والحركية في الأمة عواملَ اليقظة الإسلامية وأسباب الصحوة الدينية، وتسقط الضوء على صبر غزة ومصابرتها وعنفوانها وأنفتها في وجه الآلة الإسرائيلية الكاسحة وتستخلص منها الدروس التالية:

دروس للتاريـخ:

١- لا صحة لما يقال من أن الجيش الإسرائيلي جيش لا يقهر، وسلاحه لا يفل ولا يكسر.. من قال هذا؟ بالأمس القريب فعل حزب الله ما فعل بإسرائيل وجيشها.. واليوم غزة العزة تصنع المجد من جديد، وترسم لوحة جميلة، وتسطر أروع الصفحات في تاريخ الجهاد الإسلامي.

٢- أهمية استثمار وإذكاء روح المقاومة والغيرة على المقدسات والحرمات في حياة الأمة. فهي كالوقود المحرك لها .

---

(١) البقرة: ١٠٠.

٣- وضوح أن الإسلاميين عصب حياة كل مجتمع، فبدونهم لا تقوم قائمة للحياة الإسلامية الشرعية الصحيحة، وهم الذين لهم شعبية واسعة وأرضية جماهيرية قوية وصلبة، فعلى القيادات كسب الإسلاميين إلى جانبها في عملية البناء الصحيح للأمة.

٤- ضرورة وضع الشعوب العربية والإسلامية- بل وحتى غير العربية والإسلامية منها- في صورة الوضع الراهن، وتوضيح حقيقة هذا العدو المتربص بالأمة، وأنه عدو لا كالأعداء، عدو لا يرعى حرمة للعهود ولا للمواثيق ولا للشرعية الدولية، بل يرى نفسه فوق هذه القوانين، وهي إنما وجدت للغير لا له، وأقرت ليتميز هو، ووضعت ليفوز وحده لا غير، فهو كما يسمي نفسه (شعب الله المختار)، فعلى الأمم أن تركع أمامه، وتذل له، وتقدم بين يديه فروض الطاعة، وتلهج ألسنتها بذكره، وتحسب له الشعوب ألف حساب.

حلول إسرائيل لإثبات وجودها:

وحتى لا تنسى هذه الحقيقة، وكي لا تغفل عنها الشعوب الأخرى- وبالأخص المسلمة منها- فهم يقومون بين الفينة والأخرى بما يدلل على همجيتهم، ويبرهن على حقيقة هذا الكيان الإجرامي من خلال إيقاع الفتن بشعوب المنطقة، واللعب على أكثر من حبل، وبث الأكاذيب للوقيعة بين أبناء البلد الواحد والدين الواحد، وإذا لم يُجْدِ شيء من هذا نفعاً، فالحل وارد عبر استخدام النفوذ النافذ في أروقة الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية الدولية، وفي عقول وأذهان صناع القرار الغربي بشقيه الأمريكي والأوروبي.

وإذا لم ينالوا ما يطلبون عبر هذا، فالحل الحتمي إنما هو في أسلحة الدمار الشامل المخففة من الصواريخ والقذائف الجوية وقنابل الطائرات والقصف المدفعي بالدبابات براً، وبالزوارق والسفن الحربية بحراً، وبكل وسيلة متاحة للوصول إلى تدمير البُنى التحتية لخصومهم، ولو كان ذلك باستخدام

الأسلحة المحرمة دولياً (القنابل الفوسفورية البيضاء الحارقة)، وهي أسلحة كيمائية غريبة قاتلة تستخدم لأول مرة كتجربة في المسلمين في فلسطين، وياللعجب أوَصل المسلمون إلى هذه الدرجة من الذل والصَّغار، حتى صاروا حقل تجارب لأسلحة العدو كما تستخدم الفئران البيضاء موضع تجربة لكثير من العقاقير والأدوية الحديثة المبتكرة؟!!

تحديات الموقف الحالي:

وعلى أية حال وأمام تلك الحقائق الظاهرة والخافية يملي علينا الموقف- كمسلمين-أن نسعى إلى تثبيت المقاومة، وتشجيعها، ومدها بالقلم والمال واللسان، ومشاركتها بشتى أنواع الجهاد، والوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، وعدم التخاذل أو التنازل عن مناصرته، فهو اليوم يدافع باسم الأمة جمعاء، ويقف على ثغر من ثغور المسلمين عظيم، ويوشك إن انهار هذا الثغر أو اتسع ذلك الخرق أن يتعدى الأمر إلى بقية أجزاء جسد الأمة الإسلامية والعربية.

علينا أن نتوافق على قطع جميع العلاقات، وبالأخص التجارية التي توصل أموالنا إلى أيدي الأعداء، فيعيدونها إلينا أسلحة وقتلاً وتدميراً، ولا يستهينَنَّ امرؤ بهذا الأمر، ولا يسخرنَّ من الأخبار التي تؤكد وجود شركات غربية- **ثبت انتماؤها لإسرائيل أو المركز اليهودي المالي أو تقوم بالدعم المباشر لدولة إسرائيل-** أعلنت النفير العام، وطالبت الشعوب الغربية بنجدة إسرائيل، إنْ من خلال التبرعات، أو من خلال ضخ الأموال في مصارف المساعدة الصهيونية.

إسلامية .. لا عربية ولا قومية :

علينا ألا نتناسى إسلامية قضية فلسطين.. أقول :إسلامية ولا أقول: عربية؛ لأن الإسلام هو النطاق الذي يجمعنا ويلم شعثنا، وما ضعنا إلا يوم تمسكنا بالتعصبات القومية لا الاعتزاز بالعروبة ، ولا نُرجعنَّ السبب في ذلك

إلى القومية الطورانية التي أتى بها الأتراك أواخر الدولة العثمانية؛ فذلك أمر أوجده أعداء الإسلام وأذنابهم من أعضاء جمعية «تركيا الفتاة» الماسونية التي كان هدفها تقسيم المسلمين؛ للاستيلاء عليهم من خلال إيجاد فكرة القوميات والعصبيات، وكان لهم ما أرادوا، فلا يجوز أن نقدم العروبة دائماً في قضايانا الإسلامية المصيرية وغير المصيرية- إلا بافتخارنا بها كلغة ورابطة- وإلا تخلى عنا الكثير من المسلمين في شتى أصقاع الأرض في أندونيسيا وماليزيا والهند وباكستان وأفغانستان وتركيا .

ولمن يتهم تركيا بأنها أول من أوجد القوميات نقول: ها هم الأتراك تخلوا عن الفكرة القومية، ونبذوا العرقية الطورانية، **وها هي المواقف المشرفة لرئيس وزرائها وحكومته حتى في قلب عاصمة رئيسة الاتحاد الأوروبي (بروكسل) لتؤكد أنه لولا الإسلام لما وقف المسلمون الأعاجم اليوم هذه الوقفات المساندة للقضية الفلسطينية، فإسلامية قضايانا- وعلى رأسها فلسطين- أمر ينبغي أن يكون في المقام الأول وفي المقدمة، ونتجاهل القومية؛ فإنها بغيضة، وكما قال عليه الصلاة والسلام: «دعوها فإنها منتنة»**[1].

ونحن اليوم وقد وضعت الحرب أوزارها، وانطفأ لهيبها، وخَبَا نارها وأوارها، ينبغي أن نعيد قراءتنا للحرب مع هذا العدو، فننظر في النتائج والآثار، ونقرأها قراءة عكسية، قراءة فيما وراء الحدث، قراءة لا تقف عند ظواهر الأشياء بل تغوص في عمق الأحداث، ولا تقيس الشيء قياساً مادياً فحسب.. إننا قد نكون خسرنا الكثير من الأموال والأنفس والثمرات، لكن العاقبة في جميع ذلك لنا إن شاء الله ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

(١) رواه البخاري (٤٩٠٥).

(٢) القصص: ٨٣.

صحيح أن غزة ضحت برجالاتها ونسائها وأطفالها وشيوخها وقادتها وعلمائها، لكن مقعد الصدق عند المليك المقتدر هو بانتظارهم، ويكفي أن يكون من عاجل بشراهم شرف الجهاد والاستشهاد.

حضرت الخنساء بنت عمرو بن الشريد السُّلمية حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال، فكان مما قالته لهم: يا بَنيَّ إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، ووالله الذي لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غبرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[(١)]. فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى على سياقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد والمقامة. فخرج بنوها قابلين لنصحها، عازمين على قولها، فلما أضاء لهم الصبح باكروا مراكزهم ودخلوا الحرب حتى استشهدوا جميعاً. فبلغها الخبر فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته[(٢)].

فشرف الاستشهاد لا يعلوه شرف، ولا عزاء للجبناء والخونة إلا أن يعيشوا في زوايا المهملين المنسيين.

أهمية دروس السيرة في فهم ما يحدق بنا من مخاطر :

أترون كم هي كثيرة العبر التي نستلهمها من سيرة نبينا- عليه الصلاة

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.

(٢) الوافي في الوفيات (١/ ١٤٦١).

والسلام- وسيرة أصحابه- رضوان الله عليهم.

وإننا حين نجعل هذه العبر زاداً في جعبتنا، ورائداً لنا في صراعنا مع اليهود، تتفتق أمامنا أفق لم نكن لِنَلِجها لولا هدي القرآن والسنة، وخفايا من طباع اليهود لم نكن لنقف عليها لولا كشف الله ورسوله عنها، **فمعرفة نفسية اليهود وطباعهم وأخلاقهم عون على الظفر عليهم. وغريب من بعض أبناء جلدتنا أن يُشيعوا عن إخوانهم في فلسطين كل ما يزعزع الثقة بهم، ويقوي الثقة بأعدائهم، ويصورون يهود في صورة الأشاوس الأبطال، وهم أقل من هذا شأناً.**

كيف والله تعالى فضح أمرهم وبين جبنهم في قرآنه، وقوم هذا طبعهم، والمكر والخديعة والروغان شِيمتهم- لحري أن يتعامل معهم ومع من يساندهم ويتعاطف معهم بلغة خاصة وطريقة فريدة هي لغة القوة وطريقة القسوة.

ولقد دلل على شيء من هذا أمير البلاد- حفظه الله- في المؤتمر الاقتصادي فقال: **إن مماطلة إسرائيل في تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بوقف إطلاق النار في غزة تبرهن للعالم مرة تلو الأخرى على حقيقة نواياها في الاعتماد على حق القوة وتجاهل قوة الحق.**

ولفت سموه إلى أنها ستكون مخطئة إذا ظنت أن منطق القوة كفيل بتحقيق الأمن والاستقرار، ولها في تاريخها شواهد كثيرة.

الثبات مدرسة على مر التاريخ:

ليس كمثل الثبات في الوصول إلى الأهداف والغايات، وليس كمثل الثبات مدرسة تعلم الإنسان قيمة قِيَمه وأهمية مبادئه، والثبات حياة قائمة بذاتها على مر التاريخ، ولو أدى ذلك إلى الموت من أجل المبادئ، فكم بسببها أزهقت أرواح وسالت دماء!! وكم من أجلها قدمت أمهات أولادهن وزوجات أزواجهن!!

وتلك هي القيمة الحقيقية والدافع الكبير للثبات، ويرحم الله القائل: الثبات نبات ومن ثبت نبت.

من روائع قصص الثبات على مر التاريخ:

تروي لنا مدرسة الثبات كثيراً مما جرى في أروقتها لأبنائها من غابر التاريخ وحديثه، ابتداء من ماشطة فرعون التي ضحت من أجل إيمانها، وثبتت عليه؛ فشم النبي ﷺ رائحتها الزكية ليلة أسري به. ومروراً ببلال بن رباح وعمار بن ياسر وأبيه وأمه. ووقوفاً عند خبيب بن عدي- رضي الله عنهم أجمعين.

يقول الإمام الصالحي عنه[1]: فأخرجت قريش خبيباً لما أسروه في الحديد، حتى انتهوا به إلى التنعيم، وخرج معه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكة. فلما انتهوا به إلى التنعيم أمروا بخشبة طويلة فحفروا لها. فلما انتهوا بخبيب إليها قال: «هل أنتم تاركيَّ فأصلي ركعتين؟» قالوا: نعم. فركع ركعتين، أتمهما من غير أن يطول فيهما.

ثم أقبل على القوم فقال: «أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة». فلما صلى الركعتين جعلوه على الخشبة، ثم وجهوه إلى المدينة، وأوثقوه رباطاً، ثم قالوا له: ارجع عن الإسلام نخلِّ سبيلك. قال: «لا والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعاً». قالوا: أفتحب أن محمداً في مكانك وأنت جالس في بيتك؟ قال: «لا والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنا جالس في بيتي». فجعلوا يقولون: ارجع يا خبيب. فقال: «لا أرجع أبداً». قالوا: أما واللات والعزى، لئن لم تفعل لنقتلنك. فقال: «إن قتلي في الله لقليل». ثم قال: «اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو الله، إنه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام، فبلغه أنت عني السلام».

---

(١) سبل الهدى والرشاد (٦/ ٤٤).

فلما رُفع على الخشبة استقبل الدعاء. وكان رسول الله ﷺ جالساً في أصحابه فأخذته غمية كما كانت تأخذه، فلما نزل عليه الوحي سمعه الصحابة يقول: «**وعليه السلام ورحمة الله وبركاته**». ثم قال: «**هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام**».

وانتهاء عند المجاهد الكبير عمر المختار الذي عُرض عليه في مقابل العفو عنه وعدم شنقه وإعدامه، أن يكتب إلى المجاهدين في الجبال أن يتخلوا عن مقاومة الطليان ويعطلوا لغة الجهاد، فقال - وهو على خشبة الإعدام: **إن أصبعاً تشهد في الصلاة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ما كانت لتكتب كلمة غدر وذل واحدة.**

فليسمع الناس وليعلم الآخرون ما لدينا من تاريخ عريق في باب الثبات على المبادئ واسترخاص الموت من أجلها، وليس من ذلك شيء للآخرين.

وإننا اليوم لن نكون كما كنا بالأمس، إلا إذا أحيينا الجهاد من جديد، وضربنا عدونا بيد من حديد، وفق الضوابط الشرعية التي تحقق الهدف المنشود في العزة والكرامة، وبقاء راية الإسلام عالية خفاقة.



آلمني كثيراً في غمرة أحداث غزة المنكوبة، ما قرأت في بعض الصحف، وما وقعت عليه عيناي من تحليلات بعض الكُتَّاب، وما تشدق به الخطباء على المنابر، مما يحز في القلب، ويحزن النفس، ويحشد الجموع لحصار غزة فوق حصارها، وضربها فوق ضربها، وفعل ما لا تفعله مدافع العدو فيها.

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة
فقالت: كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا

دخل عليَّ أحد الشباب بعد صلاة الفجر وهو متأثر يكاد يشرق بريقه، ويغالب لوعة في كبده ودمعة في عيونه، فلما استبينت ما به، وما السبب في أسفه وبلواه، قال: إن رجلاً من المصلين ممن عليه سيما التقى والوقار والانضباط الشرعي والالتزام قال بالأمس لبعض أصحابه من الشباب في معرض حديثه عن غزة وحربها مع الآلة الصهيونية: أتمنى أن تهزم حماس وأتمنى.. وأتمنى. وراح الشاب ينقل لي بعضاً من كلام ذلك الملتزم المحتشم، ثم أتبع قائلاً: مع أني لا أنتمي إلى حركة حماس، ولا أنتسب إلى جمعية الإصلاح، ولم أخرج في مسيرة، ولم أندد في مظاهرة، ولكني كنت مع أهل غزة بقلبي وقالبي وجسدي وروحي، وكنت أدعو لهم في صلاتي، فلما انتهى من كلامه التقطت أنفاسي، واستجمعت أفكاري ألا تطيش، وصوابي ألا أفقده، وغضبي ألا يثور، فقلت له ما قاله علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- حين قال له الحارث بن حوط: أظن طلحة والزبير وعائشة اجتمعوا على باطل. فقال: يا حارث إنه ملبوس عليك، وإن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه(١).

(١) تاريخ اليعقوبي.

قلت: وأنت هوِّن عليك يا أخي، إن الحق لا يعرف بفلان أو فلان مهما بلغ من التقى والصلاح، ولكن الرجل الحق والوقاف عند حدوده هو من يتبع الحق، فبالحق نُجِلُّه، وبالتزامه بالحقيقة والصواب نقدر له ذلك.

قال: أوَ أتبرأ من هذا الذي يدعو على حماس بالهزيمة ويتمنى لها خسارة معركتها المصيرية الحربية والسياسية، فقلت له: هون عليك، ودع عنك أولئك الذين يريدون أن يروا الأشياء كما يحبون، ويتصوروا الحقيقة كما يشتهون.. أولئك أناس أقاموا أنفسهم على الناس مقام الرقيب الحسيب، وجعلوا الأمر بيدهم، وحكراً عليهم، وراحوا يطلقون ألقاب البطولة والشجاعة على من يشاؤون، والخيانة والجبن على من يكرهون.. أولئك أقوام سموا الأمور بغير مسمياتها، فالغيبة عندهم نصيحة لله وإظهار للحق.. وسموا البهتان والافتراء تعرية للمبطلين وإنقاء للصف، وسموا النميمة توضيحاً للحقائق وتعريفاً بالأعداء والمتربصين.. وظلوا في غيِّهم سادرين، تشتعل قلوبهم حسدا، وتتلظى صدورهم ظلمة؛ حتى أمسوا طابوراً خامساً من أجل حفظ العباد والبلاد!!

وما أكثر هؤلاء في أمتنا اليوم الذين لا يزيدون الأمة إلا خبالاً، ويوضِعُون خلالها، ويخدمون الأعداء من حيث لا يشعرون، وتلك نعمة ومنة لهم على الأعداء، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد كنا نتوقع من أمثال هؤلاء أن يقابلوا هذا التدمير الذي أنزله أعداء الأمة بالأمة بالتنديد والنكير، وهو أضعف الإيمان، وأقل ما يمكن أن يفعله مسلم قعد به إيمانه الضعيف عن مساعدة إخوانه.

الجهاد باللسان أيسر ما بالإمكان:

قال ابن رجب الحنبلي: رُوي عن أبي جحيفة قال: قال علي: إن أول ما تغلبون عليه من الجهادِ: الجهادُ بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد

بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر، نكس فجعل أعلاه أسفله[١].

وسمع ابن مسعود رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر؛ فقال ابن مسعود: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر.

يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة.

وقال ابن مسعود: يوشك من عاش منكم أن يرى منكراً لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره.

واعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل على رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين، والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لعقوبة الله وغضبه في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يطاع، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وأن يفتدي من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال[٢].

قلت لذلك الشاب: أما وجد هذا الذي تمنى الهزيمة لحماس ومن على شاكلته شيئاً من هذه الغايات التي ذكرها ابن رجب حتى ينكر ما فعلته إسرائيل بالمسلمين في غزة .

ضرورة الوقوف إلى جانب المسلمين ضد الأعداء :

لا ينبغي إيذاء المسلم بأي طريقة من طرق الإيذاء، ولو كان إيذاء بدون قصد، فكان مما قاله عليه الصلاة والسلام: «**وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا**- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه**

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٥٠٤)، تحقيق كمال يوسف الحوت.

(٢) من جامع العلوم والحكم.

المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[١].

فالمؤمن مأمور أن ينصر أخاه كما قال النبي ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قال: يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «**تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه**»[٢].

وأخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبدالله عن النبي ﷺ قال: «**ما من امرئ مسلم يخذل امرأً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته، ويُنتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وتنتهك فيه حرمته، إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته**»[٣].

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**من أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره، أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة**»[٤].

وخرَّج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: «**من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيعُ، نصره الله في الدنيا والآخرة**»[٥].

بل راح النبي- عليه الصلاة والسلام- إلى أبعد من هذا، فاعتبر الإعانة على قتل مسلم وإزهاق روحه سبباً من أسباب استحقاق سخط الله والبعد عن رحمته ومغفرته ورضوانه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله**»[٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٥٥)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٤)، وضعفه الألباني.

(٤) رواه أحمد (٣/ ٤٨٧)، وضعفه الأرناؤوط.

(٥) رواه البزار (٥/ ١٣٢).

(٦) رواه ابن ماجه (٢٦٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٢)، وضعفه الألباني.

فأين تذهبون؟ وبمن تتربصون الدوائر؟ أبإخوانكم المسلمين ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾[1]؟ هل تتوقعون لنا إلا النصر أو الشهادة؟ وهل أشرف من أن تسقط قتيلاً في ساح الوغى، وتقدم روحك رخيصة في سبيل الله، فتغيظ بذلك الأعداء والشامتين؟

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسرُّ الصديق وإما ممات يغيظ العدا

حال المتربصين بالحركات الإسلامية المجاهدة:

تحكي كتب التاريخ أن الفقيه المالكي أشهب بن عبد العزيز، وبحكم الغيرة التي كثيراً ما تكون متوافرة في حياة الكثيرين من طلبة العلم والعلماء إلا من رحم ربك، وقد قال ابن عباس: استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها.

أشهب هذا كان يدعو على الإمام الشافعي بالموت، ويتمنى له الزوال؛ نظراً للمجد الذي تبوأه في مصر، وكاد يأتي به على مذهب الإمام مالك أو يضعفه في نفوس أهل مصر، فبلغ خبر دعائه على الشافعيِّ الشافعيَّ فقال رضي الله عنه:

تمنَّى أناسٌ أن أموت وإن أمُتْ فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى وإما تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

فمات الشافعي ومات أشهب بعده بثمانية عشر يوماً.

وبمثل ما قال الإمام الشافعي نرد على من يتوقع الزوال، ويتمناه للحركات الإسلامية والمنظمات الجهادية التي تقوم على ثغر من ثغور المسلمين، وتذب عن بيضة الإسلام، وتدفع عنه.

---

(١) التوبة: ٥٢.

يا لفرحتك يا إسرائيل اليوم !!!

وإني لأتصور كم هي عظيمة فرحة إسرائيل ومخابراتها بتلك الأقلام المسعورة المأجورة في بلاد المسلمين، والتي راحت تنهش في لحم حماس، وتؤلب عليها في المحافل وفي الصحف، ناسية أو متناسية الظلم والقهر الذي عانى منه الشعب الفلسطيني في غزة في فترة التهدئة، فمات من مات من الجرحى في المستشفيات؛ لأن أبسط أدوات الجراحة وعلاجها لم تتوافر لهم، وجاع من جاع؛ لأن الماء والهواء والكهرباء قطع عنه وعن أولاده.

أليس هذا ظلمًا بيِّنًا وجورًا فاحشًا في أبسط الموازين العقلية والدولية؟ ألم يكن من الأجدر أن نقف مع المظلوم ضد الظالم؟ ولو بأن نشجب ظلمه وندد به، وقد صرنا أمة الشجب والتنديد، لا التهديد والوعيد.

من روائع الفوائد العملية التي نستفيدها من السيرة النبوية:

لقد قرأنا من سيرة النبي ﷺ أنه كان يقف مع المظلوم وإن كان كافراً في وجه الظالم الكافر.. كيف ذلك؟!!

قال ابن إسحاق: وقد كان عدو الله أبو جهل مع عداوته لرسول الله ﷺ وبغضه إياه يذله الله إذا رآه.. حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي- وكان واعية- قال: قدم رجل من إراش بإبل له مكة، فابتاعها منه أبوجهل، فمطله بأثمانها، فأقبل الإراشي حتى وقف على نادٍ من قريش ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد، فقال: يا معشر قريش مَنْ رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام؛ فإني غريب ابن سبيل، وقد غلبني على حقي. فقال له أهل ذلك المجلس: أترى ذلك الرجل- لرسول ﷺ يهزأون به؛ لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة- اذهب إليه فهو يؤديك عليه. فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا عبد الله، إن أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قِبَله، وأنا غريب ابن سبيل، وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حقي منه، فأشاروا لي إليك، فخذ

لي حقي منه- يرحمك الله. قال: انطلق إليه، وقام معه رسول الله ﷺ، فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم: اتبعه فانظر ما يصنع. قال: وخرج رسول الله ﷺ حتى جاءه، فضرب عليه بابه، فقال: مَن هذا؟ فقال: محمد فاخرج إليَّ، فخرج إليه وما في وجهه من رائحة، لقد انتقع لونه، فقال: أعط هذا حقه، قال: نعم، لا يبرح حتى أعطيه الذي له، فدخل، ثم خرج إليه بحقه، فدفعه إليه، فأقبل الإراشي حتى وقف على ذلك المجلس فقال: جزاه الله خيراً، فقد والله أخذ لي حقي.

وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا: ويحك ماذا رأيت؟

قال: عجباً من العجب!! والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه، فخرج إليه وما معه روحه، فقال: أعط هذا الرجل حقه، قال: نعم لا يبرح حتى أخرج إليه حقه، فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه.

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا: ويلك ما لك؟ والله ما رأينا مثل ما صنعت قط!!!

قال: ويحكم، والله ما هو إلا أن ضرب عليَّ بابي وسمعت صوته فمُلِئتُ رعباً، ثم خرجت إليه، وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل، ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط، والله لو أَبَيْتُ لأَكَلَنِي(١).

غلبت الروم:

بل إن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يحبون- وهم في مكة- أن يظهر الروم وينتصروا على الفرس؛ بحكم أنهم أهل كتاب والمجوس أهل أوثان، قال الألوسي:

رُوي أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى، فغلبوا عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة، فشق ذلك عليهم، وكان ﷺ يكره

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٨٩)، تحقيق السقا.

أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح الكفار بمكة، وشمتوا، فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنَّ عليكم، فأنزل الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[1] الآيات، فخرج أبو بكر- رضي الله تعالى عنه- إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يُقِرنَّ الله تعالى عينكم، فوالله تعالى لَيَظْهَرنَّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أبي بن خلف فقال: كذبت، فقال له: أبو بكر- رضي الله تعالى عنه: أنت أكذب يا عدو الله تعالى، أناجيك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين، فناجاه، ثم جاء أبوبكر إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايِدْه في الخطر، ومادِّهِ في الأجل**»

فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت؟ قال: لا. تعال أزايدك في الخطر، وأمادك في الأجل، فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين. قال: قد فعلت. فلما أراد أبو بكر الهجرة طلب منه أبي كفيلاً بالخطر إن غلب، فكفل به ابنه عبد الرحمن، فلما أراد أبي الخروج إلى أحد طلبه عبد الرحمن بالكفيل، فأعطاه كفيلاً. ومات أُبي من جرح جرحه النبي ﷺ، وظهرت الروم على فارس لما دخلت السنة السابعة[2].

موازنة عقلية ومنطقية:

فاربأ بنفسك، أيها الشامت، بأهل غزة أن تتربص بهم الدوائر، وتمنى لهم الهزيمة والخذلان، فهذا رسول الله ﷺ انتصر للإراشي الكافر المظلوم من الظالم أبي جهل، وتمنى وأصحابه أن ينتصر الروم بحكم أنهم أهل كتاب على

---

(١) الروم: ١، ٢.

(٢) تفسير الألوسي (١٥/ ٣٢٤).

الفرس أهل النار المجوس. إذاً هي موازنة عقلية، واختيار الانحياز إلى جهة قد نجتمع معها في بعض النقاط، ونتفق معاً على بعض الأمور التي تقرب وجهات النظر، دون التنازل عن مبادئنا وقيمنا وأخلاقنا.

ولما كانت حماس عند البعض هي المظلومة، والظالم متفق على ظلمه بنص الكتاب والسنة، كان حقاً علينا وواجباً أن نقف إلى جانب أهلنا في غزة.

امرأتان ودرسان للتاريخ والشعوب :

ثم إن الظلم اليهودي قد وقع على أناس حققوا العقيدة الصحيحة، لا كما حققناها نحن من خلال القرطاس والقلم والكتاب، ودرسناها في الفصول ومقاعد الدراسة ونحن ننعم بكل وسائل الراحة الأمريكية والأوروبية.. أولئك (أهل غزة وحماس) حققوها من خلال واقع سلوكي وعملي وتطبيقي، وإلا فبماذا نفسر قول تلك المرأة لإسماعيل هنية: لقد استشهد أولادي الأربعة، وبقي اثنان، وإني أدفع بهما إلى ساحة الشهادة، فإياك والتنازل عن الحق، وعليك بالثبات الذي أمرنا الله به؟؟

أية تربية عظيمة ورثت هذا الثبات العظيم؟؟ (هذه القصة تناقلتها وسائل الإعلام، وليست من نسج الخيال، ولولا أننا سمعناها بآذاننا لظننا أنها من اختلاق القُصَّاص).

وتلك المرأة التي قيل لها: إن ابنك تعاون مع اليهود، وتجسس على إخوانه الفلسطينيين، وقد نفذ فيه القصاص، فإن شئت فانظريه قبل الدفن، فذهبت مع كبر سنها حتى إذا أتته قالت: أرونيه، فكشفت عن وجهه فوضعت قدمها على رأسه وقالت: هذا جزاء الخائن لدينه وأمته.

ولو كان النساء كمثل هذي ... لفُضِّلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ... ولا التذكير فخر للهلال



شأنها شأن غيرها من سنن الله- عز وجل- والقوانين الثابتة في هذا الكون، تأخذ سنة ابتلاء أهل الحق فيما اختاروه واعتقدوه وصراعهم الطويل مع الباطل مكاناً لها بين تلك السنن، وتحجز حيِّزاً لها بين تلك الثوابت الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل، مصداق قول الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[١].

وحين يدرك أصحاب الحق هذا، وتعيه قلوبهم، وتتفهمه عقولهم يدركون أن الطريق في هذه الحياة لن تكون مفروشاً بالورود كما يظن البعض، وليست معبدة دون حواجز فيها أو موانع كما يُتوقع، لا أبداً، فهي مليئة بالمصاعب، محفوفة بالمخاطر، مرصوفة بالشدائد والابتلاءات، فليوطنوا أنفسهم على ذلك، وليتهيؤوا مسبقاً لتلقي تلك الصعاب ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[٢].

لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُوْدي :

لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ واعتراه ما اعتراه من الهلع والخوف، وشكا إلى خديجة ما به، وحكت خديجة لابن نوفل ما جرى، وكان ورقة بن نوفل رجلاً تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، وكان قد عمي في آخر عمره، فاستمع من النبي ﷺ ما حدث له، قال له: هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً (شاباً يافعاً)، ليتني أكون حياً إذ

(١) هود: ١١٨- ١١٩ .
(٢) العنكبوت: ٢.

يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مخرجيَّ هم؟» قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً(١).

فكلمة (رجل) نكرة في سياق النفي- كما يقول النحاة- والنكرة في سياق النفي تعم.. إذاً فكل من دعا إلى الحق والهدى سيُعادَى ويُحارَب ويرمى عن قوس واحدة ممن حوله، كما نال ذلك من رسول الله ﷺ وأصحابه.

عن خباب بن الأرت- رضي الله عنه- قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة متوسداً بردة له فقلنا: يا رسول الله، ادع الله تبارك وتعالى لنا واستنصره، قال: فاحمر لونه أو تغير، فقال: «**لقد كان مَن كان قبلكم يحفر له حفرة، ويُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق، ما يصرفه عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظم من لحم أو عصب، ما يصرفه عن دينه، وليتمنَّ الله تبارك وتعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت، لا يخشى إلا الله تعالى والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون**»(٢).

فلا يحسبنَّ أهل الحق أن الطريق أمامهم ستكون مفروشة بالورد والرياحين، ولا يحسبون في يوم من الأيام أنهم سيؤخذون بالأحضان، فما جاء أحد بمثل ما جاء به المرسلون إلا عودي، وصدق ورقة بن نوفل.

وقد يكون طريق الفنَّان والمغني والممثل والكاتب المسرحي والصحفي مفروشاً بالورود، ولكن ليس ذلك لأهل الحق والصدق.

الحق والباطـــل بين الكثرة والقلة :

على أن أمراً قد يجول بذهن دعاة الحق، ويدور بخلدهم، ويخطر على قلوب البعض منهم مِن تداعي أهل الباطل على الحق، ومحاربتهم إياه،

---

(١) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠/ ٢٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٢)، وأبو داود (٢٦٤٩).

وتكاتفهم في ذلك، حتى إنه ليرى للعين أنهم- أي الباطل وأهله- من الكثرة بمكان، بما يوحي إلى البعض أن الحق هو ما كثر مناصروه والباطل ما قل مؤيده.

هكذا قد يبدو الأمر للوهلة الأولى، ويظهر لضعاف النفوس، ويتراءى لكل من لم تطهر نفسه بطهر الإسلام، ولم تلامس بشاشة الإيمان شغاف قلبه.

إن الفضيلة والرذيلة والحق والباطل مُذْ ولدوا بولادة البشرية والحرب قائمة بينهم، والصراع محتدم فيهم، فابتداء بصراع الحق والباطل من خلال قصة آدم وإبليس، ومروراً بالنزاع الذي قام بين قابيل وهابيل، وانتهاء بتنازع الوجود والبقاء على ساحة الحياة بين الإسلام والكفر.

كل هذه المراحل التي مرت بها تلك الحرب الضروس وعدد أهل الحق في قلة والباطل في كثرة- في أغلب الأحيان طبعاً- فهل هذا يعني أن ينتقل الصواب من جانب الحق إلى جانب الباطل؟

هل كثرة عدد النصارى والصليبيين اليوم في المعمورة وبلوغهم أكثر من ملياري نسمة يعني أنهم على الحق؟ لا.. أبداً.

هل وقوف أغلب الدول الأوروبية والأمريكية خلف إسرائيل ودعمها لسياساتها العدوانية والاستيطانية يوحي أنها على حق؟

هل تهميش الحركات الإسلامية في جميع دول العالم يعني أنها حركات إرهابية، وأنها عقليات لا تفقه في السياسة شيئاً، وهي بعيدة كل البعد عن الحق والصواب؟ لا.. أبداً.

إن الحق حق مُذ ولد وحتى يموت، والباطل كذلك، لا يغير من حقيقتهما كثرة ولا قلة، ولا مدح مادح ولا ذم ذامٍّ.

يقول الدكتور مصطفى السباعي- رحمه الله- في كتابه الممتع «هكذا علمتني الحياة»:

لا يقاس الحق والباطل بقلة الأنصار أو كثرتهم، ففي كل عصور التاريخ- بلا استثناء - كان الباطل أكثر أتباعاً ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[١] .

ولو كان تألب الناس على الحق دليلاً على بطلانه لكان حقنا في فلسطين باطلاً، فإسرائيل لا تزال تخدع الرأي العام العالمي بوجهة نظرها، ومع ذلك فنحن لن نتراجع عن حقنا بكثرة أنصارها وقلة أنصارنا، لكن يبقى في النهاية أن الحق وإن كان أقل أتباعاً ولكنه أقوى أنصاراً، والباطل وإن كان أكثر أتباعاً ولكنه أضعف أنصاراً.

بل إن الباطل لا يقوى على الصمود في وجه الحق؛ لأن الحق قذيفة كما قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[٢] ولا يمكن للحق إلا أن يكون كذلك ؛لأن فيه عوامل القوة الذاتية التي أودعها الله فيها ما يجعله كذلك.

فالعلاقة بين الحق والباطل وبين الشر والخير وبين النور والظلمة هي علاقة صراع، لا يقع الواحد إلا ويغيب الآخر، ولا يمكن أن يرضى أحدها بوجود الآخر، ولو أراد أهل الحق التماس الإذن بوجود من الباطل فإن الباطل لن يأذن ولن يسمح ؛لأن في ذلك تهديداً خطيراً لأمنه ووجوده وبقائه.

هل أخطأت حماس والحركات الإسلامية والجهادية ؟

هذا الحديث يدفعنا- وبقوة- كقوة الحق التي تكلمنا عنها إلى الخوض فيما تثيره بعض الجماعات الإسلامية التي تنكر الجهاد في هذا العصر أو تدعو إلى تأجيله، وتتهم المجاهدين بأنهم يعطون المبرر للباطل بأن يضربهم ويقتلهم، وتزعم أن حركة حماس بما تفعله من محاولات يائسة لضرب أهداف ضعيفة في قلب العدو الإسرائيلي إنما هي بذلك تُقْدم على الانتحار

(١) الأنعام: ١١٦ .
(٢) الأنبياء: ١٨.

الجماعي البطيء، وتكلف أهل غزة ما لا طاقة لهم بحمله، وتضع السلطة الفلسطينية في حرج أمام حكومة العدو ومن والاها وساندها ومالأها، وتعطل الوصول إلى حل سلمي ودبلوماسي للقضايا العالقة بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتعطي انطباعاً سيئاً عن الإسلاميين والإسلام، وأنهم أناس دمويون لا هَمَّ لهم إلا الوصول إلى السلطة، والجلوس على الكرسي، ووضع الشعوب بعد ذلك في قالب من الرجعية والتخلف والتقهقر إلى الوراء.

وهؤلاء جد واهمين، وعن الحق عَمُون، وفي الحقيقة مغفلون؛ لأنهم جهلوا طبيعة الباطل، وجهلوا أن ذات الحق لا يرضى الكفر عنه ولا بوجوده بحال من الأحوال.

أو لم يقل الله- عز وجل- ويعطنا النتيجة النهائية وملخصاً لرؤية العدو بشقيه اليهودي الصليبي للإسلام حين قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾(١)؟.

أولم تكن العلة الوحيدة التي حارب بها قوم لوط لوطاً أنهم فقط أناس يتطهرون ﴿قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٢)؟ فهو لم يحمل عليهم سلاحاً، ولم يشهر قنبلة يدوية أو ذرية، بل فقط خالف منهجهم.

وذاكم هو شعيب- عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- يقول لقومه بلسان العاقل الحكيم المسالم العليم: أنتم في حالكم ونحن في حالنا، ولتكونوا في شأنكم ودعونا وشأننا، ولا نعتدي عليكم ولا تفعلون ذلك فينا، ولنبق هكذا حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين، وخير الفاصلين بين المتخاصمين(٣).

لكن هل هذا أرضى الطرف الآخر؟ وهل أعجبه هذا الطرح وذلك الرد؟

---

(١) البقرة: ١٢٠.

(٢) النمل: ٥٦.

(٣) المسيرة الإسلامية للتاريخ، لمنير محمد الغضبان.

لا.. أبداً، بل قالوا: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾(١) وهو لهجة الباطل في كل زمان ومكان في القديم والحديث، ومن ثمَّ ينالنا العجب من تجاهل بعض الجماعات لتلك الحقيقة، ثم هم على غزة وحماس كأعدائها.

فعلى الحق وأهله أن يدركوا في قرارة أنفسهم أنه لابد من دفع الثمن مهما كان غالياً في سبيل نصرة الحق وثباته وزرعه في قلوب الآخرين، وتلك حقيقة وعاها النبي ﷺ وأصحابه وأهل الحق من قبله من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾(٢).

فيجب الارتفاع عن جاذبية الأرض والدنيا ومغرياتها، ونفض غبار الكسل والدعة والراحة والسكون والتشمير للجهاد في السبيل الحق حتى يظهره الله.

هل تشكو غزةُ حركةَ حماسٍ إلى العالم ؟

وإنني لتأخذني الدهشة، وينال مني العجب، ويأخذ في قلبي كل مأخذ من أهل غزة الصابرين المرابطين، فرغم ما نال العدو منهم، ورغم ما طالهم وبيوتهم وأهليهم من القصف والقتل والتدمير، إلا أن أحداً منهم لم يظهر على وسائل الإعلام بشتى أنواعها ليشكو حماس وحركات المقاومة والجهاد إلى العالم وإلى إسرائيل، ولم يتأفف من قرارات قادة الفصائل الإسلامية المسلحة، بل الكل صابر ومحتسب، والكل يعلم علم اليقين أنهم مقبلون على الموت شاؤوا أم أبوا، إنْ بالحصار أو الدمار، فليموتوا تحت ظلال السيوف خير من عيشة الذل والخيبة والعار.

---

(١) الأعراف: ٨٨.

(٢) البقرة: ٢١٤.

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
أنا في أمة تداركها اللـ ـه غريب كصالح في ثمود
لا كما قد حييت غير حميد وإذا متّ متّ غير فقيد
فاطلب العز في لظى ودع الذ ل ولو كان في جنان الخلود

ولقد كان العربي قديماً يتحفظ أن يقال عنه: جبان، أو يقال عنه: خواف، أو يقال عنه: ذليل، بل كان يستعذب الموت إنْ في الحياة ذل أو صنعة أو مهانة.

المتنبي وميتة العز:

ذكر ابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة» في باب منافع الشعر ومضاره: أن أبا الطيب المتنبي لما ذهب إلى بلاد فارس، ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمي، وأجزل عطاءه، وسئل يومها: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجزل، إلا أنه عطاء متكلف، وسيف الدولة كان يعطي طبعاً.

فغضب عضد الدولة، فلما انصرف المتنبي جهز عليه عضد الدولة قوماً من بني ضبة، فقاتلوه قتالاً شديداً، فلما رأى الغلبة فر هارباً، فقال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال له: قتلتني قتلك الله، ثم عاد وقاتل حتى قتل[(١)]؛ خوف المسبة والعار، وحتى لا تتحدث الناس عنه أنه فر وآثر الحياة سيِّئ السمعة، وليت من يهادنون العدو على حساب مصالح أمتهم وشعبهم ودينهم يدركون هذه الحقيقة.

الحلول الفاشلة:

إن المصيبة- كل المصيبة- أن نتخوف من الباطل، ونرى الحل الأمثل والأنسب في مهادنته وملاطفته، وبسط الوجه له، وبذل الابتسامة وزرعها في

---

(١) حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري (١/ ٣١١).

الوجه حتى يرضى.

إن المصيبة- كل المصيبة- أن ننخدع بالكلام المعسول والنوايا الخبيثة المغلفة بكلمات لطف وظرف وحلاوة، ونظن أن العدو يريد السلام ويسعى للسلام ويحب السلام، واهمين بذلك وناسين أو متناسين طبعه المعروف وخبثه المألوف الموصوف عبر التاريخ قديمه وحديثه.

فهو وإن أحسن الكلام ولان في المعاملة معك لكنه يدبر لك المكيدة في الخفاء ويتربص بك الدوائر.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها عند التقلب في أنيابها العطب

إن كثيراً من المتخاذلين يربط بين الحق والقوة المادية، فحيثما وجدت القوة المادية وأسبابها فثمَّ الحق وثمَّ العلو والاستعلاء في الأرض.

وراح هؤلاء يرسخون ما روج له الغرب من التيئيس والتثبيط بإطلاق عبارات (الدول المتخلفة) و(الدول النامية) أو(دول العالم الثلاث)على دول العالم الإسلامي.

وينسى هؤلاء- المتأوربون- أن دولة الإسلام في القديم البعيد والقريب كانت لها الكلمة العليا في الأرض ولمَّا تنل من أسباب الرفاهية والحضارة والمدنية ما نالته الدول والحضارات من حولها.

فدولتا الفرس والروم كانتا ترفلان في ثياب الرفاهية والقوة المادية، أما دولة الإسلام التي انطلقت إلى العالم فكان مصدر قوتها الإيمان، ومنبع عزها ذلك المسجد المتواضع المرصوف بالحصى والمغطى بعسيب النخل.

نحن لا ننكر أن من أسباب القوةِ القوةَ المادية، لكنها ليست معياراً لحق أو باطل، وبالتالي لا يبرر لأولئك أن يشككهم التقدم المادي لدولة الباطل في

دينهم ويضعف إيمانهم به.

ويوشك أن ينقلب بهؤلاء إيمانهم الضعيف، ويتزعزع يقينهم عند أول هزة تتعرض له قلوبهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾(١).

للباطل جولة ثم ينهار:

إن ربط الثبات على الحق بأمور ظاهرية أو أسباب قوة مادية لا يعبر عن حقائق الأمور، أو بأماني قادمة يلدها الغيب، أو يلدها أمر يبعث الاضطراب في النفوس وعدم التركيز في الأفهام والعقول، مما يبشر باضطراب الحياة ككل، وتضعضع الشؤون الداخلية والخارجية للأمة.

وقد تأخذنا في بعض الأحيان مظاهر خادعة لافتراق السنن الكونية حين نرى أن اتباع القوانين الطبيعة يؤدي إلى النجاح مع مخالفة القيم الإيمانية، هذا الافتراق قد لا تظهر نتائجه في أول الطريق، ولكنها ستظهر حتماً في نهايته.

إن الحضارة المادية التي يتمتع بها الباطل اليوم ستظهر- وهي تظهر الآن- في صورة طائر يرفرف بجناح واحد قوي، بينما جناحه الآخر مكسور وضعيف، فيرقى الباطل في الإبداع المادي بقدر ما يَرْتَكِسُ في المعنى الروحي والإنساني، ويعاني من القلق والحيرة والأمراض النفسية والعصبية وتأنيب الضمير إن وجد.

إن مما يجب ملاحظته أن من أسباب قوة الباطل في كل زمان، محاولته إغراء الأتباع وغيرهم بالمال وحطام الدنيا، ويلوحون به إلى المؤمنين لكي يتابعوهم على باطلهم ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾(٢)، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾(٣).

---

(١) الحج: ١١.
(٢) نوح: ٢١.
(٣) الأحزاب: ٦٧.

وذاكم هو فرعون يَعِد عبيده بالمال إن وافقوه على باطله فيقول: ﴿يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(١).

وقد عرض وجهاء قريش على النبي ﷺ المال الجزيل لكي يتخلى عن دعوته، فلم يستجب، بل قال لعمه أبي طالب: «**والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**»(٢).

فأهل الباطل يستعملون المال كسلاح- منعاً أو إعطاءً- لصد الناس عن الدين الحق والمذهب الحق والعقيدة الحقة، فهل تكون استجابة بعض ضعاف النفوس لذلك تقلل من قيمة الحق في ذاته وفي نفوس أهله الأوفياء؟

نحن والحق الفلسطيني:

إننا اليوم أخرجنا الحق الفلسطيني من محتواه الإسلامي الواسع إلى المحتوى العربي، ثم أخرجناه مرة أخرى من المحتوى العربي إلى المحتوى الفلسطيني، ثم أخرجناه من المحور الفلسطيني العام بكل فصائله إلى إطار منظمة التحرير وحركتي فتح وحماس.

إننا في الوقت الذي ننهمك فيه في مصالحة عربية- إسرائيلية نسينا المصالحة العربية- العربية، وأنهكنا أنفسنا في الحديث عن السوق الشرق أوسطية التي تم تصميمها لاستيعاب إسرائيل دون أن نبذل الجهد الكافي لإقامة السوق العربية المشتركة.

فالحق الفلسطيني قضية إسلامية، وتخليصها - على الأقل في نفوس المؤمنين بالله واليوم الآخر- من الأقنعة العلمانية، والنزاعات العرقية أو الإقليمية، أمر حتمي وضروري تمليه الظروف الحالية المحيطة بالأمة.

---

(١) الزخرف: ٥١.
(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٢٢٦).



ليس هناك من شيء أكثر هدماً للأخوة والنقاء والطهارة من الحرص على الدنيا والمال والرئاسة، وقد روي أن الإمام الحسن البصري كان يسير مع تلامذته، وفي الطريق شاهدوا كلاباً تتمارح وتتباطح، فقال: انظروا. فقالوا: كلابٌ تتمارح!! وعند رجوعهم كانت الكلاب تتقاتل وتتنابح، فقال: انظروا كانوا يتمارحون، فرُميت لهم جيفة فتقاتلوا عليها، وكذلك أنتم إذا دخلت بينكم الدنيا تتنافسونها وتتقاتلون عليها، فتهلككم كما أهلكت الأمم من قبلكم، قال ﷺ: «**مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(١).

قال رجل لعلي بن أبي طالب: صف لي الدنيا قال: «ما أصف في دار أولها عناءٌ وآخرها فناءٌ، حلالها حساب، وحرامُها عذاب، من أَمِنَ فيها سقم، ومن مرض فيها ندِم، ومن استغنى فيها فُتن، ومن افتقر فيها حزن».

وقال بعض الصالحين: «الدنيا دار غرست فيها الأحزان، وذمها الرحمن، وسلط عليها الشيطان، يُضَلُّ بها الإنسان».

وسئل عنها آخر فقال: «من نالها مات عنها، ومن لم ينلها مات حسرة عليها».

وقال عمر بن عبد العزيز: «الدنيا لا تضر إلا من أَمِنَها، ولا تنفع إلا من حذرها».

وقال عمر بن الخطاب: «ما كانت الدنيا هَمَّ امرئ إلا لزم قلبه خصال أربع: فقر لا يدرك غناه، وهمٌّ لا ينقضي مداه، وشغلٌ لا ينفد أولاه، وأمل لا

(١) رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

يدرك منتهاه».

وقال يحيى بن معاذ أيضاً: «الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها».

وقال علي بن الحسين: «الدنيا سبات، والآخرة يقظة، ونحن بينهما أضغاث».

قال لقمان لابنه: «يا بني إنَّ الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها ناس كثيرون، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله- عز وجل- وحمولتها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله- عز وجل- لعلك تنجو وما أراك ناجياً».

وقال بعض الحكماء: «إنك لن تصبح في شيءٍ من الدنيا، إلا وقد كان له أهل قبلك، وسيكون له أهل بعدك، وليس من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم؛ فلا تهلك في أكله، وصُم عن الدنيا، وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى، وربحها النار».

واليوم ونحن على باب من أبواب الدنيا سنرى ونشاهد كيف تلعب الدنيا بالأحباب، وأصحاب المنهج الواحد، وكيف ستكون المعركة وتستخدم فيها كل الوسائل المحرمة من الغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك من الأسلحة الفتاكة التي تدمر المجتمع، وتهدم أخلاق ودين المتعاطين لها في معركتهم الانتخابية، وسنرى كيف سيخرج لنا من يُبرِّرُ لكل سلاح من الأسلحة المحرمة المستخدمة في قتال المنافسين لهم، ولو كانوا من نفس القبلة والاتجاه والعقيدة والمنهج، وسيجدون لذلك تبريراً من خلال الاقتطاع والاجتزاء لقواعد الدين، وفي تسمية الأشياء المحرمة بغير اسمها: فتكون الغيبة نصيحة، ويكون التشهير من باب الجرح والتعديل، وتكون الخديعة من باب ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً ﴾[1]، ويكون الكذب جائزاً لأنك

---

(١) آل عمران: ٢٨.

في معركة مع المفسدين، والفقهاء أجازوه في هذه المواطن، و غير ذلك من تزيين الشيطان وطرائقه التي يُفسد فيها ما بين الأحباب والإخوان. وأما إذا ما كانت هناك صحوة في الضمير، وأراد أن يرجع من وقع في هذه المهلكات؛ جاءته الخديعة الشيطانية الثانية: لا عليك، بعد الانتهاء من الحملات الانتخابية نذهب إلى مكة ونرجع بصفحة بيضاء نقية. وهكذا عبث الهوى والحسد عندما يتفشى في أوساط الأحباب والإخوان .

تتبع الزلات والسقطات تحت باب الجرح والتعديل:

من المقرر في الأخلاق الإسلامية أننا إذا أردنا إنكار المنكر نتتبع المنكر، ولا نتتبع زلات الناس، فهذا مما جاء الوعيد الشديد بشأنه، ففي الحديث: «**فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**»(١).

وتتبع العورات ليس من شأن أهل السنة، أما الذي قد نقرؤه في كتب الجرح والتعديل إنما هو من الاحتياط لسنة نبينا ﷺ؛ ولذلك قال يحيى بن معين- رحمه الله: «إنا لنتكلم في رجال عسى أن يكونوا حطُّوا رحالهم في الجنة قبل مئة عام، ولكن لأن يكونوا خصماً لنا أحب إلينا من أن يكون رسول الله ﷺ خصماً لنا».

وعلى هذا فكلام أهل الحديث في الرجال بالجرح والتعديل لا يسع غيرهم، ولا ينبغي لغيرهم أن يفعله، فهو مختص برواة الحديث احتياطاً للسنة النبوية الكريمة التي هي المصدر الثاني في التشريع، وما ورد في «سير أعلام النبلاء» من جرح وتعديل وهو من كتب التراجم العامة، فإنه من المعروف أن مؤلفه من أهل الجرح والتعديل، ونحن هنا نلاحظ أن العلماء مع ذكرهم الجرح نراهم يذكرون أيضاً التعديل؛ فمن المعروف مثلاً أنه إذا رُمز للمترجم له بالعين مثلاً، فمعناه أنَّه روى عنه الجماعة، وهذا فيه تعديل،

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٢)، وقال الألباني: حسن صحيح.

وكذلك إذا قال: ثقة من الثالثة أو الرابعة، ففيه تعديل. وعلى سبيل المثال نرى أن الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله- تكلم عن الشيخ عبد القادر الجيلاني وذكر أنه نُقمت عليه أشياء كثيرة وردَّ على أكثرها، ثم قال: وما بقي ينغمس في بحر الشيخ عبد القادر، وهو أجل وأكبر من ذلك، وقد قام به من أوصاف أهل الإيمان ما يمنع عنه وصفه بالشرك والبدعة، ومثل هذا وقعَ مع الهروي، وبشر الحافي، وعدد من الأئمة.

أما الذي كان يذكره صاحب «تقريب التقريب» والخزرجي في الخلاصة من قولهم عن المترجم له: ضعيف أو كذاب، ولم يقل: كان صالحاً وكان يصلي كذا وكذا؛ لأنهما- رحمهما الله- اقتصرا على ما يتعلق بالحكم الذي يُطلقه أهل الحديث على المترجم له.

أحبتي الكرام.. ليست النصيحة في تتبع زلات المسلمين وعوراتهم، فمن كان هذا نهجه فظاهره الواضح أنه يُريد الفضيحة، وهذا ليس من قبيل النصيحة لله ورسوله ولا تدخل فيه؛ لأن أهل الحديث يريدون النصيحة لرسول الله ﷺ ببيان من يُنقل عنه حديثه لنعلم درجته، لأنه إذا كان رجالُ الإسناد كلهم ثقات فالحديث صحيح إذا ثبت السماع في كل طبقة، وإذا كان في الإسناد واحدٌ صدوق فالحديث حسنوإذا كان في الإسناد واحد ضعيفٌ أو مطعون فيه فالحديث ضعيف، وهكذا، وهذا دين.

وما يحصل من البعض من تتبع أخطاء الدعاة وعثراتهم والاستدلال بكتب الجرح والتعديل غير صحيح، وما عُرف هذا إلا لأصحاب الجرح والتعديل. انظروا في تاريخ الأمة كلِّها هل نجدُ كتاباً فيه الرَّدُّ على فلان، أو تتبع زلات فلان، أو أخطاء فلان؟ هذا نادر جداً، قد تجد الدفاع عن أشخاص ولا تجد الكلام فيهم إلا في الجرح والتعديل.

الأخوة شعار أمتنا:

الأخوة في الإسلام هي أخوة في الله، على منهج الله، لتحقيق منهج الله،

فهي أخوة تنبثق من التقوى والإسلام، وهي ركيزة أساسها الاعتصام بحبل الله، أي: عهده ومنهجه ودينه، وليست مجرد تجمع على أي تصور آخر، ولا على أي هدف آخر، ولا بواسطة حبل آخر من حبال الجاهلية الكثيرة ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1].

هذه الأخوة المعتصمة بحبل الله نعمة امتن الله بها على الجماعة المسلمة الأولى، وهي نعمة يهبها الله لمن يحبهم من عباده دائماً.

الجماعة المسلمة الأولى في المدينة تقوم على ركيزتين:

١ - الإيمان بالله، ذلك الإيمان المنبثق من معرفته سبحانه، وتمثل صفاته في الضمائر، وتقواه ومراقبته واليقظة والحساسية إلى حد غير معهود إلا في الندرة من الناس.

٢ - وعلى الحب- الحب الفياض الرائق والود العذب الجميل والتكافل الجاد العميق- بلغت تلك الجماعة في ذلك مبلغاً لولا أنه وقع لعُدَّ من أحلام الحالمين.

ومن هنا كان حديثنا محاولة منا على تأكيد معنى الأخوة كجزء من إحياء فقه الدعوة، فإن الأخوة شرعة دعوتنا وشعارها وميثاقها الذي واثقتنا به، وكتابها الذي كتبته على نفسها، وما زالت تأتي دعوتنا المباركة ببصائر جديدة من تجاربها المتكررة تسرع بها إلى ابتغاء كل وسيلة إلى هذه الفضيلة وتجميع أنصارها على التحابب والتكافل والتسامح.

وكمال الأخوة أن ترى وحدة الرؤية والفكر والرجاء والمصير، والقلب والروح بل وحدة اللفظ أيضاً، فلا تكون هناك إلا صيحات واحدة بحروف متقاربة تعبر عن مفهوم واحد، كما أراد محمد إقبال حين قال:

نحن من نعمائه حلف إخاء   قلبنا والروح واللفظ سواء

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

أما إذا تناقضت الرؤى، وتباينت الأفكار، واضطربت المواقف، فلا نهوض ولا صلاح لا للفرد ولا للمجتمع.

قال وليد الأعظمي:

ولا صلاح إذا لم تصلح الذات ... ولا يعرف الخير من في قلبه مرض
والصف مضطرب والشمل أشتات ... متى النهوض وهذا القلب منتهك

وقد ازدادت الضغوط على الأمة الإسلامية؛ ولهذا لابد لها من التآخي والاتحاد والتضرع إلى الله بتنفيس الكروب. قال أعرابي عندما وقعت عليه المصيبة :

وإِنِّي لأُغْضِي مُقْلَتَيَّ عَلَى القَذَى ... وأَلْبَسُ ثَوْبَ الصَّبْرِ أَبْيَضَ أَبْلَجَا
وإِنِّـي لأَدْعوالله وَالأمـرُ ضيِّقٌ ... عَلَيَّ فَمَا يَنْفَكَ أَنْ يَتَفَرَّجَـا
وَكَمْ مِنْ فَتىً ضاقَتْ عَلَيْه وُجُوهُهُ ... أَصابَ لَها فِي دَعْوةِ اللهِ مَخْرجـا

والحياة أيام وساعات لا بد من الاستفادة منها في صالح الأعمال وما يفيد في يوم المعاد ، قال أرطأة بن سهية :

رَأَيْتُ المَرءَ تَأْكُلُهُ اللّيالِي ... كَأكْل الأَرضِ سَاقِطَةَ الحَديدِ
وَما تُبقِي المَنيةُ حِينَ تَأْتِي ... عَلَى نَفْسِ ابْن آدمَ مِنْ مَزِيدِ

وهنا ونحن في إطار الحديث عن الأخوة لابد من التنبيه على ضرورة اجتناب المغالاة في القول والفعل مع الناس، فمن المعروف أن للكلام آداباً إن أغفلها المتكلم ، أذهب رونق كلامه ، وطمس بهجة بيانه ، ولَهَا الناسُ عن محاسن فضله، بمساوئ أدبه، فعدلوا عن مناقبه بذكر مثالبه. فمن آدابه ألاّ يتجاوز في مدح، ولا يسرف في ذمّ .

على أن السلامة من الكذب في المدح والذمّ متعذرة في أكثر الأحوال لاسيما إذا مدح تقرّبا ، وذمّ تحنُّقاً، فعلى الإنسان أن يفكر في كل كلمة قبل أن

يتفوه بها فقد يكون بها هلاكه وخسرانه. فقد حكي عن الأحنف بن قيس: أنه قال: «سهرت ليلتي أفكر في كلمة أرضي بها سُلطاني ولا أسخط بها ربّي، فما وجدتها».

وقال عبد الله بن مسعود: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله- عز وجل- ومع هذا لابد من التجمل للإخوان بالأخلاق وطيب الكلام، فهذا مما يزيد المحبة والترابط.

قال عمرو بن معد يكرب :

لَيْسَ الجَمالُ بِمِئْزَر   فاعْلَمْ وَإِنّ رُدِيتُ بُرْدا
إِنَّ الجَمالَ مَـعَادِن   ومَناقِب أَوْرَثْنَ مَجْدا

وقال عليّ بن أبي طالب :

لَيْسَ الجَمالُ بِأَثْوابٍ تُزَيِّنُنا   إِنَّ الجَمَالَ جَمَالُ العَقْلِ والأَدَبِ

العاقل من أحسن اختيار وانتخاب الأقران والأخدان:

وإن لاختيار الصاحب والصديق أهمية كبيرة في ديننا، فهو الميزان الذي يُوزن به المرء، وعلى أساسه يتم معرفته وتقييمه، قال مجاهد: إنّي لأنتقي الإخوان كما أنتقي أطايب الثمر.

وقال بعض الشعراء :

امحَضْ مَوَدَّتَكَ الكَرِيم فَإِنَّما   يَرْعَى ذَوِي الأَحْسابِ كُلُّ كَرِيمِ
وَإخاءُ أَشْرَافِ الرِّجالِ مُرُوءَة   والمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ إِخاءِ لَئِيمِ

وقال يحيى بن أكثم:

وقارِنْ إذا قارَنْتَ حُرًّا فَإِنَّما   يَزِينُ ويُزْرِي بِالفَتَى قُرَنَاؤُهُ
إذا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقاً لِنَفْسِهِ   فَنَادِ بِهِ فِي النَّاسِ: هَذا جَزَاؤُهُ

وروي أنّ سليمان بن داود- عليهما السلام- قال: لا تحكموا للرّجل

بشيء حتّى تنظروا من يخادن.

ميثاق الصداقة :

الصداقة عهد وميثاق، وكما أن لكل عهد بنوداً، ولكل ميثاق حدوداً، فكذلك الصداقة يجب أن تراعى حدودها، وتنفذ بنودها، وعندها نرى الصداقة الحقيقية التي ندرت في هذا الزمان..

قال علي بن أبي طالب: لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ صديقه في غيبته وبعد وفاته[١].

وقيل لعبد الحميد الكاتب: أيهما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: أحبهما أخي إذا كان صديقي.

شذرات في الصداقة :

١- قال العتابي لصديق له: «ما أحوجك إلى أخ كريم الأخوة ، كامل المروءة، إذا غبت خلفك، وإذا حضرت كنفك، وإذا نكرت عرفك، وإذا جفوت لاطفك، وإذا بررت كافأك، وإذا لقي صديقك استزاده لك، وإن لقي عدوك كفّ عنك غرب العادية، وإذا رأيته ابتهجت، وإذا باثثته استرحت»[٢].

٢- وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الرجل بلا صديق، كاليمين بلا شمال» وقيل له: «استفساد الصديق أهون من استصلاح العدو؟ قال: نعم، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه»[٣].

٣- قال حسان :

أَخِلاَّءُ الرَّخَاءِ هُمُ كَثِير وَلَكِنْ فِي البَلاءِ هُمُ قَلِيلُ
فَلا يَغْرُرْكَ خُلَّةُ من تُؤاخِي فَما لَكَ عِنْدَ نَائِبَةٍ خَلِيلُ

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر القرطبي، دار الجيل للطباعة – بدون تاريخ.

(٢) الصداقة والصديق، لأبي حيان التوحيدي (١/ ٤٤)، دار الفكر المعاصر.

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٥).

(٤) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي (١/ ١٦٧)، دار مكتبة الحياة.

وَكُلُّ أَخٍ يَقُولُ أَنَا وَفِيٌّ وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقولُ
سِوى خِلٍّ لَهُ حَسَبٌ ودِينٌ فَذَاكَ لِمَا يَقُولُ هُوَ الفَعُولُ(٤)

من آثار محبة الله:

١- أنه يتذوق حلاوة الإيمان، فيحيا حياة السعداء.

٢- أنَّه يحيطه الله تعالى برحمته، ويقيه شدائد يوم القيامة.

٣- أنه ينال الأمن والسرور، ويعد في صفوف السبعة الذين يظلهم الله برضوانه وإحسانه وظله يوم القيامة.

٤- أنَّه تكون دوحة إيمانه مورقة مزهرة مباركة.

٥- أنه يستشعر زيادة محبة الله ورسوله، ويجد حلاوتها في قلبه.

٦- أن زيادة درجات الجنة بجوار منازل الأبرار، هي في صدق الإخاء في الله.

٧- أن المتحابين في الله قلوبهم مطمئنة آمنة من الأهوال، تتلألأ وجوههم نوراً وسروراً يوم القيامة.

٨- أن الأخوة عروة الإيمان الوثقى، من تمسك بها نجا.

٩- أن الأخوة من بشائر الأعمال الصالحة الموصلة إلى قبول الله تعالى، الدالة على الهداية والنجاح.

١٠-أن المتحابين في الله، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة.

١١-أن الأخوة في الله سلوك حسن، وصحبة نافعة، وسيرة طيبة، ونية صالحة، وعيشة سعيدة.

١٢-أن الداعي إلى المحبة والأخوة له نصيب في الخير وسهم في الأجر.

١٣-أن الحب في الله يدل على كمال الدين، وصفاء السريرة، والعمل المتقن، وخوف الله ورعاية جانبه، واحترام كتابه، وحب سنة نبيه.

١٤-الأخوة تعين على طاعة الله تعالى؛ مصداقاً لقول الرسول ﷺ: «**إِذَا**

أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»(١).

وإلى ذلك أشار عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بقوله: «عليك بإخوان الصدق، فعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء».

١٥-الأخوة تكافل نفسي وإحساس بحاجات الأخ، والسعي لقضائها، مصداقاً لقوله ﷺ: «**لَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا**»(٢).

١٦-الأخوة تكافل مادي لقول الرسول ﷺ : «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٣).

١٧-الأخوة تكاليف اجتماعية تتناول أبسط الواجبات وأهمها. يقول الرسول ﷺ:«**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»(٤).

١٨-الأخوة أنس ومحبة وتكاتف، يقول النبي ﷺ : «**لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ**»(٥).

ويقول ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٦)، ويقول ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ**

(١) رواه أبو داود (٢٩٣٢) والنسائي (٤٢٠٤)، وصححه الألباني.
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٠٦).
(٣) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٤) رواه مسلم (٢١٦٢).
(٥) رواه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (٢٥٥٨).
(٦) رواه مسلم (٢٦٢٦).

بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ أَخِيكَ»[١]، ويقول ﷺ : «**تهادوا تحابوا تذهب الشحناء**»[٢].

١٩-الأخوة غيرة ووفاء، يقول الرسول ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٣]. ويقول ﷺ: «**إِنَّ دَعْوَةَ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابَةٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[٤].

٢٠-الأخوة تُعبئك على خطوب الحياة، وتدفع بك إلى الثقة والتفاؤل، فليس هناك شدة دائمة، بل الحياة شدة ورخاء، تكون الشدة والبلاء ولكن هذا الحال لا يدوم، بل عند البلاء يُنتظر الفرج، وبعد حلكة الظلام ينبثق نور الصباح، وكما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٥].

قال إبراهيم الحولي:

ولرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتَى ... ذَرعاً وعِنْدَ اللهِ مِنْها المَخْرَجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكَان يظنها لا تفرج

وبعد الفرج يتحقق التفاؤل وتزداد ثقة الإنسان بنفسه.

قال عبد الله بن الزبير الأسدي:

لا أَحْسَبُ الشرَّ جَاراً لا يُفارِقُنِي ... وَلا أَحزُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الوَدْجَا
وَمَا نَزَلْتُ مِنْ المَكْرُوهِ مَنْزِلَةً ... إلا وَثِقْتُ بِأَنَّ للفتى لها فَرَجاً

---

(١) رواه الترمذي (١٩٧٠)، وقال: حديث حسن صحيح.
(٢) رواه مالك في الموطأ (١٦٤٢) عن عطاء الخراساني مرسلاً. وقال ابن عبد البر: هذا يتصل من وجوه شتى حسان كلها.
(٣) رواه الترمذي (١٩٣١) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الألباني.
(٤) رواه مسلم (٢٧٣٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٢٥).
(٥) الشرح: ٥، ٦.



يختلف الناس في مجيئهم إلى هذه الدنيا وتعاملهم مع أحداثها وعيشهم معها ونظرتهم إلى الغاية منها ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[1]؛ فمنهم من يحصر غايته من دنياه في تحصيل الملذات وتلبية رغبات النفس: من شهوات النظر والبطن والفرج، بدعوى أن الإنسان لا يعيش إلا مرة واحدة ولن يعود إلى هذه الدنيا مرة أخرى، حتى يعوض نفسه منها ما لم تنله في المرة الأولى، وكأنه لن يُبعث ثانية ولا احتساب عنده لما ينتظره في الجنة من الخير والنعيم المقيم، فهو سبَّاق إلى مراتع اللهو وأماكن المتعة ليحصِّل منها قدر ما يستطيع.

ومنهم من هو أقل من ذلك، فلا هو حصل لذائذ النفس وشهواتها، ولا هو سما عنها وارتفع.

ومن الناس من وقف نفسه على الغاية التي جاء من أجلها إلى هذه الدنيا، ومضى ليحجز لنفسه مكاناً بين المبرزين ومساحة في ساحة الكبار الذين بصموا في الحياة بصمتهم، وصبغوا مراحلهم الزمنية بصبغتهم الخاصة، فأنصت التاريخ لكلامهم، ووعى الناس أخبارهم، وصاروا حديث القاصي والداني، أولئك هم أصحاب الهمة العالية والغاية السامية والهدف الرفيع ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[2]، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[3].

إنَّ تفاوت الناس في مسألة الهمة واختلافهم في الوجودِ في مراتبها أمر يستدعي إثارته بين الحين والآخر، ولفت النظر إليه كل آن، حتى يحقق

---

(١) البقرة: ١٤٨.

(٢) ص: ٢٤.

(٣) سبأ: ١٣.

الإيمان الموجود في قلب كل فرد هدفه فيتماشى والهمة العالية التي ينبغي أن تقوم عليها نفس المؤمن الذي يفترض أن يكون قوياً دائماً، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله.

هدي النبي ﷺ في علو الهمة:

لقد أرشد النبي ﷺ أمته وأصحابه إلى أن يتخذوا من علو الهمة سلماً نحو القمة، ولا يرضوا بالدون في أي شيء يقدمون عليه أو يريدونه، حتى في أبسط الأمور.. بل حتى في طلب الإنسان حاجته من ربه.. فلا يسأل بالشيء الهين البسيط، بل يطلب أفضل شيء وأعظم شيء وأكرم شيء، دون أن يعتدي في دعائه أو يجور في طلبه.

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ- يَعْنِي الْجَنَّةَ- هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ مَاتَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلاَ تُنْبِئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**»(١).

فالنبي ﷺ طالب ألا نسأل ربنا مجرد دخول الجنة والتنعم بنعيمها، فذلك أمر ينبغي أن يكون ضمن حسابات المؤمن وأولوياته المفروغ منها- إن شاء الله- بل يطلب أسمى شيء في الجنة وهو أوسطها جنة الفردوس، ولم يكن النبي- عليه الصلاة والسلام- ليطلق هذا الكلام كشعار برّاق، ثم يتكئ على أريكته ويدع العمل لأمته وأصحابه، بل كان- عليه الصلاة والسلام- بهمته العالية سباقاً إلى كل شيء سامٍ وغالٍ ورفيع.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٩٠).

أوليس هو القائل: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**»(١).

ولم يكتف- عليه الصلاة والسلام- بدعاء الناس له بأن ينال درجة الوسيلة، بل سعى في تحصيلها، أيْ سعى بكل علو همة وبعزم لا يعرف الخور ولا الكلل والملل.

تقول السيدة عائشة- رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلاهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**»(٢).

ولو انتقلنا إلى باقي أعمال الخير لوجدناه- عليه الصلاة والسلام- السباق إليها والمقدم فيها، ففي الجود كان الأوّل، عن أنس بن مالك قال: ذكر النبيَّ ﷺ، فقال: كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ. وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقُوا قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، مَا عَلَيْهِ سَرْجٌ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَنْ تُرَاعُوا**» يَرُدُّهُمْ، ثُمَّ قَالَ لِلْفَرَسِ: «**وَجَدْنَاهُ بَحْرًا**»، **أَوْ** «**إِنَّهُ لَبَحْرٌ**»(٣).

وفي حسن المعاشرة لا يسبق وفي.. وفي.. وفي.. في كل ذلك كان له القدح المُعلى وقصب السبق، وقد أحسن أمير الشعراء تصوير تلك الرفعة العظيمة في قوله:

---

(١) رواه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣).

(٢) رواه مسلم (٢٨٢٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٧٧٢).

وإذا غضبتَ فإنما هي غضبةٌ في الحق لا ضغن ولا بغضاء
وإذا رضيتَ فذاك في مرضاته ورضا الكثير تحلُّم ورياء
وإذا خطبت فللمنابر هِزَّة تعرو الندى وللقلوب بكاء
وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما جاء الخصوم من السماء قضاء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بالجُودِ المَدَى وفعلت ما لا تفعل (الكرماء)
وإذا عفوت فقادراً ومُقَدَّراً لا يستهين بعفوك الجهلاء
فإذا رحمت فأنت أمٌّ أو أبٌ هذان في الدنيا هُما الرُّحَماء

صور أخرى من علو الهمة:

١- همة الصديق- رضي الله عنه:

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[١].

وهذا عبد الله بن المبارك، يقول عنه محمد بن أعين، وكان صاحبه في أسفاره: كان ذات ليلة ونحن في غزاة الروم، ذهب ليضع رأسه ليريني أنه ينام، فقمت أنا برمحي في يدي قبضت عليه ووضعت رأسي على الرمح كأني أنام كذلك، قال: فظن أني قد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه، فلما طلع الفجر أيقظني وظن أني نائم، فقال: يا

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٧)، ومسلم (١٠٢٧).

محمد، فقلت: إني لم أنم. قال: فلما سمعها مني ما رأيته بعد ذلك يكلمني، ولا ينبسط إلي في شيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبه ذلك منى لما فطنت له العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه[١].

كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب- عز وجل.

وقال عمر بن ثابت: لما مات علي بن الحسين فغسلوه، جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقيل: كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره، يعطيه فقراء أهل المدينة[٢].

قال عمر بن عبد العزيز: إن لي نفسا تواقة، لقد رأيتني وأنا بالمدينة غلام مع الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلم إلى العربية والشعر فأصبت منه حاجتي وما كنت أريد، ثم تاقت إلى السلطان فاستعملت على المدينة، ثم تاقت نفسي وأنا في السلطان إلى اللبس والعيش الطيب فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم كانوا في مثل ما كنت فيه، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل فأنا أرجو أن أنال ما تاقت نفسي إليه من أمر آخرتي، فلست بالذي أهلك آخرتي بدنياي.

٢- همة ابن الجوزي وتصوره الرائع في ذلك:

قال رحمه الله : (فصل تفاوت الهمم والآمال): ما ابتلي الإنسان قط بأعظم من علو همته. فإن من علت همته يختار المعالي. وربما لا يساعد الزمان، وقد تضعف الآلة، فيبقى في عذاب. وإني أعطيت من علو الهمة طرفاً فأنا به في عذاب، ولا أقول ليته لم يكن؛ فإنه إنما يحلو العيش بقدر عمل العقل، والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل. ولقد رأيت أقواماً يصفون علو هممهم، فإذا بها في فن واحد. ولا يبالون بالنقص فيما هو أهم، قال الرضي:

---

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، لعلي بن نايف الشحود.

(٢) موسوعة البحوث والمقالات العلمية، لعلي بن نايف الشحود.

ولكل جسم في النحول بلية   وبلاء جسمي من تفاوت همتي

فنظرت فإذا غاية أمله الإمارة.

وكان أبو مسلم الخراساني في حال شبيبته لا يكاد ينام، فقيل له في ذلك، فقال: ذهن صاف، وهم بعيد، ونفس تتوق إلى معالي الأمور، مع عيش كعيش الهمج الرعاع.

قيل: فما الذي يبرد غليلك؟ قال: الظفر بالملك.

قيل: فاطلبه، قال: لا يطلب إلا بالأهوال.

قيل: فاركب الأهوال، قال: العقل مانع.

قيل: فما تصنع؟ قال: سأجعل من عقلي جهلاً، وأحاول به خطراً لا ينال إلا بالجهل، وأدبر بالعقل ما لا يحفظ إلا به، فإن الخمول أخو العدم.

فنظرت إلى حال هذا المسكين فإذا هو قد ضيع أهم المهمات وهو جانب الآخرة، وانتصب في طلب الولايات. فكم فتك وقتل؟ حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا.

ثم لم يتنعم في ذلك غير ثماني سنين.

ثم اغتيل، ونسي تدبير العقل، فقتل ومضى إلى الآخرة على أقبح حال.

وكان المتنبي يقول:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه   ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ما له   مدى ينتهي بي في مراد أحدّه

يرى جسمه يكسي شفوفاً تربّه   فيختار أن يكسى دروعاً تهدّه

فتأملت هذا الآخر فإذا نهمته فيما يتعلق بالدنيا فحسب.

ونظرت إلى علو همتي فرأيتها عجباً. وذلك أنني أروم من العلم ما أتيقن أني لا أصل إليه، لأنني أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها، وأريد استقصاء كل فن، هذا أمر يعجز العمر عن بعضه.

فإن عرض لي ذو همة في فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصاً في غيره، فلا أعد همته تامة.

مثل المحدث فاته الفقه، والفقيه فاته علم الحديث، فلا أرى الرضى بنقصان من العلوم إلا حادثاً عن نقص الهمة.

ثم إني أروم نهاية العمل بالعلم، فأتوق إلى ورع بشر، وزهادة معروف، وهذا مع مطالعة التصانيف وإفادة الخلق ومعاشرتهم بعيد.

ثم إني أروم الغنى عن الخلق، وأستشرف الإفضال عليهم، والاشتغال بالعلم مانع من الكسب، وقبول المنن مما تأباه الهمة العالية.

ثم إني أتوق إلى طلب الأولاد، كما أتوق إلى تحقيق التصانيف، ليبقى الخلفان نائبين عني بعد التلف، وفي طلب ذلك ما فيه من شغل القلب المحب للتفرد.

ثم إني أروم الاستمتاع بالمستحسنات، وفي ذلك امتناع من جهة قلة المال ثم لو حصل فرق جمع الهمة.

وكذلك أطلب لبدني ما يصلحه من المطاعم والمشارب، فإنه متعود للترفه واللطف، وفي قلة المال مانع، وكل ذلك جمع بين أضداد.

فأين أنا وما وصفته من حال من كانت غاية همته الدنيا.

وأنا لا أحب أن يخدش حصول شيء من الدنيا وجه ديني بسبب.

ولا أن يؤثر في علمي ولا في عملي.

فوا قلقي من طلب قيام الليل، وتحقيق الورع مع إعادة العلم، وشغل القلب بالتصانيف، وتحصيل ما يلائم البدن من المطاعم!!

ووا أسفى على ما يفوتني من المناجاة في الخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم!!

ويا كدر الورع مع طلب ما لا بد منه للعائلة!!

غير أني قد استسلمت لتعذيبي، ولعل تهذيبي في تعذيبي، لأن علو الهمة تطلب المعالي المقربة إلى الحق- عز وجل.

وربما كانت الحيرة في الطلب دليلاً إلى المقصود. وها أنا أحفظ أنفاسي من أن يضيع منها نفس في غير فائدة.

وإن بلغ همي مراده.. وإلا فنية المؤمن أبلغ من عمله[(١)].

قالوا في علو الهمة:

نفتتح هذه العبارات بأشرفها وهو قول النَّبِيّ ﷺ:

١- **«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا، وَيَكْرَهُ دَنِيَّهَا وَسَفْسَافَهَا»**[(٢)].

٢- ذو الهمة وإن حط نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يجيبها صاحبها تأبى إلا ارتفاعاً.

٣- من لم يباشر حَرَّ الهجير في طلب المجد لم يَقِلْ في ظل الشرف.

٤- الدون يكدح في سبيل نزوة وشهوة، والعظيم يكدح في سبيل عقدة ودعوة.

٥- لولا علو الهمة ما سَمَتْ أفكار العظماء إلى إنجاز، ولَقَنَعَ كلٌّ بالموجود، ولَكَان شعار الكل: (ليس في الإمكان أحسن مما كان!).

٦- قال عُمَر بْن الخطَّابِ- رَضِيَ الله عَنْهُ: «لَا تُصَغِّرُنَّ هِمَّتَكُمْ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنْ المكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الهِمَم».

٧- وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْهِمَّةُ رَايَةُ الْجِدِّ.

٨- قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: عُلُوُّ الْهِمَمِ بَذْرُ النِّعَمِ.

٩- قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِإذا طَلَبَ رَجلاٌ نِ أَمْرًا ظَفِرَ بِهِ أَعْظَمُهُمَا مُرُوءَةً.

١٠- وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ: مَنْ تَرَكَ الْتِمَاسَ الْمَعَالِي بِسُوءِ الرَّجَاءِ لَمْ يَنَلْ جَسِيمًا.

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي (١/ ٢٢٥).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٣٧٢) (٧٦٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/ ١٣١).

١١- قال الإمام الشافعي:

أمطري لؤلؤاً سماء سرنديـ ـب وفيضي آبار تكرور تِبْرا
أنا إن عشتُ لستُ أعدم خبزاً وإذا مِتُّ لست أعدم قبرا
همتي همَّةُ الملوك ونفسي نفس حر ترى المَذَلَّة كفرا

١٢- وقال المتنبي :

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعِبَتْ في مرادها الأجسامُ

أسباب مساعدة لعلو الهمة:

ولعلك تسألني- أخي القارئ- أنك تريد أن تحلق في سماء الناس، لكنك تحتاج إلى شحذ لهمتك، فما هي الأسباب التي تثيرها؟

١ - العزم والإصرار، فهما الخطوة الأولى والثابتة لإيقاظ الهمم وبعثها من رقادها وتفعيلها في حياتك .

٢ - زرع التنافس بينك وبين من لهم بصمة في حياتهم من حولك، وإحداث شيء من التحدي داخل نفسك .

٣ - قراءة سير أصحاب الهمم العالية؛ فهي تمنح النفس مزيد قوةٍ بعد عون الله- عز وجل- وتدفعها نحو طلب المعالي والسعي في الحصول عليها.

وأقترح لك قراءة سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والإمام ابن الجوزي وكتاب «صفحات من صبر العلماء» للشيخ عبد الفتاح أبو غدة- رحمه الله.

٤ - مصاحبة أهل الهمم العالية، والبعد عمن قعدت به نفسه عن المعالي وقد قيل:

إن الماء يفسد بقربه من الجيف وقال الشاعر:

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدي



العلم أشرف الأعمال على الإطلاق، وخير ما بذل فيه المال وصرف إليه الإنفاق، وأفضل ما كان فيه التنافس وإليه السباق، وهو ميزة يتمايز بها الناس فيما بينهم، وميزان توزن به درجاتهم وتقدر به أعمالهم .

ما الفخر إلاّ لأهل العلم إنهم على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
ففز بعلم تعش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء

ثم هو متيسر لكل أحد، ومتوفر لكل امرئ أراد أن يحظى منه بقسط كبير ونصيب وافر، فالمطابع الحديثة والوسائل المبتكرة من (انترنت) وغيره أشياء اختصرت للإنسان الزمان والمكان، ووفرت عليه جهوداً كبيرة في الوصول إلى ينابيع العلم وآفاق المعرفة.

ومع سهولة تناول العلم واقتطاف ثماره وتوافره لطالبيه، فإن اكتساب صفة العلم أو العالم ليست من السهولة كما يظنه الكثيرون اليوم ممن يرون أن قراءة بعض الكتب اليسيرة تكسب قارئها صفة العالم الجهبذ، أو أن حفظ متن في أي علم يخلع على حافظه خلعة العلم الغزير، ويقال عنه بعد ذلك: إنه عالم نِحرير.

ولعمر الله، إنه داء عضال ومرض خبيث أخذ مكانه بين أدواء الأمة اليوم، وفعل فعله في جسمها وكيانها، وأخرّها من حيث ظن حاملو هذا المرض أنهم يحسنون صنعاً، ويدفعون عجلة تقدم الأمة إلى الأمام، هيهات هيهات أَنَّى لهم ذلك!!

إن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تئن وترزح تحت نير هذه الأفكار القاتلة والاعتقادات الخاطئة المدمرة، وتشكو مما يجنيه عليها وعلى أبنائها بعض فلذات أكبادها ممن ظنوا اسم العلم حرماً مستباحاً لكل أحد ينال منه شاء من شاء متى شاء.

إن هؤلاء وأمثالهم معاول هدم وآلات تخريب في الأمة، وهم في واد والعلم في واد آخر.. هم أنصاف علماء.. لا بل هم أقل من ذلك شأناً. وقد حذر سلفنا من أناس كهؤلاء؛ فهذا الإمام ابن تيمية- رحمه الله- يقول: أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان[١].

ومن العجيب أن يدَّعي بعض هؤلاء أن تحصيل طريقة العلم سهل لا يحتاج أكثر من الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وجامع الترمذي والنسائي، وأن هذه الكتب معروفة مشهورة يمكن تحصيلها في أقرب وقت .

هوّن عليك- يا أخي- فليست الأمور من السهولة كما تظن، إن الأسلاف لم يسم الحافظ منهم حافظاً حتى يحفظ مائة ألف حديث متناً وإسناداً. أما المحدث عندهم فهو من يحفظ الحديث ويتحمل روايته ويعتني بدرايته.. وهكذا دواليك.

بل كان الكثيرون منهم يعنون بطلب الإسناد العالي، ويقطعون الفيافي والقفار للحصول عليه، وكان الإسناد العالي واعتباره يقاس بكثرة الشيوخ وحفظهم وعدالتهم؛ فهذا الإمام أبو داود يقول عنه الحافظ المزي :

وكان أبو داود أحد من رحل وطوف وجمع وصنف وكتب عن العراقيين والخراسانيين والشاميين والمصريين والجزريين والحجازيين وغيرهم[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١١٩).

(٢) تهذيب الكمال (١١/ ٣٥٦).

وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب: وشيوخه في السنن وغيرها نحو من ثلاثمائة نفس[(١)].

أما الإمام ابن ماجه فقال عنه المزي: محمد بن يزيد الربعي، مولاهم، أبوعبد الله بن ماجة القزويني الحافظ، صاحب كتاب «السنن» ذو التصانيف النافعة والرحلة الواسعة.

سمع بخراسان، والعراق، والحجاز، ومصر، والشام، وغيرها من البلاد جماعة يطول ذكرهم قد ذكرنا منهم في كتابنا هذا من وقفنا عليه منهم[(٢)].

أما الإمام النسائي فقال عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب: أحمد بن شعيب ابن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي القاضي الحافظ صاحب كتاب (السنن) سمع من خلائق لا يحصون يأتي أكثرهم في هذا الكتاب[(٣)].

فإلى أي مدى يريد الانتهاء هؤلاء وفي أي وادٍ يهيمون، إن ذلك الأمر ذو خطر، وليس كل من استظهر كتاباً أو كتابين صار شيخاً يروي ويحدث ويجرح ويعدل ويحلل ويحرم ويفتي، **يقول تاج الدين السبكي- رحمه الله:**

هناك فرقة ادَّعت طلب الحديث، فكان قُصاراها النَّظرُ في مشارق الأنوار للصَّاغاني، فإن ترفَّعت ارتقت إلى مصابيح البغوي، وظنّت أنها بذا القدر تصل إلى درجة المحدِّثين ! وما ذلك إلا لجهلها بالحديث؛ فلو حَفِظ من ذكرناهُ هذين الكتابين عن ظهر قلب، وضمَّ إليهما من المتون مثليهما، لم يكن مُحدِّثاً، ولا يصيرُ مُحدثاً حتى يلج الجمل في سم الخياط!

فإذا رامت بلوغ الغاية في الحديث- على زعمها- اشتغلت بجامع الأصول لابن الأثير، وإن ضمَّت إليه كتاب علوم الحديث لابن الصَّلاح، أو مختصره

(١) تهذيب الكمال (٤/ ١٥١).
(٢) تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٠).
(٣) تهذيب التهذيب (١/ ٢٣).

المسمى بالتقريب والتيسير للنووي، ونحو ذلك، فحينئذ ينادى من انتهى إلى هذا المقام بـ«مُحدِّثِ المحدِّثين، وبخاريّ العصر»، وما ناسب هذه الألفاظ الكاذبة، فإنَّ من ذكرناه لا يُعدُّ محدثاً بهذا القدر؛ إنما المُحدِّث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرِّجال، والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة، وسمع الكتب الستَّة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضمَّ إلى هذا القدر ألف جُزءٍ من الأجزاء الحديثية – هذا أقل درجاته. فإذا سمع ما ذكرناه، ودار على الشُّيوخ، وتكلم في العِلل والوفيات والأسانيد، كان في أوَّلِ درجات المُحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء!.

ومنهم فرقة ترفعت وقالت: نضمُّ إلى الحديث الفقه، وكان غايتها البحث في الحاوي الصغير لعبد الغفار القزويني! والكتابُ المذكور أعجوبةٌ في بابه، بالغٌ في الحسن أقصى الغايات، إلا أن المرء لا يصيرُ به فقيهاً ولو بلغ عنان السماء! وهذه الطائفة تُضيِّع في تفكيك ألفاظه وفهم معانيه زماناً لو صرفتْه إلى حفظ نُصوص الشافعي وكلام الأصحاب لحصلت على جانب عظيم من الفقه، ولكنَّ التوفيق بيد الله تعالى. ا.هـ[١].

فإذا كان هذا كلام الإمام التاج السبكي في بعض أبناء زمانه، الذي عرف بالمجالس العلمية والحلقات الدائمة العامرة بالجدال والنقاش، الذي يثري العلوم الشرعية والعقلية كلها، وترى الطالب فيها يقضي جل شبابه ويمضي زهرة عمره في جلوسه فيها، ومزاحمة العلماء والطلاب بركبته، ثم لا يتصدر للتدريس إلا بعد أن يكون قد عجم عوده وتحصرم وتذبّب ونال من العلم بقسط وافر- **فماذا نقول في أبناء زماننا هذا ؟!**

وكأن الإمام السبكي إذ يحكي حال هذا الصنف من أهل زمانه يشير بأصبع الاتهام إلى من هم على شاكلتهم من أهل هذا العصر ممن استكثروا من

(١) مختصر معيد النعم ومبيد النقم، للسبكي ص٤٣.

الكتب وصفوها ورتبوها في خزاناتهم ومكتباتهم، وظنوا أنهم وأنها منحتهم علماً غاب عن الأولين والآخرين.

وكم للشيخ من كتب حواها ولكن ليس يدري ما دحاها
ويفتي جاهلاً في كل فـن ولا يدري دحاها من طحاها
تعلم كلمتين فصار مـلاًّ وأستاذاً ينير لها دجاها

وقد نهى العلماء قديماً وحديثا عن أخذ العلم من بطون الكتب فقط، دون التجوال والتطواف على الأئمة والمشايخ الذين يصححون للتلميذ أخطاءه الفهمية واللفظية، ويحذرونه من مغبة الانجرار وراء كل قول واتباع كل فهم، فقد يكون خاطئاً وقد يكون مضللاً وإلى الجهل ما هو.

قال ابن الأزرق :

المسألة الحادية عشرة: إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، فعليك به، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن على قدر كثرة الشيوخ تكون حصول المَلَكَة ورسوخها، لما في ذلك من تكرير المباشرة والتلقين بحسب تعدد لقائهم.

الثاني: أن تكرر الأخذ عنهم يفيد المتعلم تمييز الاصطلاحات، لما يرى من اختلاف طرقهم فيها بمجرد العلم عنها، وتحقق أنها أنحاء تعليم وطرق توصل، لا أنها جزء منها، كما يعتقده كثير.

قال: فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال.

قال الغزالي: قلَّ مذكور في العلم من زمان الصحابة- رضي الله عنهم- إلى زماننا، إلا وحصل العلم بالسفر وسار لأجله[١].

وقال ابن خلدون في مقدمته: في (باب: الرحلة في طلب العلوم):

(١) بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق (٢/ ٣٧١) ط/ وزارة الإعلام – العراق.

ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم؛ والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة. إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً. فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها. والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم. ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين. فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ، يفيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل. وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات. ويصحح معارفه ويميزها عن سواها، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم. وهذا لِمَنْ يسر الله عليه طرق العلم والهداية. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

ولقد قال قائلهم: لا يؤخذ العلم عن صحفي[٢]، والصحفي: هو من يطلب العلم من بطون الكتب بنفسه دون القراءة على الشيخ، فيجعل من نفسه الشيخ والتلميذ والمصحح والمصوب والناقد.

وقد سلك هذا المسلك أقوام فضلوا وأضلوا، وضاعوا وأضاعوا، وصاروا يخبطون في العلم خبط عشواء.

ولا تزال الأيام تلد لنا كثيراً من المتفقهين المتعالِمين ممن سولت لهم أنفسهم وأغرتهم شهاداتهم في أن يثبتوا شخصيتهم ووجودهم من خلال بعض الفتاوى المثيرة للجدل والتي لا تمت إلى الحقيقة والعلم والموضوعية

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١/ ٣٤٨).

(٢) تدريب الراوي للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف (٢/ ٢٠٨).

والعقل والمنطق بأي صلة أو وشيجة قربى أو نسب، وآخرهم ذاك الذي طلب من الموظف أن يرتضع من ثدي زميلته الموظفة خمس رضعات حتى تحرم عليه وتكون أمه من الرضاع، خروجاً من حرمة الخلوة بها في غرفة واحدة أو الاختلاط بالنساء المحرم.

وفات المسكين أن من شروط الرضاع أن يكون دون الحولين، وكأنه نسي الأحاديث الكثيرة في باب الرضاع من كتب الفقه، وما قرأها، ولم تقع عينه على ما جرى بين أبي موسى وعبد الله بن مسعود- رضي الله عنهما.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَرِمَ ثَدْيُهَا، فَمَصَصْتُهُ، فَدَخَلَ حَلْقِي شَيءٌ سَبَقَنِي، فَشَدَّدَ عَلَيْهِ أَبُو مُوسَى فَأَتَى عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: سَأَلْتَ أَحَدًا غَيْرِي؟ قَالَ: نَعَمْ أَبَا مُوسَى، فَشَدَّدَ عَلَيَّ، فَأَتَى أَبَا مُوسَى فَقَالَ: أَرَضِيعٌ هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لا تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الْحَبْرُ فِيكُمْ- أَوْ قَالَ: بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ. وفي رواية عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود أيضاً: إِنَّمَا الرَّضَاعُ مَا أَنْبَتَ اللَّحْمَ وَالدَّمَ(١).

أما ذوو العلم الحق وأولو القوة فيه فإنهم سلكوا فيه الطريق المثلى من قراءة على الأشياخ ونقاش وحوار طويلين، وما جلسوا للإفتاء وتعليم الناس حتى أذن لهم بذلك الأشياخ ذوو العدد.

قال ابن بنت الشافعي: أقام الشافعي على تعلم العربية وأيام الناس عشرين سنة، وقال: ما أردت فيه إلا الاستعانة على الفقه.

وعنه عن مسلم بن خالد الزنجي أنه قال للشافعي- وهو ابن ثماني عشرة سنة- أفتِ يا أبا عبد الله فقد آن لك أن تفتي(٢).

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (٥/ ٣٠٦) ط/ مؤسسة الرسالة، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٧٥٩).
(٢) آداب الشافعي ومناقبه، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، طبعة مكتبة التراث- حلب، ص ٤٠.

والشافعي يقول في هذا الباب:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ   سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبُلغةٍ   وصحبة أستاذ وطول زمان

ويقول أيضاً:

إذا رأيت شباب الحي قد نشأوا   لا يحملون قلال الحبر والورقا
ولا تراهم لدى الأشياخ في حلق   يعون من طيب الأخبار ما اتسقا
فعد عنهم واعلم أنهم همج   قد بدلوا بعلو الهمة الحمقا

فليربأ هؤلاء بأنفسهم عن أن يطلبوا الألقاب والخلع العلمية دون استحقاق لها وتأهل، ولا يحسبوا المجد تمر سهل المساغ .

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وليعلموا أن دون ذلك خرط القتاد.

وكان الرجل منهم يلزم شيخه مدداً طويلة والسنوات ذوات العدد حتى ينال منه بعض علمه؛ فها هو الإمام ابن القيم الجوزية لازم شيخ الإسلام ابن تيمية سنوات طويلة حتى نال من علمه ما قدر عليه .

وكان التلميذ قديماً لشدة ملازمته شيخه يقال له: غلام فلانٍ، كغلام ثعلب وغيره. أما تلاميذ اليوم ومتمشيخو زماننا فإنه لا يكاد يحضر درساً عاماً في مسجد أو دورة حتى يذيع أنه أخذ عنه علوم الشرع، وكأنه أحرز بذلك صكاً منه بأنه لا يخطئ ولا يدخله الزغل أو الخطل في رأيه وفتاواه.

وقد ترى البعض يدخل الجامعة لسنوات قليلة، وينتسب إليها انتساباً، ولا ينتظم انتظاماً، ثم هو يرفع عقيرته بأنه: خريج جامعة كذا، وأنه.. وأنه.. وأنه.. فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



هو خطر شئنا أم أبينا.. ومشكلة عويصة، قبلنا بهذا الوصف أو رفضناه، ومعاناة تئن الأمة من نتائجها وآثارها السلبية.

قعود البنات في بيوت الآباء والأمهات.. حبسهن بين جدران المنازل وغرف الديار رهينات المَحْبسَيْنِ (العنوسة والبيت) خطر داهم يلقي بظلاله على الأسرة بجميع أفرادها وعلى المجتمع ككل، والمجتمع عنه ساهٍ لاهٍ.

لنبدأ بدراسة هذه الظاهرة من خلال قراءة سريعة في بعض الإحصائيات في بعض البلاد العربية التي تؤكد خطورة هذا المرض وسرعته في تقويض أسس المجتمع المسلم.

تشير آخر الإحصائيات في بلدنا الكويت إلى أن نسبة العنوسة تقترب من نسبة ٣٠٪ بين البنات، بينما وصلت نسبة الطلاق عندنا إلى ٣٣٪.

وإذا انتقلنا إلى بلد خليجي آخر هو السعودية فإن الإحصائيات الرسمية تؤكد أن عدد من تجاوزن سن الزواج بلغ حوالي مليون ونصف المليون فتاة من بين نحو أربعة ملايين فتاة، وأن عدد الفتيات اللاتي تجاوزن سن الثلاثين دون زواج في العام الماضي بلغ ١٥٩٤٠١٨ بنتاً.

ولا تقل هذه النسب في بلاد الخليج الأخرى كالإمارات وفي باقي بلدان العالم الإسلامي كالجزائر ومصر وغيرها.

هذا الخطر مسؤولية من ؟

إن أول سؤال يتبادر إلى ذهن القارئ وهو يطالع هذه الأرقام المخيفة هو: مسؤولية مَنْ هذا الارتفاع المخيف في نسبة العنوسة؟ وعلى عاتق مَنْ تقع الملامة في ذلك: أعلى البنت؟ أم على أبيها وأمها؟ أم على جهة خارجية أخرى

قد تكون هي المجتمع أو المفاهيم السائدة فيه؟

وفي الحقيقة أن المسؤولية يتقاسمها هؤلاء جميعاً، ويتحملها الكل بدون استثناء؛ فهي حلقات متصلة، وسلسلة مترابطة، ولدت لنا هذا الوليد اليتيم الكليم.

إن تغير مفاهيم الناس حول الزواج رمى بآثاره في قضية العنوسة، فبينما كان ينظر إلى الزواج قديماً على أنه حصن للشاب والفتاة يحصنهما من براثن الرذيلة وغوائل الشهوة، صار ينظر إليه اليوم على أنه عبء وتكلفة ومسؤولية وثقل تنوء بحمله كواهل العصبة أولي القوة. ومن الجهالة بمكان أن يسلم الرجل قياده إلى حكم الزواج ومسؤولياته الجسام والتي تقسم الظهر، أو أن يضع نفسه في إقامة جبرية قد تطول إلى آخر يوم من أيام عمره المديد، حتى إن كثيراً ممن عزموا على الزواج وتأخروا عنه يقولون إذا ما سئلوا عن سبب تأخرهم: وهل أنا غبي حتى أسجن نفسي بالزواج أو أقبرها في الحياة؟

بل إن عبارات مضحكة راجت بين هذا الصنف من الشباب تقول: الزواج سِجْن تختار سَجَّانه بيدك، ودرجت بين الإخباريين كثيراً جملة (دخل فلان القفص الذهبي) أي تزوج؛ فالزواج قفص، لكنه ذهبي في بدايات أيامه، ثم يكون ما يكون من أمره.

فترويج مثل هذه الأفكار بين الشباب وترسيخه من خلال نشر الرذيلة والإباحية والتحلل الخلقي والجنسي، أسس لمرض العنوسة، وصرف أنظار الشباب عن الزواج.

وأمر آخر وراء ارتفاع نسبِ العنوسة تناوله الدعاة والأئمة والخطباء كثيراً، وحذر منه الساسة والقادة وولاة الأمر نؤكد عليه لأهميته وضرورته، ألا وهو المغالاة في المهور والمزايدة والتطاول فيها، كتطاول الحفاة العراة في البنيان.

لقد عظم هذا الأمر إلى درجة لا يمكن السكوت معها عليه، وبانت آثارها في المسلمين إلى حد جعل كثيراً من البنات يقلن لآبائهن: ادفع بي إلى أول عريس يطرق عليَّ الباب مهما كان شأنه المادي ومهما كان ذا قُلٍّ في المال.

ولقد حرص الإسلام على توجيه الآباء إلى عدم المغالاة في المهور، وإلى ضرورة الإقلال منها؛ ذلك أن المهر ليس تجارة ولا طريقاً للربح، وليست البنت وسيلة ابتزاز للعريس، ولا طريقة لسداد ديون الأسرة، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1]، وقال: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾[2]. وورد عن النبي ﷺ: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**»[3] أي مهراً. وورد عن عروة أنه قال: مِنْ أول شؤمها أن يكثر صداقها. وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ. فَقَامَتْ قِيَامًا طَوِيلاً. فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله زَوِّجْنِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيءٍ تُصْدِقُهَا إِيَّاهُ**». فَقَالَ مَا عِنْدِي إِلاَّ إِزَارِي هَذَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ وَلا إِزَارَ لَكَ، فَالْتَمِسْ شَيْئًا**». قَالَ: لا أَجِدُ شَيْئًا. قَالَ: «**فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**». فَالْتَمَسَ، فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَهَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيءٌ** ». قَالَ: نَعَمْ، سُورَةُ كَذَا وَسُورَةُ كَذَا، لِسُوَرٍ سَمَّاهَا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»[4]. وتزوجت امرأة بنعلين، فأجاز النبي ﷺ نكاحها[5].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً

---

(١) النساء: ٢٠.

(٢) النساء: ٤.

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٤/ ١٨٩)، والنسائي في الكبرى (٩٢٧٤)، والخطيب في الموضح (١/ ٢٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٨٦)، والبيهقي في السنن (٧/ ٢٣٥).

(٤) رواه البخاري (٥١٢١)، وأبو داود (٢١١١).

(٥) رواه البيهقي في السنن (١٣٥٦٧).

مِنَ الأَنْصَارِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا**». قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا. قَالَ: «**عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟**». قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ**». قَالَ: فَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعَثَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فِيهِمْ[١].

وقال أمير المؤمنين عمر- رضي الله عنه: لا تغلوا صدق النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها النبي ﷺ.

فها هي النصوص الشرعية تضافرت على استحباب الإقلال من المهر، وحثت على عدم التغالي فيه، فليس كل أبناء المجتمع يستطيعون مجاراة المغالي في المهر.

ثم إن الواقع يهدينا إلى عواقب تلك الزيجات التي قامت على مهور غالية؛ فالخلافات العائلية والأسرية والشقاق والطلاق عنوان لتلك الزيجات.

وينضم إلى مسألة المغالاة في المهور، انعدام القدرة المادية على الولوج في باب الزواج، وعدم توفر المسكن الملائم للزواج، وزيادة الأعباء الاقتصادية الباهظة، كل هذه الأمور أسهمت إسهاماً كبيراً في نشر العنوسة في مجتمعاتنا الإسلامية.

لندع هذا الآن ولننتقل إلى أمر لا يقل خطورة عما سبق، ويسهم إسهاماً كبيراً في نشر ثقافة العنوسة- إن صح التعبير- وهو: البطالة وتفشيها في صفوف الشباب؛ فكثير منهم ممن قعد عن العمل ولا يجد فرصة للانتظام في عمل يكون مصدر رزق له في القادمات من أيامه، يقول: إنني الآن لا أستطيع أن أكفي نفسي أمرها ولا أجد عملاً يعينني على سد تكاليف العيش مع الزوجة وتوفير سبل العيش الكريم، فكيف لي بالزواج؟

---

(١) رواه مسلم (١٤٢٤).

وشيء آخر صرف بعض الشباب عن الزواج، وتسبب في عنوسة الأبناء، وهو: إقامة الشباب العلاقات المحرمة وغير الشرعية مع صديقاتهم؛ مما حبب إليهم حياة العزوبية وبغَّض إليهم حياة الزوجية، وصورها على أنها حياة تكاليف ومشقات ينوء بحملها أعظم الرجال، فيقول الشاب منهم: لأن أعيش حياة حرة من غير قيود أو رباط أو وثاق خير لي من أن أثقل رأسي بأوجاع الزوجة ومطالبها التي لا تنتهي.

وفي الطرف المقابل نجد شيئاً من هذا القبيل عند البنات، وإن قَلَّت حدته واختلفت صوره، فتقول القائلة منهن: لأن أعيش وحيدة خير لي من زوج سيئ. فهي عنوسة اختيارية اختارتها هذه الفتاة وأمثالها لنفسها.

ناهيك عن العادات الاجتماعية البالية التي ترزح تحتها مجتمعاتنا اليوم من عدم زواج بنت العم إلا من ابن عمها أو ابن خالها أو القريبين منها أو زواج الغنية من الغني أو ذات الحسب من الحسيب، وعدم زواج القبلي من حضري أو الحضري من قبلي.

فترى القبيلة والفئة المعينة والجماعة الخاصة تزخر بفتيات بلغن مبلغ الزواج، وقد تجد في البيت الواحد والأسرة الواحدة أربع بنات أو خمسا أو أكثر وتمر الأشهر ذوات العدد دون أن يطرق بابهن خاطب، بحكم انتشار الفئوية والتعصب القبلي أو الجماعي أو غيره.

والإسلام طلب منا التوسع في دائرة معارفنا، وفتح المجال لنتعرف على أكبر قدر ممكن من أناس لا نعرفهم؛ لأن في ذلك منافع- وأية منافع- فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ ومن صور التوسع في التعارف الزواج من الغريب، والتزويج للغريب، وقد تَخفى هذه النقطة في البداية على كثير من المقتصرين على الزواج أو التزويج للأقارب أو المقاربين في الحسب والنسب والغنى،

لكنها قد تتكشف نتائجها بعد ذلك حينما يرى أحدهم عدداً من بناته قاعدات أمام بصره ينتظرن صاحب الحظ والنصيب.

الحل الإسلامي المناسب:

من أحد الحلول الإسلامية والتي تفرض نفسها في هذه الآونة وفي مثل هذه الظروف إضافة إلى :

١ - عدم المغالاة في المهور.

٢ - نشر ثقافة الزواج وأنه من سنة سيد المرسلين.

وليس يعني ذلك أن للمرء تركه خوفًا من المسؤوليات التي يأتي بها، بل قد يصل إلى مرتبة الوجوب في ظل الفساد والإغراء الذي انتشر في شوارعنا وأماكن عملنا وبيوتنا عبر شاشات التلفزيون .

والحل الذي نقصده هو نشر ثقافة التعدد (تعدد الزوجات) ضمن الشروط التي وضعها الشارع الحكيم .

وتعدد الزوجات ضرورة تمليها بعض الظروف الاستثنائية التي قد تمر بها بعض المجتمعات الإسلامية، بل وحتى الغربية، فإنها أخذت بها في مثل تلك الظروف كحالة قلة الرجال وكثرة النساء، إذ تدل الإحصائيات التي جرت وتجري في بلاد العالم المختلفة دلالة واضحة على أن عدد الإناث أكثر من عدد الذكور، وذلك نتيجة لكثرة ولادة البنات.

ولقد جاء في الكتاب السنوي للأمم المتحدة عن تعداد السكان الصادر سنة ١٩٦٤م - ١٣٨٤ هـ أن الإحصاءات أثبتت أن عدد النساء في الاتحاد السوفيتي يزيد على عدد الرجال بنحو عشرين مليون نسمة، ونحو مليوني نسمة في الولايات المتحدة الأمريكية، ونحو ثلاثة ملايين في ألمانيا الغربية[١].

---

(١) من كتاب «إنك خلقت للأمومة.. ولن تثنيك أفواههم المسمومة» لأحمد بن محمد السعيد العزيزي.

هذا بالإضافة إلى تعرض الرجال للحوادث بشكل أكثر من النساء، فهم يخرجون للكسب وطلب الرزق، وينتقلون من أجل ذلك من مكان لآخر، ويبذلون كل ما في وسعهم من جهد للحصول على لقمة العيش، الأمر الذي يجعلهم أكثر قابلية للمرض والموت. هذا في الوقت الذي يكون فيه النساء في بيوتهن.

ولأن الرجال هم وقود المعارك العسكرية، وتلتهم الحروب عدداً كبيراً منهم.

وقد أظهرت الإحصائيات التي أجريت في أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية أن نسبة النساء هناك كانت تمثل آنذاك (٧) إلى (١) من نسبة الرجال، أي أن كل رجل يقابله سبع نسوة، فقامت النساء الألمانيات بمظاهرات يطالبن بالأخذ بنظام تعدد الزوجات، بعد أن قتلت الحرب معظم رجال ألمانيا، وبعد أن كثر اللقطاء في الشوارع والحدائق العامة.

ومن هذه الأسباب: احتياج الأمة أحياناً إلى زيادة النسل، لخوض الحروب والمعارك ضد الأعداء، أو للمعونة في أعمال الزراعة والصناعة وغيرها.

ومن هذه الأسباب: الحاجة الاجتماعية إلى إيجاد قرابات ومصاهرات لنشر الدعوة الإسلامية كما حدث للنبي ﷺ، فإنه عدد زوجاته التسع في سن الرابعة والخمسين من أجل نشر دعوته وكسب الأنصار لدين الله الجديد[١].

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي (١/ ٦٦٧١)، ط/ دار الفكر – دمشق.



يفتخر الناس دائماً بالذكاء، ويتباهون بأن فلاناً أذكى من فلان، ويعجب المدرس دائماً بالتلميذ الذكي، ويكرمه بكل أنواع التكريم من درجات وكلمات تشجيعية، ويضرب الأمثلة به، وقد يحدث عنه أصحابه وأقرباءه.. ولا شك أن الذكاء نعمة من الله، ولكن هل هو نعمة دائماً؟ هل النتائج التي يؤدي إليها سليمة على الدوام؟ تعالوا لنرى ما هو الذكاء، وما أنواعه، وما يتعلق به:

ما هو الذكاء؟

الذكاء لغة مشتق من الفعل «ذكا»، والذكاء معناه: الفطنة والتوقد، «ذكت النار» يعني: اشتد لهيبها وازداد اشتعالها، و«ذكت الشمس» يعني: اشتدت حرارتها، و«ذكا فلان» يعني: زاد فهمه، أو زادت القوى العقلية المعرفية لديه.

وفي الاصطلاح: يتضمن الذكاء عادة الكثير من القدرات العقلية المتعلقة بالقدرة على التحليل، والتخطيط، وحل المشاكل، وسرعة المحاكمات العقلية، كما يشمل القدرة على التفكير المجرد، وجمع وتنسيق الأفكار، والتقاط اللغات، وسرعة التعلم. كما يتضمن أيضًا- حسب بعض العلماء- القدرة على الإحساس وإبداء المشاعر وفهم مشاعر الآخرين.

الذكاء أنواع [١] :

الذكاء قد يختلف في مقداره وكميته بين الأفراد، كما قد يختلف في مجاله ونوعيته. فهناك من الناس من يتصف بالذكاء الحاد في الرياضيات مثلاً،

---

(١) ينظر للتوسع: الأخلاق والذكاء، علاقة الضابط بالمضبوط، سليم الرقعي.

ومنهم من يتصف بالذكاء الاجتماعي- ومنه الذكاء السياسي والدبلوماسي- أو بالذكاء في العلاقات العامة، ومنهم من يتصف بالذكاء الصناعي (الميكانيكي) أو التجريدي، أو في التجارة، أو في فن الرسم، أو الأدب.. وهكذا. دون أنواع الذكاء الأخرى. من هنا يعلم أن الذكاء ليس واحدًا، بل متعدد ومتخصص في حقل بعينه، فربما يكون أداء الشخص في الحقول الأخرى ليس على نفس المستوى.

هل الذكاء فطري أم مكتسب؟

عندما نتكلم عن الذكاء وأنواعه قد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم مفاده: هل ذكاء الإنساني فطري؟ بمعنى أنه يولد مع الإنسان ويتكون فيه بأصل الخِلقة وليس للإنسان مجال في إيجاده أو تنميته، أم هو مكتسب؟ بمعنى أن الإنسان باستطاعته أن يكون ذكياً وإن لم يكن كذلك أصلاً، أم هو مكوَّن من هذا وذاك؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: صفة الذكاء في الإنسان تعد صفة فطرية ومكتسبة معاً، وإذا علمنا أن الذكاء يتوفر بنسب متفاوتة عند كثير من الناس باعتباره صفة فطرية، فإن فاعليته تتحقق عن طريق تنميته وزيادته، باعتباره صفة مكتسبة، وهذا الجانب المكتسب هو ما يبرز الفرق بين مستويات الذكاء بين الناس، وتتضح فروق الذكاء بصورة أوضح عندما يتم استثمار الذكاء عن طريق تطبيقاته والاستفادة منه في العلم والعمل، وكافة شؤون الحياة.

أما إذا أهمل ذكاء الفرد، وهُمّش بلا مبالاة، فقد يكون وجوده كعدمه، وينتج عنه ما لا تصوره إنسان، على سبيل المثال: عالم هندي متخصص في علم الأحياء وله علم واسع في مجاله... يخرج من المختبر فيعبد بقرة!! هل هذا الإنسان ذكي؟ أم هو ذكي ولكنه أهمل ذكاءه؟

طبيب متخصص في جراحة المخ ويقوم بعمليات خطيرة .. ثم يؤمن بتقمص الأرواح؟

كما أنه إذا تُرِكَ ذكاء الإنسان لنزعاته وتصرفه الشخصي، فقد يتحوّل إلى شر ومنحى لا أخلاقي ضد كل ما يحيط به، والسبب هو أن الأهواء والمصالح الشخصية لدى الفرد قد تطغى على ما لديه من ضمير وانتماء وصفات أمانة، فيعمد إلى استخدام ما لديه من ذكاء باتّباع (الغاية تبرر الوسيلة)، وهذا ما نراه في مشاهد الحياة المختلفة من كراهية وحسد وخداع، وما نراه في الأعمال التجارية بما فيها من غش واستغلال وتحايل على القانون، وما نراه في الأعمال الإدارية، حيث انتشرت المؤامرة والمحسوبية والتقييم غير العادل، واحتكار الصلاحيات. والأدهى من كل ذلك ما يحدث من توظيف سيئ للذكاء في مؤامرات دنيئة، وإرهاب ضد سلامة المجتمع وأمن الوطن والدولة[١]. وهذا يدفعنا للحديث عن علاقة الأخلاق بالذكاء، هل الذكاء بحاجة فعلاً إلى أخلاق؟

هل الذكاء بحاجة إلى الأخلاق ؟[٢]:

هل للأخلاق علاقة بالذكاء؟ وهل هناك تأثير للأخلاق على الذكاء سلبًا وإيجابًا؟ إن قيمة الذكاء من حيث الإيجاب والسلب تتعلّق بكيفية توظيفه، إذ إن الذكاء يحمل قيمة كامنة في حد ذاته، وتلك القيمة تظل محايدة ولا يمكن الحكم عليها حتى يتم توظيفها فعليًّا، بأن يتم توظيفها في الخير أو في الشر- مثلاً- عندها يمكن الحكم على تلك القيمة بأنها أخلاقية وحضارية ومقبولة، أو العكس.

فالذكاء سلاح ذو حدين، يمكن استخدامه في الشر أو الخير على السواء،

---

(١) للتوسع ينظر: توظيف الذكاء.. قيم كامنة، حمد عبد الرحمن الراشد.

(٢) ينظر للتوسع: الأخلاق والذكاء.. علاقة الضابط بالمضبوط، سليم الرقعي، وتوظيف الذكاء.. قيم كامنة، حمد عبد الرحمن الراشد.

والذكاء هو صفة من الصفات التي تطلق على أعمال الذهن البشري، أي العمليات العقلية الذهنية التي تجري في الدماغ- حسب الدراسات العلمية، فعملية التخطيط والتدبير مثلاً هي عملية تتم في الذهن أصلاً؛ لأنها عبارة عن رسم خطط، أي مجموعة من الأفكار والتصورات و(السيناريوهات) للوصول إلى هدف ما! وهذا التخطيط والتدبير قد تكون نتيجته خدمة المجتمع أو تطوير الوطن أو الذات أو مساعدة الآخرين مثلاً، وقد تكون النتيجة التخريب والتدمير والسرقة والاغتصاب وغيرها.

استخدامات الذكاء بين المشروع وغير المشروع:

عندما تريد الوصول إلى هدف ما، فإنك تحتاج إلى وسيلة وتصور وطريقة لكي تنجح في الوصول إلى هذا الهدف .. وهذا الهدف قد يكون مشروعًا وقد يكون غير مشروع، وكذلك الوسيلة أو الطريقة والحيلة للتوصل إليه قد تكون أيضًا مشروعة أو غير مشروعة.

فما المقصود بالمشروعية هنا؟

المشروعية: هي أن تكون هذه (الغاية) التي تريدها وتصبو إليها مشروعة في ذاتها من الناحية الدينية أولاً، ثم من الناحية الأخلاقية والمجتمعية ثانيًا.. أي مما يرضى عنها الله أو يرضى عنها المجتمع.. وكذلك (الوسيلة) لابد أن تكون مباحة وجائزة ومشروعة. ومن هنا تبقى الحدود الدينية والأخلاقية والمجتمعية حاجزًا هامًا (للذكاء والتفكير) لدى الفرد، تحدد له الضوابط اللازمة للتفكير والتخطيط والتدبير النظري.

فالإنسان ليس كامل الحرية في أن يأخذ بكل الأسباب الممكنة والوسائل العملية المتاحة للوصول للغاية، بل لابد أن تكون هذه الأسباب والوسائل مشروعة ومباحة من الناحية الدينية والأخلاقية أيضاً.. فالذي يريد كسب المال أو السلطان مثلاً عليه الالتزام بحدود الدين والأخلاق والضمير في

طريقة الكسب. فالغاية لا تبرر الوسيلة. واستمع إلى قول النبي ﷺ: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به**»[١]. ولاحظ عندما تكلم عن المال قال: «من أين اكتسبه وفيما أنفقه» أي: يسأل عن المورد والمصدر، أي عن الوسيلة والغاية، أما ترك مراعاة الضوابط والحدود فهذا هو العدوان والإجرام، وهذا هو الممنوع والحرام.

فالسرقة- مثلاً- إذا خطط لها السارق تخطيطاً ذكياً ومحكماً وأخذ بكل أسباب النجاح- من حيث الواقع المادي- تكون طريقة موصلة بالفعل للمال، بغض النظر عن الحكم الشرعي والقانوني والأخلاقي لها، ولكنها طريقة مرفوضة وغير مشروعة ولا مباحة.

لذا على الإنسان إعمال عقله وتشغيل قواه الذهنية والبدنية في حدود ما هو مشروع وما هو جائز ومباح في تدبير الوسائل المفضية لغايته التي يريدها، وإلا فهو مجرم ومعتد.

بين الالتزام والطغيان:

مما سبق يتبين لنا أن الذكاء حتى يكون نافعًا بنّاءً لا بد له من حواجز تحمي صاحبه، وتمنعه من الانزلاق في الهاوية، وأقوى رادع يمكن أن يردع الإنسان من الطغيان هو تقوى الله- سبحانه وتعالى. والطغيان كما يقع في الذكاء يقع في الحكم وفي المال وفي الجاه وغيرها، وإليكم بيان ذلك:

أولاً: الطغيان هو مجاوزة الحد في كل شيء زيادة عن اللازم أو المطلوب، فلما زاد الماء عن الحد المطلوب، وأدى ذلك إلى الطوفان العظيم قال تعالى في الماء: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[٢]، فسمى زيادة الماء عن الحد طغيانًا، وعندما أخبر سبحانه عن معراج النبي ﷺ وأنه عليه الصلاة

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، وصححه الألباني.

(٢) الحاقة: ١١.

والسلام لم يتجاوز بنظره حدود ما أتاحه له الله قال: ﴿ مَازَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[(١)].

ثانيًا: مجاوزة الحد في كل شيء يمكن أن تكون طغيانًا، والأمثلة على ذلك كثيرة من الواقع والتاريخ:

١ - طغيان المال: عندما آتى الله سبحانه من المال والكنوز ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ ﴾[(٢)] أطغى قارونَ مالُه، فتجبر وتمرد، وعندما ذكره قومه بنعمة الله عليه قائلين: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ نسي المنعم الحقيقي وأجاب: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[(٣)]، فكانت النتيجة أن خسف الله به وبداره الأرض ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[(٤)].

وفي العصر الحديث لا نزال نذكر سوق المناخ وما حصل فيه، فقد أُحرِق فيه بخور (خشب) بما يزيد على ٨٠ ألف دينار في ليلة واحدة. وما نراه اليوم في أسواقنا من أسعار للأحذية والحقائب- خاصة النسائي منها- والفساتين وقصَّات الشعر مما يشيب له الولدان. من هنا تتبين الحكمة من قول النبي ﷺ: «**نعم المال الصالح للمرء الصالح**»[(٥)].

٢- طغيان الحكم: وأول ما يلتفت إليه الذهن هنا: الحَجّاج عندما طغى في الحكم وجاوز الحد أدى به إلى أن قصف الكعبة بالمنجنيق عندما احتمى فيها عبد الله بن الزبير. وفي عصرنا الحديث رأينا ما فعله صدام بالكويت وبشعبه قبل ذلك، وما جره من الويلات والآفات على العراق وأهله.

---

(١) النجم: ١٧.

(٢) القصص: ٧٦.

(٣) القصص: ٧٨.

(٤) القصص: ٨٢.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وصححه الألباني.

٣ - **طغيان الجاه:** هو ما دفع كفار مكة لرفض الدين والقرآن مع علم أكثرهم أنه الحق، وتكذيب النبي ﷺ وقد كانوا قبل ذلك يسمونه (الصادق الأمين). وفي عصرنا الحديث كل ما نراه من تجبر وتكبر واستهزاء بالعباد، واستعبادهم وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، كل ذلك وغيره يدخل في عداد طغيان الجاه.

من هنا نرى أن الطغيان في كل شيء آفة على صاحبها، وإذا رجعنا إلى الذكاء رأينا أن الطغيان فيه يدمر صاحبه، بل المجتمع الذي هو فيه، والأمثلة على ذلك كثيرة أكثر من أن تحصر في القديم والحديث؛ فهذا فرعون استعمل ذكاءه متجاوزًا كل الحدود، حتى نصَّب نفسه إلهًا على قومه ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[1]. والسامري أطغى الناسَ؛ إذ أخرج لهم العجل الذهبي وأقنعهم أنه إلههم من دون الله. وهذا هتلر مع أنه كان برتبة عريف، لكنه استطاع أن يصل إلى الحكم والقيادة، وتمكن من محاربة العالم، لكن ذكاءه طغى فأخذ بيده إلى الهاوية.

وهكذا الذكاء إذا تجاوز الحد فجاسوسية الإنترنت، والهاكرز، ومخترع فيروس (تشارنوبل) كلهم يوضعون في خانة الأذكياء ولكن السؤال: أين يذهب ذكاؤهم؟!!

فطرة الله تستخدم في الحرب على دينه:

إذا تكلمنا على مستوى الدين رأينا أيضًا أنه عندما يستشري الذكاء، ويطغى على كل الضوابط والحدود؛ يفعل الأفاعيل، فابن أبي دؤاد كان من أذكى الناس، ولكن ذكاءه هذا جعله يقدم العقل على كل شيء حتى على نصوص الكتاب والسنة، فنشأ بذلك ما يسمى بفرقة المعتزلة.

وكذلك من العلماء والمتفقهين في الدين عندما يُطغُون العقل ويقحمونه

---

(١) الزخرف: ٥٤.

في كل صغير وكبير، يفعلون ما لم يفعله الأوائل بل والأواخر. وما حسن الترابي عنا ببعيد، إذ نأى بعقله عن كل الأصول الفقهية، والقواعد الدينية، وأصول استنباط الأحكام؛ فخرج معه من الفتاوى العجب العجاب، وألصقها بالدين، وكذلك ما نراه بين الفينة والأخرى من فتاوى غريبة وعجيبة من هنا وهناك تلصق بهذا الدين، مع أنها لا علاقة لها به من قريب ولا بعيد.

وهنا لا بد من التنبيه على أمر هو من الضرورة بمكان، وهو أن الله- سبحانه- نهى عن الاقتراب من حدوده أو تجاوزها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[١]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[٢]، وقال ﷺ: «**ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه**»[٣]، وإذا كان الاقتراب من حدود الدول البشرية أو تجاوزها جريمة يحاسب عليها القانون وتنفذ فيها الأحكام، فما بالنا بحدود الله- عز وجل؟

إن الله- سبحانه وتعالى- لا يُحارب ولا يُنازع في كبريائه، فهو الواحد القهار، وانتقامه لا يعادله انتقام، لقد رأينا منذ أمد قريب ماذا حل بالعالم من جراء الأزمة الاقتصادية، والسبب الأول فيها هو الربا الذي حرمه الله تعالى، ولها علاقة أيضاً بالذكاء، فلا ينكر أحد أن البنوك التقليدية (الربوية) والمعاملات الاقتصادية العالمية، فيها ذكاء كبير، وعمل دؤوب، وجهود عظيمة تَعرِف كيف تستل النقود من جيوب وخزائن أصحابها (برضاهم)، ولكن ما لبثت أن جاء يوم حطم أسطورتها، وهدد كينونتها، وما ذاك إلا لأنها أعلنت الحرب على الله ورسوله.

وما نراه اليوم من انحراف في الفكر وزيوغ في العقيدة يدفع إليها طغيان

---

(١) البقرة: ١٨٧.

(٢) البقرة: ٢٢٩.

(٣) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

العقل والذكاء، ويحاول أصحاب هذه الأفكار إلصاقها بالإسلام، أو إنزالها تحت ما يسمى بتطوير الفقه أو الدين!!

وبعد هذه الأمثلة قد يحار المرء ماذا يفعل؟ كيف يضبط ذكاءه حتى لا يجره إلى المصائب؟ مع أن الحق واضح وهو: أن الالتزام بالدين والتقوى هو الذي يحفظ من الغي والضلال، وهذا ما أدركه الأوائل في صدر الإسلام؛ فلقد كان قيس بن سعد بن عبادة من أدهى دهاة العرب، وما منعه من المكر والخديعة إلا الإسلام، فقد كان يقول: «لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب» [١]، فما كان يمنعه إلا الإسلام والتقوى، وهذا هو الضابط.

هل شديد الذكاء ناجح دائمًا؟

شديد الذكاء إما أن يكون لديه رصيد أخلاقي وديني يمنعه من الانحراف، أو لا يكون، فاللاأخلاقي وعديم الضمير والدين والمتحرر من كل هذه الحدود والقيود؛ قد يكون أكثر انطلاقاً في تحقيق أغراضه ونيل غاياته؛ خاصة إذا كانت آليات الردع الاجتماعي والأخلاقي والقانوني ضعيفة، أو كانت عين الرقيب الخارجي من المجتمع أو الأمن أو الحكومة كليلة. فلا ممنوع لديه، وكل ما هو ممكن- بالنسبة إليه- مشروع ! .. وكل ما هو متاح مباح !.. والغاية تبرر الوسيلة ! .. لذلك في بعض الأوقات نجد أن مثل هذا الفرد يبدو للناس أكثر نجاحاً من الإنسان الأخلاقي، **لكن في حكم الدين والأخلاق لن يكون مثل هذا المتفلت المنطلق في تحقيق رغباته سوى شخص دنيء ومجرم وخسيس وساقط أخلاقياً وأدبياً في عيون أهل السماء وأهل الأرض على السواء**، بخلاف ذلك الذي يحد ضميره من نطاق تفكيره، وتحد أخلاقه من نطاق خياراته وتصرفاته في الواقع العملي، وتضبط قوة الذكاء لديه في حدود ما هو مسموح به ومباح قبل ذلك.

---

(١) الوافي في الوفيات (١/ ٣٢٥٩).

على أنه يمكننا القول بأن شديد الذكاء- حتى لو استعمل ذكاءه في الطريق الصحيح- ليس له مجال في بلادنا العربية، ولا يمكنه العمل في مكانة مرموقة لدى الدولة، أو في سائر المؤسسات؛ فهل يرضى وزير- مثلاً- أن يكون وكيله شديد الذكاء؟! بالطبع لا، فإنه يخاف على منصبه، وقد يزلقه منه هذا الوكيل، ويكشف ألاعيبه واحتياله.. هل تقبل كثير من الأنظمة أن يكون وزراؤها من الأذكياء المستقيمين؟ مستحيل، وإلا سقطت هذه الأنظمة وذهبت مع الريح، فإن مثل هذه الوزارة من شأنها أن تغلق على النظام كل طرق الاحتيال والتلاعب والتزوير.. هل يمكن لإنسان خارق الذكاء أن يبرع في مؤسسة ما أو وزارة أو شركة؟ حتى وإن حاول فسيقتله ما يعانيه من روتين، وبيروقراطية، وتأجيل وتأخير في المعاملات وعدم اكتراث بالناس.

ويحضرني هنا قصيدة للشاعر أحمد مطر بعنوان (تقويم إجمالي) يقول فيها:

سألت أستاذ أخي عن وضعه المفصل:

فقال لي: لا تسأل

أخوك هذا فطحل

حضوره منتظم

سلوكه محترم

تفكيره مسلسل

لسانه يدور مثل مغزل

وعقله يعدل ألف محمل

ناهيك عن تحصيله

ماذا أقول؟ كامل؟

كلا.. أخوك أكمل

ترتيبه، يا سيدي، يجيء قبل الأول

وعنده معدل أعلى من المعدل

لو شئتها بالمجمل

أخوك هذا يا أخي ليس له مستقبل

التعامل مع القدرات:

إن في مكونات الإنسان أمورًا تستوجبها الحياة، ولو لم تكن موجودة لأصبح على الهامش، فحب الحياة- مثلاً- ضروري لكي يدفع الإنسان للعمل والإنتاج، لكن بشرط ألا يطغى، فيكون غاية بحد ذاته.. حب المال نحتاجه ليدفع الإنسان إلى التنمية والبناء، لكن بدون أن يكون عبداً لهذا المال.. يحتاج الإنسان إلى الذكاء ليتصرف بحكمة ودقة، ولكن ضمن أصول الدين والضوابط الشرعية، لأن الانحراف فيه مقتل بحد ذاته.

إن الله سبحانه قد وهبنا من الإمكانات والقدرات الشيء الكثير، وعلينا أن نُعْمِلها في الاتجاه الصحيح وفيما خلقت من أجله، من غير إفراط ولا تفريط، ولا زيادة ولا نقصان، فالنظر- مثلاً- خلقه الله فينا لرؤية ما حولنا حتى لا نتعثر، وحتى نتعرف على محيطنا؛ فإذا انتقل إلى تتبع العورات والتأمل في الفاتنات صار حرامًا، ومثله السمع صفة جعلها الله للتواصل والتعارف واستقبال المعلومات؛ فإذا استعمل في التجسس وسماع المحرمات صار انحرافاً، وكذلك العقل والذكاء يقال فيه ما قيل في سابقه، فإذا استفدنا منه في المسير في متوسط الاتجاه المعتدل نحو الصراط المستقيم، فثم الفوز والنجاح، وإلا فإن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده- كما يقال.



١٢ قبل أن تذهب نفسي حسرات.. على وطني

عنوان غريب يكتب، وخاصة أن الوهم قد لف العقول وغلف الأفئدة بأن الأمن والاستقرار هما حليفا المنطقة، وأنه لا مبرر من الحذر على الوطن، فالاستقرار بدأ يعم المنطقة، والاقتصاد يشهد نمواً متسارعاً، ومشاريع الإعمار تشهد طفرة جيدة، والكويت جددت بنيتها التحتية، والوضع الاقتصادي مطمئن، وكل المؤشرات إيجابية، فلماذا الشعور بالخوف إذن؟!

الخوف والحذر شعور طبيعي في الإنسان، وهو كما جاء في «التعريفات» ص ١٣٧: توقع حلول مكروه أو فوات محبوب، وهو شعور لا يعيب الإنسان إذا لم يتحول إلى فزع أو يأس وقنوط، وهي حالة تمر بالإنسان إذا فقد عنصر الأمن، ولذا شرعت صلاة الخوف، وكان المتنبي يقول:

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمــن إلا مـا رآه الفتــى أمنـاً

والخوف في القرآن الكريم قد يأتي بمعنى الظن كقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[١]، أو يأتي بمعنى القتال كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[٢]، وقد يأتي بمعنى النكبة التي تصيب المؤمن من قتل أو هزيمة كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[٣]، وقد يأتي بمعنى الخوف ذلك الشعور الطبيعي كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤].

(١) البقرة: ٢٢٩.
(٢) الأحزاب: ١٩.
(٣) النساء: ٨٣.
(٤) آل عمران: ١٧٥.

وللأستاذ سيد قطب- رحمه الله- تعليق لطيف على الآية حيث يقول: «إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه ويلبسهم لباس القوة والقدرة، ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر.. ذلك ليقضي بهم لباناته وأغراضه، وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد، وليخضع لهم الرقاب، ويطوع لهم القلوب، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكار؛ ولا يفكر أحد في الانتقاض عليهم ودفعهم عن الشر والفساد.

والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتفش الباطل، وأن يتضخم الشر، وأن يَتَبَدَّى قوياً قادراً قاهراً بطاشاً جباراً لا تقف في وجهه معارضة، ولا يصمد له مدافع، ولا يغلبه من المعارضين غالب.. الشيطان صاحب مصلحة في أن يبدو الأمر هكذا. فتحت ستار الخوف والرهبة وفي ظل الإرهاب والبطش يفعل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه! يقلبون المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وينشرون الفساد والباطل والضلال، ويخفتون صوت الحق والرشد والعدل، ويقيمون أنفسهم آلهة في الأرض تحمي الشر وتقتل الخير.. دون أن يجرؤ أحد على مناهضتهم والوقوف في وجههم ومطاردتهم وطردهم من مقام القيادة.. بل دون أن يجرؤ أحد على تزييف الباطل الذي يروجون له وجلاء الحق الذي يطمسونه.

والشيطان ماكر خادع غادر يختفي وراء أوليائه، وينشر الخوف منهم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته.. ومن هنا يكشفه الله ويُوقِفه عارياً لا يستره ثوب من كيده ومكره. ويعرِّف المؤمنين الحقيقة- حقيقة مكره ووسوسته- ليكونوا منها على حذر.. فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم.. فهم وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه ويستند إلى قوته»[١].

حذري اليوم على وطني نابع من حرصي:

إن القوة الوحيدة التي تخشى وتخاف هي القوة التي تملك النفع والضر،

---

(١) في ظلال القرآن (١/ ٥٢١).

هي قوة الله، وهي القوة التي يخشاها المؤمنون بالله، وهم حين يخشونها وحدها أقوى الأقوياء، فلا تقف لهم قوة في الأرض، لا قوة الشيطان ولا قوة أولياء الشيطان[(١)].

إن حذري اليوم على وطني نابع من حرصي على استتباب الأمن.. الأمن الداخلي.. تلك النعمة العظيمة التي تفتقدها دول وشعوب، ونحن ننعم بها ولكننا بممارساتنا المجحفة بحقها لا نقدرها حق ما تستحق من شكر وتقدير.

لا يمكن أن يستقر بلد ما بدون أسباب للعيش وأمن يحيط بتلك الأسباب، وقد ذكر الله- سبحانه وتعالى- من نعمه على قريش أنه سبحانه: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[(٢)] وهي نعم عظيمة لا أدري لماذا بعض أبناء جلدتنا يستهزئون بها، ويحاولون أن يمحقوها من حياتنا بممارساتهم الرعناء الطائشة.

لقد كان من دعاء أبي الأنبياء إبراهيم- عليه السلام- لربه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[(٣)]، فالأمن من الثوابث التي لا يختلف عليه أحد من أهل هذا البلد، بل هو مقوم أساسي من مقومات المجتمع، فالأمن والطمأنينة والسلام متطلبات أساسية للإنسان، ونحن الكويتيين في غنى عن التذكير بأهمية هذا الثابت، وقضية الأمن اليوم أصبحت أساساً من أسس الاستقرار الاجتماعي والسياسي والتربوي، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[(٤)].

ومقومات الأمن أوسع من أن تشملها اتفاقيات أمنية مع قوى عظمى،

---

(١) الظلال (١/ ٥٢١).
(٢) قريش: ٤.
(٣) الظلال (١/ ٥٢١).
(٤) الأنعام: ٨٢.

فهناك ما يستدعي عمله لتأمين الأوضاع الداخلية ونزع فتيل الخلافات السياسية والفكرية وغيرها، وهناك أيضاً ما ينبغي عمله لتوفير مقومات الأمن الدائم الذي يرتبط بتراث هذه الأمة أكثر من ارتباطه بقوى عظمى معرضة في يوم من الأيام إلى التفكك والانهيار.

إن حديثنا عن الأمن جزء لا يتجزأ من حديثنا عن الهوية، فالهوية التي دعونا إليها هي بمثابة المظلة التي يستظل بها الأمن الداخلي والخارجي للكويت.

ليس من أسباب الأمن :

- **ليس من أسباب الأمن** هذه المماحكات السياسية المستمرة التي تجاوزت كل الأعراف والتقاليد السياسية، وتحولت إلى خصومات وتصفية حسابات شخصية على حساب الصالح العام وأمن البلد واستقراره، والدفع بالأمور نحو التأزم المستمر والسير على حافة الهاوية بشكل متوتر، وإدمان الإثارة المفتعلة، وضياع الأولويات والبرامج الوطنية، والدخول بنفق المزايدات القبلية والطائفيات، ومحاولة فرض المحاصصة السياسية التي لا تقوم على تقسيمات اللعبة السياسية، وإنما على تقسيمات تفتيتية، الاستدراج لها سيكون في غاية الخطورة والخروج منها بلا إصابات في أمن الوطن أشبه ما يكون بالمستحيل.

- **وليس من أسباب الأمن** في بلدي أن يحترق جزء كبير من وقت القيادة السياسية العليا للأسف في يوميات العمل التنفيذية، فهذا بلا شك سيُدخلها في نفق ضياع الأوقات، وبعثرة الجهود ، وتشتت التركيز، وغياب النظرات الكلية، والغرق في تفاصيل المشاكل المالية والاجتماعية، والشئون الداخلية والخارجية.

نعم .. ليس من أسباب الأمن في بلدي أن تضيع هيبة القيادات الكبرى في

البلد، لأن الجرأة السوقية على قيادات البلد وضياع الحكم سيجعل المواطن قلقاً على أمنه واستقراره، وهيبة الحكم لا تكون بقدرة الحاكم على فتح أبواب السجون ولا التلويح بسياسة العصا والجزرة، وإنما بالسياسات القيادية والممارسات الاستراتيجية التي تفرض رؤيتها على الموجودين.

نعم.. نريد الحوار، ونشجع على إبداء الرأي، لكن أن يتحول الحوار إلى المس بهيبة الحكم، وأن تتفلت لغة الحوار من كل الضوابط القيمية والأخلاقية التي رضعناها من مبادئ ديننا وأعرافنا الكويتية، فهذا نذير خطر على الروح الأسرية التي تعودناها في العلاقة بين بيت الحكم وبيت الشعب، ومن يجهل هذه الأعراف ليقرأ تاريخ الكويت وعلاقة الحاكم مع المحكوم قبل ٦٠ سنة فقط لا أكثر، ليرى كيف يتعامل الناس حكاماً ومحكومين في حياتهم الاجتماعية والسياسية.

أقول بمثل الممارسات.. نعم .. إني حريص على وطني!!

- **فليس من أسباب الأمن** تلك الكتابات التحريضية على هوية الأمة، وهذا الهجوم الصريح المباشر على الرموز الدينية والهوية الإسلامية والانسلاخ من التراث، والاحتقار لكل موروث، والانتقاص من المكون النفسي والاجتماعي للشعب الكويتي، والانقضاض على القيم الاجتماعية ومحاولة تسفيه الأصالة، وإحلال القيم المتغربة التي أنهكت الشعوب التي صدرتها وبثتها، ومحاولة فرضها على الشعب الكويتي، وتصنيف الناس بناء على قبولها وردها، وسلّ سيف القلم على هذه الثوابت الكريمة الأصيلة التي تعاني من تنكُّرِ أبنائها بسبب الإصابات المباشرة التي أصابتهم بالهزيمة النفسية، وما استتبعها من محاولات إيجاد تفسير جديد للإسلام يلائم هذا الضغط المدفوع لتحقيق مصالح الآخرين في بلاد المسلمين.

- **وليس من أسباب الأمن** هذه الخصومات الفكرية التي تحمل لواء

التشنج والتسفيه واتهام النوايا، واللعب بالمناطق المحظورة، واستجلاب شواذ الأقلام العربية واستضافتها على صفحات جرائدنا المحلية، لينفثوا سمومهم، ويخرجوا مكبوت صدورهم تجاه صاحب كل موقف صلب وشجاع يبتغي من خلفه الكرامة والسيادة لأمته ودينه.

- **وليس من أسباب الأمن** هذا الصوت العالي في تداول شئون بلدنا، وهذا التوتر المستمر للأعصاب، وهذا الرفض الشديد للرأي الآخر مهما كان منطقياً ومعتدلاً في طرح فكرته، وهذا الجدل اليومي المستمر حول شئون البلد، وهذه البيانات المتكررة التي تحدد مواقف أو تبين مطالب بشيء من التشنج والحدة في الألفاظ والكلمات، وهذا التذمر المستمر، وهذه القناعة المفقودة، وهذه الشكاوى المستمرة، وهذا التجهم الذي يحكم الجميع، وهذه السلبية القاتلة في التعامل مع القضايا الحيوية، وهذه المعارك المستمرة التي لا يسلم فيها مغلوب بحق، ولا يتواضع فيها غالب بحكمة.

- **وليس من أسباب الأمن** في بلدي هذه الاستهانة العجيبة بالقانون، وهذا الانتهاك المستمر لقوانينه ونظمه ولوائحه، وهذا التعدي الخطير على سلطته، وهذه الممارسات الفئوية التي تريد أن تفرغ القانون من مضمونه، وتعود بنا إلى قانون العرف والعلاقات الشخصية، وتصنيف الناس، والتمييز في تطبيق القانون وأحكامه.

- **وليس من أسباب الأمن** هذا التعدي المؤذي المستمر على المال العام، وصورة البقرة الحلوب التي لا تريد أن تغادر أذهان البعض في تعاملهم مع المال العام في الكويت، وهذه السرقات والاختلاسات التي نسمع بها ونقرأ عنها ما بين فترة وأخرى.

- **وليس من أسباب الأمن** في بلدي هذا التطرف الأعمى الذي يريد أن يُدخل وطني في دوامة العنف الأسود؛ حيث القتل والدماء والدمار

واستحلال الأموال والأعراض، وحيث العقول المسلحة بفكرة احتكار الحقيقة المقدسة، وتكفير المخالفين، وتسفيه الآخرين.

- **وليس من أسباب الأمن** في بلدي مبارزة الله بالمعاصي والموبقات والفواحش والمنكرات، ونشر هذه الرذائل على أجهزة النقال والحاسب الآلي والفضائيات في الشقق المشبوهة، والأماكن المرذولة، وهذا البغاء المستتر، وهذه الوجوه غير البريئة المنتشرة بين المقاهي والشواطئ والمطاعم والتي تبحث عن صيد بين شبابنا الغض الطري الذي يستجيب لنداء الشهوة الآثم، مدفوعاً بلقطة بلوتوث أو مشهد قناة عري أو موقع مشين على شبكة الإنترنت.

- **وليس من أسباب الأمن** ألا ندرك أبعاد جميع ما سبق من مخاطر ومستجدات ذات تأثيرات سلبية على وطني وأبناء وطني، ومواجهة ذلك بالبرامج الوطنية الجادة التي يتفق عليها الجميع، وعدم ترك تلك المخاطر للزمن حتى تستفحل وتصل إلى نقطة اللاعودة؛ كقضايا أخرى أهملناها، فأصبحت من الصعوبة أن نتعاطى معها الآن، وربما نعالجها بأسلوب المهدئات لا أكثر ولا أقل.

حكموا العقل والشرع في ما قاله الرفاعي:

إن ما طلبه السيد «**فـؤاد بن السيد عبد الرحمن الرفاعي الحسيني**» في مركز «**ذكر**» يشتمل على مطالب إسلامية من أهمها: البراءة من تكفير أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وعائشة وبقية الصحابة- رضوان الله تعالى عليهم- والدعوة إلى تعظيم كتاب الله- سبحانه- الذي نزل به الروح الأمين، جبريل- عليه السلام.

وإنه بهذه المطالب لم يأت بجديد، ولم يتعرض لأحد، فكل الذي ذكره مطلب لكل مسلم، فعدم تكفير المسلمين، وعدم الطعن في جبريل- عليه

السلام- واحترام القرآن الكريم وغيرها من المطالب هي مطلب لكل مسلم.

فأين الطائفية في كلام الرفاعي؟ فالبيان لم يحدد فئةً معينة أو طائفة محددة، إنما هو بيان لجميع المسلمين، فلم هذا التجاهل؟

ثم لنحكم العقل والشرع فيما ذكره السيد الرفاعي، هل هذا المطلب فيه شك؟

فإن كان فيه شك أو خلاف بالنسبة لتكفير الصحابة وغيرهم، فالمسألة أكبر من الطائفية، والمسألة متعلقة بدين أو لا دين عندما لا نبرأ ممن يكفر الصحابة ويتهم جبريل.

وأنا أدعو السيد «علي المتروك» وهو ممن يدعو إلى وحدة الصف والتقارب ويُعرف بعقلانيته أن ينظر بقراءة متزنة للبيان وفيما ذكر الرفاعي، وأن يكون حكماً، وأن يكون الجواب عقلانيا لا سياسيا! ثم هل فيما ذكر الرفاعي في بيانه دعوة للطائفية أو للفرقة...؟

من حقي أن أكون حريصا:

من أجل كل ذلك أنا حريص على بلدي، وكل بلاد المسلمين، لا أريد أن ينتصر الظلام على النور، ولا أن يستوطن الخوف في قلوب الأطفال، ولا أن يخطف الإرهاب زهرة الشباب، ولا أن يكون المستقبل هو ضحية خلافات الحاضر.

من حقي أن أكون حريصًا على بلدي، ويجب أن يشاركني في هذا الخوف كل من يراقب الساحة المحلية فيها، وسيجد أن خوفي المشروع هذا يصلح بداية حسنة يمكن البناء عليها لمستقبل أفضل.



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه الطاهرين.. وبعد:

نعمة الله في الصحة والمرض :

الدنيا دار عبر وعبرات، وابتلاء وامتحانات، فلا خيرها يدوم ولا شرها يبقى، وإن المؤمن فيها مبتلى، والابتلاء سنة ربانية ماضية، وهي من مقتضيات حكمة الله وعدله، يبتلي عباده بالسراء والضراء.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالْخَامَةِ**[1]**، مِن الزَّرْعِ تُفَيِّئُهَا**[2] **الرِّيحُ مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا مَرَّةً، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالْأَرْزَةِ لَا تَزَالُ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا**[3] **مَرَّةً وَاحِدَةً**»[4].

فالمؤمن عرضة للبلايا والرزايا وكثرة الآلام في بدنه أو أهله، وأما الكافر فقليلها، روى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ؛ فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ. فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»[5].

---

(١) الخامة: اللينة من الزرع .

(٢) تفيئها: تميلها.

(٣) انجعافها: انقلاعها.

(٤) رواه البخاري (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٨١٠)، واللفظ للبخاري.

(٥) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، وقال: حديث حسن صحيح.

ومنه قال ابن القيم- رحمه الله: «لو علم العبد أن نعمة الله عليه في البلاء ليست بدون نعمة الله عليه في العافية لشغل قلبه ولسانه بشكره»(١).

كما أن المرض سبب للتشريعات والرخص، فعَنْ عمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ- رَضِيَ الله عَنْهُ- قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصلاَةِ؟ فَقَالَ: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»(٢).

والإنسان في كل أحواله بين حالتين: إما مرض يصبر عليه، أو صحة يشكر عليها، روى البخاري ومسلم عن عبد الله قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي، فقلت: يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم**». قال: فقلت: ذلك أن لك أجرين؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يصيبه أذًى من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها**»(٣).

وأصيب أحد السلف بمرض في قدمه فلم يتوجع ولم يتأوه، بل تبسم واسترجع. فقيل له: يصيبك هذا ولا تتوجع؟ فقال: إن حلاوة ثوابه أنستني مرارة وجعه.

الحكمة من الأمراض والأسقام:

ما من شيء يقدره الله تعالى علينا إلا وله حكمة، فما يعترينا من أسقام ما هي إلا حكم أرادها الله تعالى لنا، ويمكن أن نلخص أهم حكم المرض فيما يلي:

١ ـ المرض دربة على الصبر:

لقد خلق الله تعالى خلقه للابتلاء والامتحان، فيستخرج منهم عبودية السراء وهي الشكر، وعبودية الضراء وهي الصبر. وهذا لا يتم إلا بأن يقلب

---

(١) طريق الهجرتين (١/ ٤١٧)، دار ابن القيم – الدمام.

(٢) رواه البخاري (١١١٧).

(٣) رواه البخاري (٥٦٦٠)، ومسلم (٢٥٧١).

الله الأحوال على العبد؛ فيمرض تارة، ويغضب تارة، ويفرح تارة أخرى وغيرها، حتى يتبين صدق عبوديته لله تعالى، ويتعرض بذلك العبد للثواب، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾(١).

فالمرض يعرف به صبر العبد، فيمتحن الله صبر العبد وإيمانه بالمرض، فإما أن يخرج ذهباً أو خبثاً، كما قيل:

سبكناه ونحسبه لجيناً فأبدى الكير عن خبث الحديد

روى الترمذي عن أنس مرفوعاً: «**إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط**»(٢)، وفي رواية: «**ومن جزع فله الجزع**»(٣).

٢ـ تمحيص وتكفير للذنوب والخطايا:

إن المرض قد يكون عقوبة على ذنب وقع من العبد، وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خيرٌ له، حتى تكفر عنه ذنوبه ويَلْقَى الله وما عليه خطيئة، فساعات الوجع يُذهبن ساعات الخطايا، والذنوب تكفرها المصائب والآلام والأمراض، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾(٤).

٣ـ سبب لرفع الدرجات ودخول الجنات والنجاة من النار:

من فوائد المرض أن العبد إذا صبر عليه فإنه يثاب بكتابة الحسنات له، ورفع الدرجات، وحصول الأجور العظيمة، قال رسول الله ﷺ: «**ما من**

---

(١) البقرة: ١٥٥-١٥٧.
(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال الألباني: حسن صحيح.
(٣) رواه أحمد (٥/ ٤٢٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده جيد.
(٤) الشورى: ٣٠.

مسلم يُشاك شوكة فما فوقها، إلا كُتب له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة»(١).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة من وعك كان به، فقال له رسول الله ﷺ: «**أبشر؛ فإن الله- عز وجل- يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظه من النار في الآخرة»**(٢).

٤ ـ سبب في رد العبد إلى مولاه وخالقه، وتجديد التوبة من الغفلة:

من فوائد المرض وغيره من المصائب أنه يرد العبد الشارد عن ربه إليه، ويذكره بمولاه بعد أن كان غافلاً عنه، ويكفه عن معصيته بعد أن كان منهمكاً فيها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾(٣).

والمرض يتيح للمريض فترة سكون طويلة يخلو بها بنفسه، ويراجع ماضيه، وينظر إلى مستقبله، ويحاسب نفسه قبل أن يُحاسَب يوم القيامة، فيستغفر من ذنوبه ويتوب، فعندما يخرج من باب المرض يكون قد سطر في صحائفه أنه من التوابين، فالمرض يريك فقرك وحاجتك إلى الله- عز وجل- وأنه لا غنى لك عنه طرفة عين. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله: «مصيبة تُقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله..».

٥ ـ تذكير المؤمن بنعمة الصحة:

الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراها إلا المرضى، ومن فوائد المرض أن المرء يعرف ثمن نعمة الصحة، فيكون دائماً حامداً شاكراً له، يقول الرسول ﷺ: «**من أصبح آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»**(٤).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٢)، وأحمد (٦/ ١٧٣).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٧٠)، وأحمد (٢/ ٤٤٠)، وصححه الألباني.

(٣) الأنعام: ٤٢.

(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، وحسنه الألباني.

الدنيا لا تساوي شربة ماء:

ذكر أهل السير أن ابن السَّماك دخل على هارون الرشيد، وهو يشرب، فقال له: أستحلفك بالله، لو أنك مُنعت هذه الشربة من الماء، فبكم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هنأك الله، فلما شرب قال: أستحلفك بالله تعالى، لو أنك منعت خروجها من جوفك بعد هذا، فبكم كنت تشتريها؟ قال هارون: بملكي كله. فقال: يا أمير المؤمنين إن ملكا تربو عليه شربةُ ماء، وتفضله بولةٌ واحدة، لخليق ألا يُنافس فيه. فبكى هارون الرشيد حتى ابتلت لحيته.

فقال الوزير الفضل بن الربيع: مهلاً يا بن السماك، فأمير المؤمنين أحق من رجا العاقبة عند الله بعدله في ملكه. فقال ابن السماك: يا أمير المؤمنين، إن هذا ليس معك في قبرك غداً، فانظر لنفسك، فأنت بها أخبر، وعليها أبصر.

فهل تأمَّل أحدنا في نفسه التي بين جنبيه؟

هل نظر يوماً إلى يديه كيف يحركها ويقبضها ويبسطها؟

هل نظر إلى قدميه؟ كيف يمشي بها من هنا إلى هناك، دون أن تعصيه.

هل تأمل كل واحد منا هذا، ثم سأل نفسه: مَنْ الذي أجرى نَفَسَي ودمي.. وشق سمعي وبصري .. وحرك يدي وقدمي؟ إنه الله جل جلاله.

ولذا فلماذا يتكبر الواحد منا وينسى فضل الله تعالى. إن الأموال كلَّها لا تساوي ليلةً واحدة تقضيها على السرير الأبيض.

العبادات القلبية في حالة المرض:

إن المرض عذرٌ يطرأ على الإنسان، وهو معرضٌ له في أية من لحظات حياته؛ ولهذه الحالة الطارئة أحكام خاصة بالنسبة لأمور العبادات، فالمريض قد يعجز أو يشق عليه أداء بعض العبادات الجسدية كالذهاب لصلاة الصبح وغيرها من العبادات الجسدية، لكن الله تعالى قد يسر له كثيرًا من العبادات القلبية والتي تفوق العبادات البدنية كالتفكر والانكسار والذل

والشكر، وهذا من كرم الله تعالى على الإنسان.

كما أن المريض يكرمه الله تعالى بأن يكتب له من الثواب على العمل ما كان يعمله وهو سليم، فالعبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة والتعرف على الله في الرخاء، فإنه يحفظ له عمله الصالح إذا حبسه المرض، وهذا كرم من الله وتفضل، هذا فوق تكفير السيئات، حتى ولو كان مغمى عليه، أو فاقداً لعقله، فإنه مادام في وثاق الله يكتب له عمله الصالح، فعن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً**»(١).

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ابتلى الله- عز وجل- العبد المسلم ببلاء في جسده قال الله- عز وجل- للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، وإن شفاه غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحدٍ من الناس يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه قال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي**»(٣).

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ : «**إن العبد إذا كان على طريقةٍ حسنةٍ من العبادة، ثم على مرض، قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أُطلقه أو أُكفته إلي**»(٤)، وعَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه- أنّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: «**إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ لأَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مِنْ مَسِيرٍ، وَلا قَطَعْتُمْ مِنْ وَادٍ، إِلا كَانُوا مَعَكُمْ فِيهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٤٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٨) .

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٥٩)، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم

(٤) رواه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وقال شعيب الأرناؤوط : صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٥) رواه البخاري (٤٤٢٣) وأحمد (٣/ ١٠٣).



الديمقراطية والتربية:

النظرية الديمقراطية في التعامل نظرية لها تقديرها واعتبارها، إن وضعت في محلها الصحيح، واستخدمت في زمانها المناسب، وبين الذين يحسنون المشورة لخبرتهم العملية، وحنكتهم السياسية، وسلامة قراراتهم الإدارية.. هؤلاء وأمثالهم تنمو بينهم الديمقراطية وتزهر آثارًا إيجابية نافعة في مجالات الحياة المختلفة وقضاياها المتعددة.

أما إن استخدمت الديمقراطية في غير مكانها، وبين الذين لا يحسنون- لصغر سنهم وقلة إدراكهم- ما يترتب على عواتقهم من مسئولياتها، فإنها- حينئذ- تضر ولا تنفع، وتسيء ولا تحسن، ويكون شرها أعظم من خيرها.

وليس حديثنا اليوم عن القضايا السياسية، التي تلقى اهتمام معظم الناس ومشاركتهم بالرأي، ولا عن القضايا الاقتصادية، التي يخوض كل الناس في حديثهم عنها، وخاصة إن اتصلت بما يمس حياتهم اليومية، فمثل هذه القضايا يلتفت الناس إليها، ويبحثون عن حلٍّ لها، ويتداولون الرأي حولها، ويقدم المختصون أبرز الحلول وأقربها للتخلص من آثارها، وإبعاد كثير من خسائرها عن الناس.

أما في مجال القضايا الاجتماعية، فإنها لا تلقى من الناس نفس الاهتمام، وإن كانت تثير في النفوس كثيرًا من الآلام والأحزان؛ وخاصة عندما يستخدم الناس فيها الديمقراطية، فيضعونها في غير موضعها، ويستعملونها مع غير رجالها.

لقد أعطت النظرية الديمقراطية الناس حقوقهم في التعبير عن آرائهم،

وأعطتهم الحرية في اختيار الألفاظ التي تحمل الآراء والأفكار للآخرين، ولكنها لم تعطهم الكياسة في اختيار الألفاظ، ولا الفطنة في استخدام ما يقال وتجنب ما لا يقال، لأن مرد الكياسة والفطنة إلى التربية العميقة والممارسة التوجيهية الصحيحة، التي تقوم بها المؤسسات التربوية ابتداءً من الأسرة حتى الجامعة، وبناء على هذا فليس كل من ملك حق التعبير أحسن العبارة، ولا كل من كان له رأي أحسن إظهاره، فقد يأتي التعبير مجافيا للمقصود، وحتى لا يحدث ذلك قال البلغاء قديمًا: لكل مقام مقال، ولكل دولة رجال.

لماذا انقطع الاحترام؟

وإذا استشرنا من ليس أهلاً للمشورة، وأفرطنا في الاستماع لكل الآراء والاعتراضات من غير أن يكون هناك حد لوضع الأمور في نصابها، وحسم الأشياء التي يدور التنازع حولها.. فإن ذلك يولد- لا أقول جرأة في إبراز الآراء- بل أقول تهورًا في الكلام، وقد يصحبه لمز أو غمز في بعض الأحيان، مما يعني جرأة على المسئول تفقده الهيبة التي يجب أن يستصحبها دائمًا معه حيثما حل.

ولا تنس- أخي القارئ- أننا نتحدث عن الجوانب الاجتماعية التي تقوم بها المؤسسات المختلفة وفي مقدمتها الأسرة، التي تخلى فيها الأب عن دوره التربوي الأصيل الذي لا يمكن الاستغناء عنه أو تعويضه، تحت وطأة ذيوع وانتشار ما سمي بـ«النظرية التربوية الحديثة» التي تترك للأولاد في بيتهم الحبل على الغارب، يتصرفون كيف يشاؤون، ويقولون ما يريدون، دون مراعاة لمن يتحدثون، ولا أمام من يتصرفون، بحجة تربيتهم تربية ديمقراطية (صحيحة) مما أوجد نوعًا من التسيب، سقطت معه هيبة الوالدين في بيتهما، فما عاد لوجودهما اعتبار، ولا لقولهما- في كثير من الأحيان- تقدير، بسبب هذه النظرية التربوية الجديدة على حياتنا والمخالفة للمأثور من عاداتنا

وتقاليدنا، فقد كان من مأثور القول عندنا: «لاعب ولدك سبعًا، وأدبه سبعًا، وصاحبه سبعًا، ثم اترك له الحبل على الغارب»، أي بعد أن يصير رجلاً مكتمل الرجولة، قد تعلم وتربى وعرك الحياة وعركته، في ظل توجيه سديد من والدين يعرفان واجبهما ويقومان بحق أبنائهما عليهما، يضعان الحب والحنان في موضعه، ويضعان الشدة -كذلك- حين يقتضي الأمر في موضعها من غير إفراط ولا تفريط في أي جانب من الجوانب، فتستقيم حياة الأبناء، وتظل مهابة الوالدين باقية تحتفظ بها القلوب وتظهر في السلوك.

وكان المأثور من تقاليدنا أن الأبناء يقبلون رؤوس الآباء وأيديهم صباح مساء في بِرٍّ ظاهر وحب غامر واحترام وافر، كانوا يفعلون ذلك دون شعور بالدونية، فلم يكونوا معقدين ولا انطوائيين .. ولم يُعِقهم ذلك ويمنعهم من التفوق في حياتهم وأعمالهم، فقد خرج من هذا الجيل، الذي حرص على بر الوالدين واحترام الكبار من حمل أمانة المسئولية في كثير من المواقع، فأحدثوا فيها أعمالاً جليلة وآثارًا عظيمة، وكان من هذا الجيل كل الذي تولوا مراكز مرموقة، في مراكز البحث العلمي في الدول المتقدمة، التي تحرص على أن تنتفع بخدمة هؤلاء الذين تربوا على احترام وبر الوالدين، بل احترام كل كبير، والرحمة بكل صغير، لأنهم تربوا تربية أصيلة، فيها الاعتبار- كل الاعتبار- للقيم التي تجعل المرء جادًّا في حياته، بارًّا بوالديه، وفياً لوطنه، حريصًا على إتقان عمله، مراقبًا ربه في تعامله مع الآخرين.

ولسنا- بطبيعة الحال- نريد ذلك الأب الذي يتحرك في بيته وكأنه قائد عسكري في أرض المعركة، يستنفر كل من في البيت؛ بحيث يسكت المتحدث، ويقف الجالس، ويصمت الجميع؛ انتظارًا لأمره العظيم، لسنا مع هذه النوعية من الآباء، فربما كان ضررها أكثر من نفعها، وكان غيابها أرجى لدى الأبناء من حضورها، ولكننا لا نود للأب أن يدخل بيته فلا يُعِيره أحد التفاتًا ولا اهتمامًا، ويتحدث فلا يعيرون حديثه انتباها ولا إنصاتا، ثم يسكت على ذلك الإهمال

بحكم التربية الحديثة؛ لأن ضرر هذه الحالة أعظم من كل ضرر. وهذه (التربية) لا تنتج غير التسيب والإهمال الشديد في حق الوالدين وحق الأسرة وحق العمل وحق الوطن، بحيث يغلب على الأبناء لا مبالاة غريبة بكل ما يدور حولهم، فلا يعتمدون على أحد منهم، وتضيع المسئولية من بينهم، ولا يبقى إلا أن ينظر كل فرد منهم لما يريده هو - وحده - وإن كان من بعده الطوفان.

التربية الصحيحة التي تنتج الاحترام للوالدين، وتشعر الجميع بمسئولياتهم نحو أسرهم وأوطانهم هي التربية المطلوبة .. والأمر يحتاج إلى وقفة جادة من جميع المؤسسات المعنية لإقرار هذه التربية السلوكية، بحيث تختفي مظاهر الازدواج من حياتنا وتتلاشى بين الأجيال.. وإنه ليحزنني أن أرى أبًا يسير مع ابنه أو يجلس معه وفي يد الابن سيجارة يدخنها، وينفث دخانها ربما في وجه أبيه. وإني ليحزنني أن أرى أمًّا محجبة تسير مع ابنتها المتبرجة، وقد أخذت زينتها وازينت بكل أنواع الزينة، لا تبالي وهي في طريقها مع أمها بنظرات المتطفلين ولا بكلمات الماجنين. وإنه ليحزنني أن أرى مجموعة من الأبناء القادرين قد سعوا بأبيهم أو بأمهم إلى دار العجزة في عقوق ظاهر من أجل أسباب تافهة..

وما يحزنني في المجالات الاجتماعية أكبر من أن يحصى ويحصر، وما نتج هذا إلا من فقدان الاحترام، وغياب هذه القيمة من حياة الجيل الناشئ، الذي لن يقف تفريطه -إن أهملنا علاج هذه الحالة- عند هذه القيمة وحدها، لأن القيم كلها عقد تنتثر حباته إن انقطع نظامه. أما إن نحن أمسكنا نظامه وعقدنا خيطه تماسكت حباته وبقيت. وهكذا القيم، فهل نحفظها ونحافظ عليها قبل أن تقضي - بغيابها وفقدانها - على الأخضر واليابس؟

القيم عندنا وعندهم:

لقد سقطت القيم الأخلاقية في مجال العفة والاستعفاف عند غير المسلمين منذ زمن بعيد، وطغت على حياتهم الفواحش ما ظهر منها وما

بطن، وارتضاها الجميع؛ بحيث لم تعد إثمًا يشين صاحبه، إلا إذا صحبها كذب في الكلام، أو حدثت في مكان لا يليق أن ترتكب فيه الفواحش والآثام كالبيت الأبيض مثلا، حينئذ قد تجد بعض المنتقدين الرافضين لما صحب الفاحشة وأحاط بها، وليس رفضهم للفاحشة في ذاتها، ولا غرابة بعد كل ما قيل أو نشر في فضيحة «مونيكا» أن تزداد لدى الشعب الأمريكي شعبية كلينتون، حيث تسقط القيم الأخلاقية وتحيا وتعيش الأعمال الإباحية.

لكن الغرب في عمومه ظل يحافظ- ولو بقدر- على قيم العدل وحقوق الإنسان وكرامته، والاهتمام بالعمل، والصدق في التعامل، والبعد عن الغش والتزوير، وغير ذلك من القيم العملية السلوكية على الأقل في بلادهم، أما عندنا في بلاد الشرق، فإننا نحافظ كثيرًا على قيم العفة والاستعفاف، ولا نبالي بكثير من القيم الأخرى، فقد تضيع قيمة العدل، أو تسقط حقوق الإنسان، أو غير ذلك من القيم التي نفقد بغيابها الكثير.

إن الغرب وهو يحافظ على بعض هذه القيم إنما يحافظ عليها؛ لأنها تحقق له موازين الحياة السليمة، فهو يرى فيها مصلحته، أما نحن فإننا نرى أن هذه القيم تحقق لنا- أيضا- موازين الحياة السليمة، إلى جانب أن فيها ثواب الله؛ لأنها مستمدة من الدين ومن هدي الرسول الأمين ﷺ.. ولقد أضعنا كثيرًا من هذه الفضائل، وكان مما ضاع من قيمنا المستمدة من ديننا احترام الكبير، وبر الوالدين- عند البعض- وفقدان الحياء، وعدم الالتزام بالسلوك العام، أو العرف المتداول بين الناس، حتى إنك ترى في الشارع الواحد كثيرًا من مظاهر الحياة المنتشرة في الشرق أو الغرب مما ينذر بغزو اجتماعي تسقط أمامه بعض التقاليد الأصيلة في المجتمع، وتأخذ في طريقها بعض القيم التي تربت عليها أجيال وأجيال.

فهل نحاول أن نقف في وجه هذا الغزو الاجتماعي الوافد علينا من الشرق

ومن الغرب قبل أن يهدم ما تبقى لدينا من قيم تحفظ علينا حياتنا، ونقيم في ضوئها موازين سلوكنا؟ أم أننا سنترك الأمر فوضى، لا ضابط لها ولا التزام نحوها، بحيث نصل إلى التسيب في مظاهر الحياة المختلفة؟

لماذا التسيب؟

التسيب في حياتنا أوضح من أن يُشار إليه أو يُدلَّ عليه، فمظاهره عديدة في شوارعنا ومدارسنا ومستشفياتنا وفي كثير من مؤسسات الدولة، وفي التعامل مع المال العام (ممتلكات الدولة) وفي غير ذلك من المواقع والأماكن، وهو ألصق بنفوس بعض الناس من كثير من الرغبات، ولذا فهم ينشرونه أينما وُجدوا، دون أن يبالوا بأنهم- بعملهم هذا- ينشرون الفوضى، ويشيعون الخراب في أرجاء الديار، فلا صلاح ولا عمران بغير انضباط ونظام، فإذا فُقِد الانضباط وضاع النظام فماذا تنتظر لأناس هذا حالهم؟

ولعل من أسباب ذلك ضعف التربية الدينية والوطنية. أما ضعف التربية الدينية فهو لا يخفى على أحد في الشرق أو في الغرب. ولا يشك صاحب عقل ولب في سلامة التربية الدينية من حيث وسائلها وأهدافها. وهي تربية يوشك الجميع أن يبتعدوا عنها. وهذا سبب كثير من البلاء في كثير من البلاد.

ضعف الإحساس بالمواطنة :

وأما ضعف التربية الوطنية فلا يخفى كذلك على أحد، لأنه سبب كثير من الدمار الذي يلحق مرافق وطنية عديدة، في سلامتها قوة للوطن، وفي اعتلالها واختلالها وبال على الوطن.. وضعف هذه التربية الوطنية أدى إلى فقدان الإحساس بالانتماء الوطني، سواء أكان انتماءً معنويًّا أخلاقيًّا لبلده، أم انتماء ماديًّا. إن الشخص الذي فقد الانتماء الوطني الحقيقي لا ينتمي إلا لمصلحته فقط، ولذا فهو يحافظ على ممتلكاته الخاصة، لأن بينه وبينها رابطة مادية ومعنوية، فهو حريص على سيارته- مثلا- ولا حرص عنده على سيارات الآخرين، لأنه لا يرى صلة تربطه بممتلكاتهم، ولذا فإنه غير حريص على

ممتلكات الدولة، لأنه لا تربطه بها رابطة مادية ولا رابطة معنوية، فالوطن- في رأيه- لا يزيد عن مكان من الأمكنة غير مميز بميزة خاصة.. إن تاريخ هذا الوطن مجهول لديه، إن إحساسه بأن ازدهار هذا الوطن عائد عليه مفقود عنده.. إن القيم التي يحرص عليها هذا الوطن لا تجد عنده قبولاً، ولذا لا يأنف أن يلبس قميصًا عليه علم دولة أخرى، ولا يستنكف أن تحمل ملابسه الخارجية صورة ساقط من الغرب أو ساقطة، إنه بهذا يعلن الانتماء لأرض غير أرضه، ويعلن الإيمان بقيم غير القيم التي آمن بها الوطن ومن فيه. إنه يقول: أنا نبت غير نبتكم، وإن نشأت في أرضكم. أينتظر أن يدافع أمثال هؤلاء عن أرض أو عرض؟

إن الوطن لديه سفينة تعبر به من شاطئ لآخر، وتستوي عنده مع هذه السفينة أي سفينة أخرى تؤدي هذه المهمة، فلماذا يتعب نفسه بمشاكل الوطن؟ ولماذا يحرص على تقدمه؟ ولماذا يحافظ على ممتلكات الآخرين؟

إنه لم يسمع أو يقرأ في يوم من الأيام قول ابن الرومي:

وحبب أوطانَ الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ عهود الصبا فيها فحنّوا لذلكا

ولم يسمع بقول رسول الله ﷺ يوم أخرج من مكة: **«والله إنك لأحب أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت»**[1] إنه لم يسمع عن حب الأوطان، فنمى في قلبه الدمار الذي يخرب الأوطان ويقلق الغيرة عند الإنسان الحر الغيور على بلده ووطنه.

دور التربية والإعلام:

ولعلك تسأل: ومن المسئول عن ذلك؟

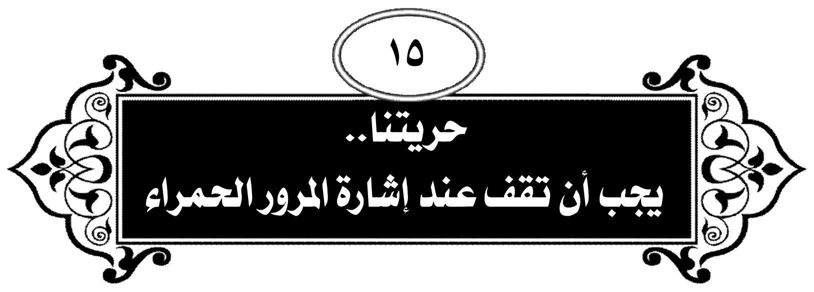
ونقول مجيبين عن هذا السؤال: إن المسئول بالدرجة الأولى مؤسستان:

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٦١).

المؤسسة التعليمية، التي لا تنمي الانتماء، ولا تعلم الإنسان أنه يعيش في مجتمع من البشر، وأن له حقوقًا قبل الآخرين يأخذها، وعليه واجبات نحوهم يؤديها، وأخذه لحقوقه وقيامه بواجباته متساويان لا تفضيل بينهما لحالة على أخرى.. وإنْ وُجد تفضيل فإن إيثار الآخرين أولى وأحق، ليتخلص الإنسان من أثرته وأنانيته.

والمؤسسة الأخرى هي المؤسسة الإعلامية التي تقدم- في معظم موادها- ما يخدش الانتماء الوطني، ويبرز الحقوق دون الحرص على تقديم الواجبات، ولذا فدغدغة الغرائز والشهوات ونماء الثروات عن طريق النصب والاحتيال أو الربا والقمار أو الغش والتزوير هي أبرز ما تدور حوله المسلسلات والأفلام والمسرحيات، وكلها في النهاية تصب في خانة المصالح الذاتية والمكاسب الشخصية. فهل تثمر مثل هذه الأشياء حرصًا على أملاك الآخرين، أو حبًّا لممتلكات الدولة، أو حثًّا على القيام بالواجبات الملقاة على عاتق الفرد؟

وبالتالي: هل تحقق هاتان المؤسستان التربية الوطنية الصحيحة؟



أولاً: الحرية من أصول الدين:

لا مجال للتردد في عرض الأصول الدينية أمام الناس، ولا مجال للمساومة تجاهها، أو الاختيار من بينها، أو التشكيك في بعضها، أو المهادنة حيال المتشككين المشككين في هذه الأصول، من غير أن تكون لهم رغبة حقيقية في الوصول إلى الصدق واليقين، وإنما هم يسيرون وراء هوى غربي أو شرقي يقلدونه، وهم معصبو العيون عما عندهم من تعاليم الله وتعاليم رسوله وهديه في سيرته وسنته ﷺ، فيتركون ذلك المنهج المعصوم، ويلوذون بمناهج أخرى أرضية يقلدونها، وإن خالفت مبادئ السماء، ويجهرون بها، وإن أفسدت جيلاً من الأبناء.

أصول الدين في العقيدة والشريعة لا خلاف عليها بين جميع علماء الأمة في جميع عصورها وأمصارها، وهم في ذلك يتبعون هدى الرسول ﷺ ، الذي أبى كل مساومة مهما كثرت الإغراءات ملكًا كانت أم مالاً، أم نساء، وقال قولته المشهورة بين الناس: «**والله- يا عم- لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أموت دونه**»[1]، يقول هذا وهو في المرحلة المكية مع قلة من أصحابه يلحقهم أعظم البلاء وأشد الإيذاء، ولكنه يأبى إلا أن تكون الأصول واضحة والحقائق ناصعة لا يقبل فيها أنصاف الحلول، لقد عرض عليه المشركون أن يعبد آلهتهم يوما، ويعبدون إلهه يوما، فأنزل الله: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ..﴾ السورة، ليكون هذا

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٣٦١).

بيانًا للناس وبلاغًا لهم أن أصول هذا الدين لا يصح أن يزاحمها في قلب المؤمن شيء، فضلاً عن أن يتخلى عنها ليضع مكانها مبادئ بشرية، وأضاليل أرضية.

على أن هذا لا يمنع المؤمنين من أن يأخذوا من غيرهم ما يوافق مقاصد دينهم ولا يعارضها، وفرق بين أصول يجب أن يأخذها الصغير عن الكبير، وتتربى عليها الأجيال، لتصنع في أنفسها القوة المعنوية المؤثرة في الحياة التي تأبى الاستسلام عند البلاء وإن اشتد، وترفض الخضوع للأعداء وإن تمكنوا، وتعلن في عزم وتصميم أنها تعيش على هذه الأصول وتموت في سبيلها.

أقول فرق بين التمسك بالأصول ثم بعد ذلك قد نوافق الآخرين فيما لا يتعارض معها، بل يوافق مقاصدها، ويحقق غرضها، كما فعل رسول الله ﷺ في (حلف الفضول) حيث شارك في التعهد على رفع الظلم عن المظلوم ورد مظلمته إليه، والوقوف في وجه الظالم، وقال عن هذا الحلف: «**لو دعيت به في الإسلام لأجبت**»[١].

فرق بين هذا وبين التخلي عن الأصول، أو إهدار مقاصدها، أو اتخاذ ما يناقضها ويعارضها في غير مواربة، مما يحاول البعض أن يفعله تحت دعوى (الحرية) التي يظلمونها حين يرفعون شعارها ليهدموا تحت ظله قيم المجتمع ومبادئه، تلك التي تدعو إلى إحياء القلوب ورفع الرؤوس، وإعلاء الكرامة، وتحقيق العزة والشهامة، فلتكن كلمة الحرية في أيدي هؤلاء هي معول الهدم لهذه القيم والمبادئ، ولتكن هي السكين الذي يذبح به الفضائل.

ثانياً: الحرية الشرعية:

الحرية الشرعية هي الحرية التي يرسم الشرع حدودها، ويوضح معالمها

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٦٧).

وآثارها، فهي حرية منضبطة بضوابط الشرع، وليست لنوازع الهوى، وهي الحرية التي ظهرت في عصر المسلمين الأول، فحيث كان يسكن الرسول ﷺ والمؤمنون معه في المدينة كانت الحرية متجلية في أسمى صورة، كتب الرسول الوثيقة التي وضحت معالم الحرية لليهود وللمسلمين وللطوائف الأخرى.. ولولا غدر اليهود وبغيهم وحسدهم لظلوا يعيشون في المدينة ولكنهم- كدأبهم وطبعهم- لم يوفوا بالعهود ولا بالمواثيق، فأخرجوا من المدينة؛ جزاء بغيهم ونقضهم ما عاهدوا الرسول عليه.

ولقد بقيت الطوائف غير المسلمة- في بلاد الإسلام- متمتعة بكامل حقوقها في الدين والتملك والتصرف والمعاملة، لأن الحرية المكفولة لهم ليست منحة من بشر، ولكنها تشريع من الله، لا مكان فيه للفوضى، ولا مجال فيه للاضطراب، وليست الحرية التي يدعيها غير المسلمين كذلك، إذ إن عنصر الفوضى والإباحية التي لا ضابط لها متغلغل في أعماقها، مصاحب لوجودها، وهذا ما جعل بعض العلماء في العصر الأخير يقف من هذه الحرية المضطربة موقف المستريب المتشكك في ثمرتها.

لقد التقى الشيخ نجيب المطيعي- أحد العلماء البارزين في العصر الحديث- مع الأستاذ سعيد النورسي في اسطنبول، فسأله الشيخ المطيعي: ما قولك عن الحرية الموجودة في الدولة العثمانية وعن المدنية الأوربية؟

فأجابه النورسي: إن الدولة العثمانية حبلى الآن بجنين أوربا، وستلد يوما ما حكومة مثلها، أما أوربا فهي حامل بالإسلام وستلد يوما ما[1].

وهذه الإجابة تحمل إيماءتين:

إحداهما: استشفاف ما سيصيب العالم الإسلامي من نكبات ما يطلق عليه «حرية الغرب» وهي ما ينبغي الحذر منه.

---

(١) رجل القدر، ص٣٨.

والأخرى: الإرهاص بما سيكون من شأن للإسلام والمسلمين في مستقبل الأيام، وهذا ما حدث بعضه الآن في أمريكا، مما جعل الرئيس الأمريكي يحتفل بعيد الفطر مع عدد من المسلمين في البيت الأبيض، وجعل الصلاة مسموحًا بها للمسلمين في الجيش الأمريكي، وتم تعيين بعض المرشدين الدينيين لهم في الجيش.

ويعتبر الإسلام ثاني أكبر ديانة- الآن- في فرنسا، إذ يبلغ عدد المسلمين فيها أربعة ملايين شخص.

أما ما أصاب العالم الإسلامي من جراء هذه (الفوضى الغربية) التي يحلو للبعض أن يسميها «الحرية» فشيئان ظاهران:

١- موجة السفور والتبرج، وما لحق بها من عروض أزياء واختلاط، وما صحبها من دعوة لتحرير المرأة، ومشاركتها الرجل في الأعمال والسلوك والتصرفات.

٢- انتشار بعض الأفكار الإلحادية التي تظهر من آن لآخر في بعض البلدان الإسلامية على يد بعض الذين اغتربت أفكارهم، فتجد لهم كتبًا أو مقالات أو رسومًا يطعنون بها الدين، ويحاولون إلحاق الأذى بالله وبرسوله وبالمؤمنين، وما كان هذا أو ذاك إلا تقليدًا للغرب وللنمط السائد فيه، ومحاولة التخلق ببعض أخلاقه المتسيبة، المتسترة باسم الحرية، مما جعل كثيرًا من العلماء يتصدون لهذه الدعوة التدميرية التي تهدف إلى طمس هوية المسلم، مفرقين في الوقت نفسه بين ضرورة اقتباس العلوم التي تغذي التقدم، وضرورة الابتعاد عن أخذ شيء من الجوانب السلبية للحياة الاجتماعية الغربية، مع وجود التصدي للموجة الإلحادية، وبيان زيفها والكشف عن أهدافها وغايتها المستورة، بل وبعض وسائلها الخفية، وقد أخذ بعض العلماء الميثاق على أنفسهم ليبينه للناس، يقول أحد العلماء:

«فالخدمة التي يستطيع أداءها شخص مثلي هي تقديم النصيحة للأمة وللدولة، ولا قيمة لهذه النصيحة إلا بحسن تأثيرها، ولا يحسن تأثيرها إلا عندما تكون مخلصة خالية من شوائب الطمع، بعيدة عن المنافع الشخصية»(١).

وصحب هذه الموجة الإلحادية عوالق تدعو إلى العلمانية بدعوى (أن الغرب لم يتقدم إلا عندما مزق سيطرة الكنيسة وسيطرة رجال الدين المسيحيين) وكانت هذه الدعوة إلى العلمانية دعوة مبكرة لم يتركها العلماء، بل تصدوا لها وبينوا أن الإسلام ليس فيه رجال دين بالمفهوم الغربي المسيحي، فليس عندنا رهبان، ولكن عندنا مرشدون ودالُّون على الطريق يعرفون أن الإسلام نظام كامل للحياة «إذ تكفل للذين يفتخرون بالانتساب إليه بوضع نظام قائم على العقل والمنطق لحياتهم الدنيوية والأخروية، ووضع الأحكام لذلك»(٢).

إن الحرية التي كفلها الدين لا تقوم إلا على الحق وعلى الصدق والمحبة، بحيث تتلاشى فيه الامتيازات غير الطبيعية لفئة على أخرى من بين الناس.

ولا يخدعن أحدًا أن يرتدي التحلل الأخلاقي أو التخلي عن الآداب الدينية رداء الحرية، لأن الافتراء سرعان ما يظهر أمره والمكر والكيد لا يخفى سره كثيرًا، ولو كان الإيمان بالتمني لفعل العلماء العاملون ما قاله الشاعر حين قال:

ولولا تكاليف العلا ومقاصد ... غوال وأعقاب الأحاديث في غدى

لأعطيت نفسي في التخلي مرادها ... وذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي

إن الحرية الشرعية تدفع المسلم لأن يعتز بكرامته الإنسانية، فليس هو

---

(١) رجل القدر، ص٣٦.

(٢) المصدر السابق، ص٤١.

عبدًا إلا لله وحده، فهي من خصائص الإيمان، لا يذوق ثمرتها إلا من عرف الإيمان والالتزام حق المعرفة، وكل من أسلم وجهه لله حسن عمله، له من الحرية الشرعية نصيب، بقدر ما في قلبه من إيمان وما في عمله من إحسان.

ثالثاً: الحرية المظلومة:

إن الحرية ليست خالية من الضوابط التي تقيد الناس وإلا صارت فوضى.

فهل من الحرية أن تسير عكس الاتجاه؟

وهل من الحرية ألا تتوقف أمام إشارة المرور الحمراء؟

وهل من الحرية أن تصادم الناس- كل الناس- في معتقداتهم ودينهم ومبادئهم وقيمهم؟

وهل من الحرية أن يبيع الناس ما يشاؤون ولو كان من المحرمات؟

أنفتح الباب أمام تجار المخدرات بدعوى حرية التجارة؟

أم نبيح لتجار الأغذية الفاسدة أن يفرضوها على الناس في الأسواق، بدعوى أن الناس أحرار فيما يأكلون، أحرار فيما يشترون؟ إذا كان أحد لا يوافق على هذا فلماذا يوافق على أن تعرض العقول جنونها؟

ولماذا يوافق على أن تعرض الغرائز نزواتها؟

ولماذا يوافق على أن تذبح العقيدة بسكين أحمر حين يسب هذا الذابح ذات الله -سبحانه؟

ولماذا نفسح لهؤلاء في ديارنا، ونعرض شذوذهم في معارضنا، ونقول لأبنائنا وبناتنا: خذوا فاقرؤوا واعملوا كما يفعل هؤلاء وإن أنكره كبار السن، فلا تسمعوا لهم فإنهم رجعيون، ونحن تقدميون، وهذه سمتنا نعلنها بينكم، فخذوا طريقتنا في الحياة، ارتعوا في دنياكم، وحققوا لشهواتكم مطالبها، ولا تركنوا إلى عقيدة، ولا تفعلوا عبادة، وليكن همكم الشراب والطعام والشهوة

من غير أن تمنعها عقيدة ولا تصدها من المنكرات عبادة؟

إنهم يقولون للشباب بلسان الحال: أنتم أحرار فيما تفعلون وتقولون وتلبسون، وإياكم أن يخيفكم أحد بعذاب من الله، فهذه خرافة، فلا تركنوا لها، وأسطورة فلا تأبهوا بها(١).

كل هذا يتم بدعوى الحرية، وإن شئت الحق فقل: إنه الهدم في الجيل الجديد الذي هو ذخر الكويت في مستقبلها، وعدتها في بناء مجتمعها، والمحافظة على كيانها في قادم الأيام، ولا صلة لهذه من قريب أو بعيد بدعوى الحرية، **لأن الحرية أن تفعل ما لا يضرك أو يضر الآخرين**. وبمعنى آخر أن تفعل ما ينفعك دون أن تلحق ضررًا بأي شخص آخر، فليس من حق الإنسان أن يقدم على الانتحار بدعوى الحرية، وليس من حقه أن يدخل بيوت الآخرين بغير إذنهم بدعوى الحرية، وليس من حقه أن يسيء إليهم بدعوى الحرية، وليس من حق أحد أن يرتد عن دين الله بدعوى حرية الأديان والاستشهاد خطأ بقول الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾(٢) لأن الآية تلزم المؤمنين ألا يكرهوا أحدًا على الدخول في الدين، ولا صلة لها بالمرتدين الذين جاءت السنة بأحكامهم الشرعية التي ليس هنا مجال تفصيلها.

ولو أبحنا للناس أن يغيروا دينهم لصار الدين ألعوبة في يد من يشاء يسلم حين يكون الظرف مناسبًا للإسلام، ويكفر حين يكون الظرف مناسبًا للكفر، ويتقلب بين هذين الاتجاهين بحسب الظروف والأحوال.

فأي دين هذا؟ إن الدين ليس زيًّا يبدل حسب ظروف الجو، أو طعامًا يؤكل ويطلب عند الاشتهاء ويعرض عنه في غير ذلك، إن هذا إساءة للدين، وإساءة للمؤمنين.

---

(١) انظر: العقل بين الشذوذ والجحود، «المنار» العدد (٧).
(٢) البقرة: ٢٥٦.

وكل ما يمس أصول الدين ومبادئه ينبغي أن يصان- في مجتمع المؤمنين- فلا يتعرض له متعرض إلا بخير؛ لأنه يتعرض لشيء مقدس يحمله قلب كل مؤمن يعيش فوق هذه الأرض.

فلا ينبغي أن يفرض علينا في بلدنا المسلم إعلام غربي أو شرقي يخالف ما جاء به الدين تحت إطار (الحرية).

إننا -حقًّا- نعيش في مجتمع مفتوح، ولكن انفتاح المجتمع لا ينبغي أن يمس مقدساتنا، وإن من واجبنا أن نُوجِد في داخلنا حاجزا يمنع انهيار الأخلاق، ويمنع التعدي على القيم، وللأسف فنحن نقر في بلدنا المسلم أن يتلاعب الإعلام بأبنائنا تحت مسمى: (الحرية) وأن يسيء إلينا أجمعين.

ساء ما يقولون، وبئس ما إليه يدعون أو يفعلون.

إننا ما زلنا متمسكين بموقف مبدئي لنا تجاه دول معينة (دول الضد)؛ لأنها وقفت منا موقفًا غير مؤيد لقضيتنا العادلة، ولو أخذنا بمبدأ أن الناس أحرار في مواقفهم وأقوالهم، لكنا مخطئين في موقفنا منهم، فهل نحن مخطئون في حقهم بناء على هذا المبدأ الجائر؟

إن الحرية إن انحرفت عن الحق أضرَّت بصاحبها وأضرت بالآخرين، وصارت ضربًا من العبث والفساد، وهل الحق في بلدنا وبلاد المسلمين سوى ما أنزله الله- سبحانه- وما جاء به رسوله ﷺ، وما الحرية إلا تبع لهذا الحق، تسير في ركابه، ولا تحيد عنه، وإلا صارت شيئا آخر.

فلماذا نقدمها على الدين؟ ونبيح باسمها ما يناقضه ويعارضه؟

وما الحرية هنا إلا خيط الحرير الذي تتم به جريمة الشنق والخنق لمبادئ الدين وقيمه التي على أساسها تربت أجيال وأجيال، ولكن المفسدين يودون أن تنبت صلة الجيل الحاضر بدينه وقيمه، بحيث لا يعرف اتجاهًا ولا ينتمي إلى هوية واضحة، يكافح من أجلها في الحياة، ويذود بها ضد الطغاة، ويحافظ

بها على بلده ومقدراته وخيراته كما يحافظ الأباة.

رابعاً: واجب الدعاة:

إن واجب الدعاة أن يبينوا للناس دين الله بوضوح لا لبس فيه، وجلاء لا غبش فيه، وأن تكون الصلابة في الحق سبيلهم، والحكمة والموعظة طريقهم في البلاغ، ولا تنافى بين إظهار المبادئ وإعلانها في قوة، وبين اتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة طريقًا لإيصال هذا الحق، والمهم ألا يتهاون الدعاة في شأن إظهار الحق، في مسألة من المسائل دون نظر؛ لأن هذا الحق قد يغضب فلانًا أو يرضي فلانًا، ولكن ينبغي أن يكون قول رسول الله ﷺ الذي أوصت به أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- حين أرسل إليها يطلب منها أن توصيه، فكتبت إليه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس**»[1].

ورضا الله في اتباع الحق وحده، يرضى به من يرضى، ويسخط به من يسخط، وإن على الدعاة ألا يستخدموا العبارات المبهمة في القضايا الحاسمة، وأن يتركوا الغمغمة في بيان الأحكام الشرعية، على الدعاة أن يراقبوا الله في أقوالهم وأعمالهم، فلا يتركوا أمرا إلا بينوا رأي الدين فيه بوضوح وجلاء مع استخدام أدب الحديث، والبعد- كل البعد- عن الغلظة في القول عند بيان الأحكام الشرعية.

إن الله سيسأل الدعاة عن علمهم ماذا عملوا فيه، فلا يغيب عن الأذهان قول رسول الله ﷺ في كاتمي العلم الذين يلجمون بلجام من نار يوم القيامة، ولا يغيب عن البال قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤)، وصححه الألباني.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

خامساً: الحرية في أوطاننا:

في سياسات الأوطان خطوط حمراء تعارف الناس عليها والبشر، وقد تعارفنا في الكويت على أن من الأمور التي اتفق عليها أهل الكويت أن الدستور الذي تم صياغته والاتفاق عليه في سنة (١٩٦٢م) هو الإطار الذي يحتكم إليه في المنازعات البشرية والاختلافات السياسية منها والاجتماعية والإعلامية وغيرها، ولو نظرنا عند التخاصم في مواد الدستور والمذكرة التفسيرية لوجدنا ما يغنينا عن كثير من الصراع وإضاعة الأوقات والمال.

وعلى سبيل المثال استقر الأمر على أنه لا منازعة لولي الأمر في حكمه، كما في المادة الرابعة والمواد المنظمة لها والمذكرة التفسيرية الموضحة. كما أن المادة الثانية وضحتها مذكرة التفسير لها بأن لا يعمد المشرع إلى المصادر البشرية إلا بعد فراغ جهده بالأخذ من الشريعة الإسلامية. كما أن في الوقت الذي جعل الدستور لموارده قوة المصدر وجعل حمايته أمانة في عنق الكويتيين في هذا الوقت أعطى سعة لممثل الشعب من خلال المواد الأخرى والمذكرة التفسيرية بأن يغير الدستور إلى ما هو أفضل وأحسن لصالح المجتمع والدستور.

وما أظن أن الانفلاتات التي تحدث اليوم عندنا في الجوانب السياسية والإعلامية والأخلاقية إلا نتيجة لضياع الفهم لمواد الدستور بكليتها وروحها وترابطها مع بعضها البعض، فالخطوط الحمراء فيما ذكرنا ليست مطلقة يضعها من يضعها، وينزعها من ينزعها، ولكنها محكومة بدستورنا وأعرافنا وتقاليدنا

أسأل الله أن يهدينا -جميعا- سواء السبيل.



صروح العلم عالية خفاقة :

إن المعلمين والمعلمات يجلسون من كراسي التعليم على عروش العزة والكرامة، رعاياهم أولاد المسلمين وفلذات أكبادهم، فهم الذين يصوغون الفكر ويطلقون اللسان، وحقهم التقدير والاحترام والإكرام.

وإن أمة لا تحترم علماءها ومثقفيها ومبدعيها لا تستحق الحياة، وإن الحكومات التي تطارد الفكر المتنوّر، وتحارب الإبداع المتطور، وتصادر الكتب وتمنع المطبوعات، لهي أمة لا يمكن أن تكون بأي حال من الأحوال أمة ناجحة ومتقدمة:

العلم يرفع بيوتاً لا عماد لها   والجهل يهدم بيوت العز والكرم

وقال بعض البلغاء: العلم عصمة الملوك؛ لأنه يمنعهم من الظلم، ويردهم إلى الحلم، ويصدهم عن الأذية، ويعطفهم على الرعية. فمن حقهم أن يعرفوا حقه، ويستبطنوا أهله[١].

وتعالوا بنا نر مَثَلاً أعلى نستفيد منه في تقدير العلم والعلماء، وهو محمد الفاتح «**لتُفتحنَّ عليكم القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها**»[٢].

لقد كان أثرُ العلم ومجالسة العلماء واضحًا في تكوين شخصية الفاتح، وترغيبه في الجِهاد منذ المراحل المبكِّرة من حياته.

---

(١) أدب الدنيا والدين (١/ ٣٤).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٣٥).

وعندما تولى الخلافة سخَّر الفاتحُ العلمَ والعلماء على مختلف فئاتهم، وتباين تخصُّصاتهم ودياناتهم في التجهيز والإعداد المعنويِّ والماديّ، وسخر ذلك في تطوير الجيش العثماني وتجهيزه؛ استعدادًا للمعركة المرتقَبة. ومثال ذلك ما ذُكِر من إفادته من المخترع المجري «أوربان» الذي صمَّم المِدفع العملاق، وغيره من العلماء الذين سخَّروا مخترعاتِهم الماديةَ في الجوانب العسكرية الأخرى. وهذا الاهتمام بالعلم جعل لدولة الخلافة مكانة وهيبة في قلوب أعدائها.

يقول الدكتور «عبد السلام فهمي» في إحدى دراساته التاريخية عن اهتمام الفاتح بهذه الجوانب:

لم تكنْ عناية السلطان محمَّد الفاتح بالعلم والثقافة بأقلَّ من عنايته بشؤون السياسة والحرْب، فقد كان شديدَ الاحترام للعلماء ورجالِ الدِّين، والمتعلِّمين بصفة عامة، وكان يدرك بفطنته أنَّ القوة المادية والحربية لا تكفل وحْدَها للشعب السعادةَ والمجد، والاحتفاظ بالمكاسب العسكرية والسياسية، وأنَّه لا بدَّ مِن دَعْمها بقوَّة العلم والإيمان والعدل، ولذلك كان يعمل دائبًا وبجهد حقيقي؛ ليجعلَ من دولته موطنًا للعِلم، ومجمعًا للعلماء والشعراء، ومركزًا للعدالة[١].

ومن مظاهر اهتمام الفاتح بالعلم والعلماء، وتنشيط الحركة العلمية ما كان يقوم به- رحمه الله- بيْن حين وآخَرَ مِن تكليفِ بعضِ العلماء بالكتابة في موضوع واحد، وتخصيص جوائزَ معينة لأفضلهم؛ لإذكاء رُوح التنافس، والإبداع والإتقان.

ولقد كان من الأشياء التي تدل على اهتمام الفاتح، حثُّه العلماء على ترجمة بعض كُتب المشاهير من اللغات العربية واليونانية والفارسية، وغيرها إلى

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمي: السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص١٥٥.

اللغة التركية؛ لبعثِ النهضة الفكرية، ونشْر العلم والعرفان بين أبناء قَوْمِه.

وظهر وَلَعُ السلطان الفاتح، وتعلُّقه بالعلم والعلماء معه طيلةَ أيام حياته؛ حيث كان كثيرَ التقرُّب والتودُّد إليهم، واشتهر عنه الإنصات إلى مناصحتهم له، كما كان من فَرْط اهتمام وتقدير الفاتح للعلم والعلماء «أنه نبذ ملابسَ السَّلْطنة الفاخرة، وآثَر عليها لِباسَ العلماء، وتزيًّا بزيهم»(١).

وظلَّ محمد الفاتح على مواقفه النبيلة من العِلم والعلماء إلى آخِر أيَّام حياته، التي انتهتْ بوفاته في وسط جيشه، وهو في سِنِّ الثانية والخمسين في يوم الخميس الموافق الرابع من ربيع الأول من عام ٨٨٦ هـ/ ٣ مايو ١٤٨١م.

ومن المناسب أن نختمَ الحديث عن الفاتح واهتمامه بالعلم والعلماء بما ورد في وصيته لابنه عندما حضرته الوفاة؛ فقد حثَّه فيها على العلم، وعلى تقدير العلماء، كدليل مهمٍّ يوضِّح تعلُّق الفاتح بهذه الجوانب الحميدة إلى آخِرِ أيام حياته، ويُوصي بها خَلَفَه، حيث قال الفاتح- رحمه الله: «.. وبما أنَّ العلماء هم بمثابة القُوَّة المبثوثة في جسم الدولة، فعظِّمْ جانبَهم وشجِّعْهم، وإذا سمعتَ بأحد منهم في بلد آخرَ فاستقدمه إليك، وأكرِمْه بالمال، حذارِ حذارِ، لا يغرنَّك المال ولا الجند، وإيَّاك أن تُبعدَ أهل الشريعة عن بابك، وإيَّاك أن تَميل إلى أيِّ عمل يخالف أحكامَ الشريعة، فإنَّ الدين غايتُنا، والهداية منهجُنا، وبذلك انتصرْنا..»(٢).

نزهد في العلماء ثم نشتري العلم :

وإن ما تتعرض له العقول المفكرة والمبدعة في زماننا من عدم اهتمام بهم وعدم تقدير لعلمهم وعدم تهيئة الأجواء العلمية التي يحتاجون إليها ليس إلا خدمة لأعداء الحرية والنور والمعرفة والإبداع.

---

(١) سالم الرشيدي: محمد الفاتح، ص٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) عبد السلام فهمي: السلطان محمد الفاتح، ص١٧٢.

فلتتعلم الحكومات والمؤسسات والدوائر في وطننا العربي الكبير، وفي أمتنا الإسلامية الواسعة كيف تحترم وتقدّر العقول والأدمغة المفكرة، وكيف تحترم إنجازاتها الإبداعية والحضارية الثمينة، فتفتح لهذه الأدمغة كل المجالات، ولتهيئ لها الظروف الإنسانية؛ لتعطيَ وتبدع وتقدم كل ما في استطاعتها للوطن والمجتمع والناس.

البعد عن الأوطان صار أمنية وحلماً :

إن ظاهرة الهجرة والاغتراب في الوقت الحاضر صارت حلم الشباب المتعلم وغير المتعلم وهاجسهم، وصارت فكرة الاغتراب سائدة عند كل من تأتيه فرصة الخروج من الوطن، وخاصة بين الباحثين والموهوبين الذين تدهورت لديهم فرص المعيشة وفرص البحث العلمي على حد سواء.

وهذه الظاهرة تلقي بآثارها السلبية على قطاعات التعليم المختلفة، وخصوصاً على قطاع التعليم العالي والجامعي والبحث العلمي.

وفي كل يوم تطلع فيه الشمس، وتغرد فيه طيور الصباح، نرى العالم الغربي يتقدم للناس بإنجازات علمية وفكرية جديدة، بينما ما زال العالم الإسلامي والعربي يعاني من هجرةٍ لعقول وكفاءات وخبرات شابة، فضلاً عن تلك الخبرات والكفاءات التي هاجرت منذ عقود وبقيت في دول الغرب، وتحولت ثمراتها وجهودها باتجاه حضارة الغرب ومدنيته..!

استمرار النزيف :

هذا، ولا تزال ظاهرة هروب العقول الإسلامية مستمرة من العالم النامي إلى العالم الصناعي، ومن القلب العربي إلى المركز الصناعي الغربي. فهناك أكثر من مليون طالب من البلدان العربية يتابعون دراستهم في الخارج، لاسيما الخريجين الذين حصلوا على درجة الدكتوراه.. أكثرهم لا يعودون إلى بلادهم، إذ يعتقدون أن الفرص هناك قليلة والأجر منخفض، كما أنهم يشعرون بعدم الأمن والعدالة في بلادهم، فهم يرون أن المؤسسات البحثية

والجامعية يسودها الاستبداد والمحسوبية، إلى جانب ضعف الإنفاق على البحث العلمي.

لقد أصبحت هذه المشكلة معبرة عن واقع الأمة المرير في مختلف المجتمعات الإسلامية، وأصبحت تُعيق بناء مستقبل أفضل لها؛ مما يؤثر في قوة الأمة الإسلامية- عموماً - فكرياً وحضارياً وتربوياً وعلمياً، علماً بأن ظاهرة «هروب النخب العلمية» قد استفحلت في العقود الأخيرة، بسبب عدة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وشخصية.

الأسباب التي تجعل العقول والأدمغة تولي ظهورها لبلادها :

كثيرة ومتعددة تلك الأسباب التي تجعل شخصاً وُلد في بلده وتربى فيه وتعلم وترعرع فيه وربما درس على نفقة حكومته فيه أو في غيره تجعله يجند كل حواسه الظاهرة والباطنة ومعارفه من قرب منهم ومن بعد؛ لكي يجد له فرصة عمل في بلد غربي يقدر علمه وكفاءته ومقدرته ليستقر فيه.

فالأسباب التي تدفع الأدمغة العربية إلى الهجرة:

منها ما يتصل بعوامل داخلية، ومنها ما يعود لأسباب موضوعية تتعلق بالثورة التكنولوجية والتقدم العلمي الذي لا يزال الغرب هو المكان الفعلي المناسب لاحتضانه، ومنها ما يتعلق بالعلماء والدارسين أنفسهم:

أ - فما يتعلق بالعوامل الداخلية في مجتمعاتنا:

١ - ضعف ميزانيات البحث العلمي، فنسبة الصرف على البحث العلمي في الوطن العربي لا تتجاوز ٠,١٦٦٦٪ من الناتج القومي، بينما في الغرب ٣,٥٪ .

٢ - عدد المراكز البحثية في الوطن العربي لا تزيد عن ٦٠٠ مركز، وعدد الباحثين فيها ١٩ ألفاً، في حين أن فرنسا وحدها فيها ١٥٠٠ مركز، والباحثون فيها ٣١ ألفاً.

فلهذا تتحول الاختصاصات العلمية التطبيقية في بلادنا إلى مجرد اختصاصات نظرية، تنعكس على العالم والباحث، تراجعاً في مستواه العلمي أو في إمكان تطوير قدراته المعرفية.

٣- عدم توفر فرص العمل المتاحة للتخصص الذي تم تحصيله.

٤ - إهمال الدولة ومؤسساتها وكذلك القطاع الخاص، لمؤهلاتهم العلمية وضرورة الإفادة منها، أو عندما يرون كيف تتم الاستعانة بخبراء أجانب لقضايا تتوافر فيها الكفاءات اللازمة محلياً.

٥- عدم توفر الحريات الأكاديمية والسياسية، وتدني أجور العلماء والفنيين العرب، في حين يتم إغداق الأموال دون عدٍّ ولا حساب على الفنانين والفنانات والمطربين والمطربات والراقصات.

وفي المقابل في بلاد الغرب ترى الشد والجذب والإغراء لهذه الفئة من الناس فهناك:

١ - الإمكانات التقنية الهائلة والمعامل المتطورة للبحث العلمي.

٢ - الرواتب المجزية

٣- التقدير والاحترام لمؤهلات وقدرات العلماء.

ويصاحب ذلك كله أسباب في الأشخاص أنفسهم منها:

١ - الرغبة من قبل الدارسين في نيل العلوم وتطوراتها.

٢ - الرغبة في العائد المادي الذي يناسب خبراتهم ومؤهلاتهم ويؤمن لهم رغد العيش.

٣- الانبهار الحضاري بالغرب وما وصل إليه من الإنجازات العلمية.

٤ - اليأس من إحداث التغيير في مجتمعاتهم العربية.

٥- افتقاد المناعة في التعامل مع الخصوم والأعداء الحضاريين والعقائديين.

المكاسب والخسائر من هجرة الأدمغة :

إن ظاهرة هجرة الكفاءات ذات تأثير بالغ على كلّ من طرفي البلاد، (المهاجَر منها والمهاجَر إليها) على حدٍّ سواء، إلاّ أنّه تأثير يختلف في طبيعته بعض الاختلاف بين الطرفين، فشتان ما بين مشرق ومغرب، فالاختلاف كبير- جد كبير- في الأثر الناتج عن هجرة العقول والكفاءات.

فبالنسبة إلى البلاد المهاجر إليها، فإنّ هذه العقول المهاجرة تعتبر رصيداً إضافياً في مجال الريادة العلمية والفكرية، فهي تثري معارفهم بخبرات جديدة وإبداعات فريدة تساهم إسهاماً فاعلاً في التقدّم الصناعي والتكنولوجي، وتسرّع من حركة التنمية الشاملة فيها، وهو أمر مشهود به من قبل أهل تلك البلاد أنفسهم، كما يدلّ عليه حصول بعض العلماء المسلمين المهاجرين على جائزة نوبل، وهي الشهادة العالمية العليا التي تمنح للريادة والعطاء في المحافل العلمية على اختلافها .

وأمّا بالنسبة إلى البلاد المهاجر منها، فإنّ تأثير هجرة العقول يبدو في طرفه القريب تأثيراً سلبياً عليها، إذ هجرة العقول منها يعتبر نقصاناً من رصيدها الذي به تتحرّك نحو نهضتها، وذلك بما ينقص بتلك الهجرة من إمكانيات الابتكارات والكشوف العلمية والفكرية التي من شأنها أن تطوّر الحياة وتنمّيها.

مشاكل استعصت على الحل:

إن مشكلة العالم العربي بصورة عامة، وكل دولة من دوله بصورة خاصة أن جميع المؤسسات العلمية والبحثية فيها يعمل كل منها على شاكلته؛ فليس هناك برنامج مدروس وهدف محدد ورؤية واضحة ترصد جميع الفعاليات لإنجاز أي هدف، ناهيك عن عدم توحيد منبع القرار في تلك المؤسسات وجعلها مؤسسات تكاملية بدلاً من كونها تنافسية في المظهر لا في الجوهر؛ لذلك فإن أية دولة عربية تنشد الاستفادة من العقول العربية المهاجرة أو

تنشد نقل وتوطين التقنية بصورة عامة عليها أن تعد العدة وتكون جاهزة لذلك من خلال المؤسسات الجامعية ومراكز البحث العلمي والتطوير داخلها وخارجها.. ناهيك عن الجهات المعول عليها في نقل المعرفة العلمية والتكنولوجية وتوطينها، لذلك فإنها منوطة بتبني نظام مبني على التعليم والتدريب والبحث.. ذلك أن تلك الأساليب هي الأكثر ملاءمة للتحديث على المدى القصير والبعيد.

ولذلك فإن الدول المتقدمة تعتمد على أساليب التدريب المستمر، ليس للخريج أو في بداية الالتحاق بالعمل فقط، بل هي عملية مستمرة تستهدف الباحثين وأساتذة المدارس ومديري الإدارات والفنيين وغيرهم؛ حيث يكسبهم التدريب مهارات جديدة، وبالتالي ينعكس على أدائهم في عملهم، لذلك فإنهم يعمدون إلى التواصل مع المراكز البحثية والصناعية، وربط الدراسات العليا والبحث العلمي بالصناعة، وجعل الجامعة مركزاً استشارياً عن طريق النزول إلى الميدان، بدلاً من التركيز على التدريس وتخريج كوادر متشابهة لا يختلف فيها خريج هذا العام عن ذلك الذي تخرج قبل عشر سنوات.

وتسبب هذا التخلف في الغالب في عدم وجود الحوافز، ناهيك عن عدم وجود الدعم المالي الذي هو أساس البحث والتطوير، لذلك نجد أن الأسلوب الأخير متفشٍّ في العالم العربي؛ ذلك أن الدول العربية لا تصرف إلا نسبة ضئيلة من دخلها القومي على مجال البحث والتطوير، وربما نكون متفائلين إذا قلنا: إن هذه النسبة ربما لا تصل في أحسن الظروف إلى واحد من ألف فقط من الدخل القومي.

ما الحل إذًا ؟

إن الحل لاستعادة هذه الكفاءات يكمن في ضمان الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، حيث يمكن للحكومات تقديم بعض الحوافز لوقف هجرة

العقول واستقطاب الكفاءات المهاجرة؛ مثل تنظيم وتبسيط عملية إنشاء الشركات والمحافظ الاستثمارية، ورعاية المشاريع الصناعية، وتوفير قوانين الاستثمار السهلة، وتحسين مستويات المعيشة والخدمات العامة، وتأسيس نظام ملائم للمعاشات التقاعدية والأجور، وتحسين الإجراءات الأمنية، والاستثمار في البنية التحتية ومشاريع التطوير العقاري.

إن المسؤولية الكبرى تقع على الحكومات الغنية بالمال والمادة أكثر من غيرها في هذا الجانب، بأن يشجعوا العلماء من دولهم والدول العربية والإسلامية، وأن يقدروهم ويعطوهم المكانة التي تليق بهم، ويهيئوا لهم المراكز العلمية والبحثية التي يعملون من خلالها على تطوير علومهم وفكرهم.

فهذا هو الاستثمار الحقيقي الذي يرفع الأمة إلى مصافِّ الأمم المتقدمة والمتطورة؛ فالاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الناجح والباقي والنافع في الدنيا وبعد الممات.

وإن الشريعة الإسلامية بكمالها وشمولها أمرت بتعلُّم جميع العلوم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من العلوم التي يكون بها قوام الأمة وصلاح أفرادها ومجتمعاتها، ويكون بها استغناؤها عن غيرها وعدم تبعيتها لأحد.

وكذلك ينبغي استثمار التقنية الحديثة في مجالات الإبداع، وتقديم كل ما هو جديد وحديث؛ فالثورة العلمية والتقنية المتسارعة لا تنتظر أحدًا، فلا بد من الإسهام بالنافع من العلم، ووضع الضوابط الأخلاقية والسلوكية للإنسان.

ومن باب الغيرة على ديني وأمتي أنادي كل الدول الإسلامية- وخاصة دول الخليج- فأقول: تلقفوا العقول الإسلامية المفكرة.. ابحثوا عنها..

استقدموها وارعوها وحافظوا عليها.. هيئوا لها الظروف التي تناسبها وتبعدها عن التفكير بالسفر إلى الغرب وغيره .

فهذا هو طريق النصر ..

وهذا هو طريق العزة والكرامة..

وهذا هو البعد عن الانبطاح أمام جبروت الغرب وتحكمه..

وإن الواقع السيئ الذي يتعرض له المسلمون في بلاد الغرب باتهامهم بالإرهاب والتضييق عليهم في كل أمورهم، لهو واقع سيئ، لا شك في ذلك، ولكن نستطيع أن نستغل جانباً إيجابياً منه ألا وهو تهيئة الأجواء والظروف وتأمين العيش الهانئ لهم، فبذلك نصبح جاذبين لهم في ظل تحول الغرب إلى طارد لهم ومضيق عليهم.

وبذلك تتحقق رفعة الأمة وعزتها واستفادتها من طاقات أبنائها وجهودهم.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(٢).

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) المجادلة: ١١.



شعاع القلب :

ـ إنْ صلح القلب صلحت الجوارح والأعمال، وسلمت الحياة من العطب.

ـ فالقلب موضع نظر الرحمن، وهو العضو الذي ينبغي أن يوجه إليه كل اهتمام.

ـ وإذا التقت القلوب على أمر واتفقت عليه قامت بينها موجات أثيرية تكشف الطريق أمام جموع المؤمنين وجماهير الموحدين.

لا تغضب لنفسك:

لم يَرِد أن النبي ﷺ قد غضب لنفسه قط، فكان الكفار يضعون سلا الجزور على ظهره الطاهر ويسبونه ﷺ بقولهم: «**يا بني عبد المطلب إنكم قوم مطل**»، ومع ذلك لم يقتصّ لنفسه، بل كان يتسامح مع أعدائه..

هكذا تجسدت القدوة الحسنة في شخصية النبي ﷺ، فكان خير من أفاد البشرية في كل جوانبها.

أما نحن اليوم فقد ضعف هذا النهج القويم فينا، ومع هذا لا يزال الخيار بأيدينا، فإما أن نعيش في قلق ومعارك يومية طاحنة تستنزف الجهد والوقت، وإما أن نؤثر الارتياح والسكينة من خلال قراءة متأنية لفقه الواقع ومجريات الأحداث، وإدراك المشكلة لوضعها في حيزها الطبيعي والقفز عليها إلى ما هو إيجابي ونافع.

وهنا نقول: من المستحيل أن تشعر بالسكينة عندما تكون رأسك مليئة بالقلق والضيق، إذ إن حياتك في هذه الحالة سوف تصير محبطة للغاية، فدَرِّبْ نفسك على فنون الصبر والتصبر، فقد أمر الله في آيات كثيرة بالصبر

حيث قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[(١)]، فكلما زاد صبرك زاد تفهمك للأمور من حولك؛ خاصة أن الصبر أمر مهم للحصول على طمأنينة القلب واستقرار النفس، ولتقل لنفسك: إن الحياة مدرسة للتمرس على تعلم الصبر، وهذا أمر يحتاج إلى عزيمة قوية وهمة عالية ورباطة جأش، فالصبر وضبط النفس وتحكيم العقل من الصفات التي تولد النجاح، وتجعلك تفكر بروية وتريث، وتعيش لحظتك الحاضرة، وبهذا يمكن أن تلقن الآخرين دروساً عملية في تغليب العقل على العاطفة.

فكر بأمل لا بخوف:

كان النبي ﷺ يعجبه أن يسمع كل صباح «يا نجيح» ويستبشر بالاسم الحسن، والمسلم يستطيع أن يسمع كل يوم «يا نجيح»، ويستبشر خيراً بذكر الله وتسبيحه وحمده، ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[(٢)] ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[(٣)] ، فحارب القلق والخوف في نفسك، واقطع دابر اليأس والقنوط، وعندئذ يزول عنك القلق والضيق.

تعلم الرحمة بالآخرين:

الرحمة خلق إسلامي رفيع قال عنه النبي ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[(٤)]. هذا الخلق يبعث على العيش مع الآخرين في تراحم وتواد من خلال مشاركتهم أحزانهم والشعور بآلامهم، لقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه ويقول: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»[(٥)] حتى إنه ﷺ تعامل مع الحيوانات برحمة ورأفة غير مسبوقين.

---

(١) البقرة: ١٥٣.

(٢) الرعد: ١٣.

(٣) طه : ١٢٤.

(٤) رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٥) رواه الترمذي (١٩٢٣)، وحسنه الألباني.

إذ رُوي أن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ** »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[١]، إذا كانت هذه أدبيات الإسلام في التعامل مع الحيوانات فما بالنا ببني البشر؟

إن الشعور بالآخرين يبعث في نفس الإنسان حالة من الرضا، ولذلك قيل: «من عاش لنفسه عاش مرتاحاً، ولكن عاش صغيراً ومات صغيراً، ومن عاش لغيره عاش متعباً، ولكن عاش كبيراً ومات كبيراً» والرسول ﷺ يقول: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[٢].

ومن أراد أن تهدأ نفسه فعليه أن يدرك أن يومه المشحون بالأعمال يعني أن لوقته قيمة عظيمة، وأنه عضو نافع للمجتمع.

أما من تعامل مع المهام الموكلة إليه على أنها مجرد واجبات ثقيلة، فإنه سيعيش في قلق دائم.

تخلص من أنانية النفس وحب الظهور:

حتى تؤتى أعمالك الصالحة ثمارها اجتهد أن تخفي عملك، فهو من الصدقات، والأصل فيها الإخفاء، حتى لا تعلم يمينك ماذا أنفقت يسارك، ما لم تكن في الإعلان مصلحة عامة للمسلمين. وبهذا ذكر النبي ﷺ أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[٣] . هذا السلوك النبيل سيجعلك تتخلص من أنانية النفس، وعن حقك في المدح والثناء من

---

(١) رواه البخاري (٢٣٦٣)، ومسلم (٢٢٤٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (١٤٢٣)، والترمذي (٢٣٩١).

الآخرين، لأن عملك خالص لله.

نعيب زماننا والعيب فينا:

لا ينبغي للمسلم أن ينشغل بعيوب الآخرين عن عيوب نفسه، ولا ينبغي له توجيه اللوم للآخرين وتعليق الخطأ عليهم. وهذه ظاهرة تعمل على استمرار حالة الغضب والتوتر.

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لـزماننا عيب سوانـا

إذن كل مسلم يجب أن يبدأ بنفسه ويبادر إلى إصلاحها ثم يتجه بالإصلاح إلى الآخرين، وليذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(١)].

وليس من أخلاق المسلم أن يكون كثير النقد للآخرين، لا يرى عيوب نفسه ويرى عيوب غيره.

كلامك صحيح.. ولكن !!

ينبغي على المسلم ألا يتعود تسفيه الآخرين مهما كانت آراؤهم خاطئة، فبيان الخطأ شيء، وتسفيه الرأي شيء آخر، والحوار العقلاني الهادئ يكشف الصواب ويحافظ على المودة.

ومن ثم يتسم الرأي بالرشاد وقد يجد قبولاً لدى الآخر، ولتضع في ذهنك أثناء الحوار أنك لا ينبغي أن تكسب موقفاً بقدر ما تسمو نفسك إلى أن تكسب شخصًا، لأن ذلك يؤدي إلى التواصل مع الآخرين مع عدم إهمال النصيحة.

ومن أدبيات الإسلام الإنصات الجيد إلى المتحدث، وعدم مقاطعته أثناء كلامه، وحينما تأتي فرصة تعليقك أو الرد سوف تجد قبولاً لدى الآخرين.. الأمر الذي يجعلهم يبادلونك الأسلوب نفسه في الإنصات إليك بكل اهتمام

---

(١) الرعد: ١١.

ودون مقاطعة.

أضف إلى ذلك ضرورة بث الحماس والتشجيع في محدثك إن عمل عملاً طيباً يستحق ذلك، فلا ينبغي أن نبخل عليه بكلمات التقدير والتشجيع، ويمكن أن يأتي ذلك بمردود إيجابي يجعله يتعاطف مع فكرتك.

خيرهم الذي يبدأ بالسلام:

أَخْذُ زمام المبادرة في مجال الخير يعدّ من الفضائل، إذ حث الإسلام على عدم التقاعس والاستكانة، ويزداد هذا المبدأ أهمية وفاعلية إذا كان في مجال إصلاح ذات البين قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[(١)] أو إلقاء التحية ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[(٢)] أو إظهار الحب والمشاعر الطيبة.

هذه قيم إسلامية تعمق الصداقات الحميمة وتكسبك صداقات جديدة، فكونك على حق ليس أهم من أن تكون سعيداً، ولكي تكون سعيداً فعليك أن تتسامح وتبدأ بالحديث إلى من قطعك.

هذا التنازل من أجل تحقيق السعادة سوف يكسبك فضائل التسامح والمبادرة والمسالمة وود الآخرين، وسوف يجعلك صافي القلب، ولعلنا نذكر هذا الرجل الذي بُشر بالجنة؛ لأنه كان يبيت وليس في قلبه غل أو حقد لأحد.

ولتضع في ذهنك- على أسوأ الفروض- أنه إن لم يستجب لك الآخرون فيكفي أنك تشعر بالرضا لأنك حاولت أن تخلق جواً مليئاً بالحب والتسامح.

فلا تستنفد طاقتك في أن تنشغل بهجران هذا وخصام ذاك، وتمثل مقولات النبي ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا،**

---

(١) الأنفال: ١.

(٢) النساء: ٨٦.

أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(١).

الحياة دار كبد ومشقة:

يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾(٢). إن الحياة دار للنصَب والتعب وليست مثالية، والاعتقاد بأنها مثالية سوف يجعلك تنفق وقتك وتضيعه هدراً في الشكوى. والمرء محتاج إلى إظهار ملكات الإبداع من أجل التغيير نحو الأفضل، فلكي تكون سعيداً- أخي المسلم في هذه الدنيا- عليك أن تفسر دائماً الظواهر تفسيراً إيجابياً يشعرك بالسكينة والراحة، فإذا مللت من العمل فحوّله إلى نوع من الاسترخاء وإعطاء التفكير إجازة لبعض الوقت؛ لتعود وأنت أكثر قدرة على الإبداع والخلق والابتكار، فهذا النوع من الاسترخاء يخلصك من قدر هائل من الضغوط التي تتعرض لها يومياً .

ومعترك الحياة نفسه قد يصيب المسلم بالتوتر بسبب الضغوط المختلفة أيضاً، لكن كل توتر تتعرض له ينبغي أن تتحمله؛ اعتقاداً منك أن ذلك في مقدورك؛ لأن ثقتك في قدرتك على التحمل تخفف منه، ويمكنك أن تُرَوِّحَ عن نفسك وتسرّى عنها بما هو مشروع حتى تعود إلى صفائك الذهني وهدوئك القلبي لتؤدي واجباتك الحياتية؛ لأن الحياة ليست حالة طوارئ متواصلة .

الفهم أولاً:

لا بد أن نفهم أن الذين نتعامل معهم لا يمكن أن يكونوا على الحال التي نريدها أو يتصرفون بالطريق التي نرغبها، ولكي تعيش حياة مفعمة بالسكينة، خالية من التوتر، ديدنها الطمأنينة، لا تَنْقَبِضْ وراء توافه الأمور والأشياء الصغيرة التي يمكن أن تستفزك، وعجباً لهؤلاء الذين يتطاحنون في الدنيا بسبب التكالب والتصارع من أجل مكاسب دنيوية رخيصة وفانية.

---

(١) رواه مسلم (٥٤/ ٩٣)، وأبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٨).

(٢) البلد: ٤.

فالفهم وإدراك طبيعة المشكلة أصل مهم من أصول التواصل الفعال مع الآخرين، ولذلك فالنبي ﷺ بذل في المجتمع المكي سنوات، حاول فيها فهم تركيبة هذا المجتمع وإدراك قدرات كل صحابي لتحديد الأدوار التي يمكن أن يقوموا بها، وحين وجد أن هذا المجتمع لم يعد خصباً للدعوة إلى الله- على الأقل على المدى المنظور- هاجر إلى المدينة، فكانت الفتوحات العظيمة.

إذن التفكير الواعي والمدرك، وفهم طبيعة الأشياء، وفقه الواقع، يجعلك تعيش حياتك دون توتر أو قلق، فإذا تعرضت للأذى من الآخرين كالأطفال مثلاً فعليك أن تتخيل ملامح وبراءة عيني الطفل الصغيرتين، وأن ما يقومون به من محاولة جذب انتباهك أو لفت نظرك، ليس الهدف منه تعطيلك عن القيام بأعبائك، وإنما هو الحب الذي يكنه هذا الطفل لك، ومن ثم فهو يحتاج إلى توجيه وحكمة في التعامل .

أما الطاعنون في السن فعليك أن تتفهم ظروفهم ودوافعهم، وأن تعاملهم كما لو كانوا أطفالاً؛ حيث البر بهم وتقديم الرعاية لهم، فكلما يتقدم العمر بالإنسان تضعف قواه العقلية، ويحتاج إلى معاملة خاصة؛ ولهذا يستحسن أن تدخل لكل إنسان من زاوية اهتماماته، وتعلم كيف يمكنك توظيفه بعد إنضاج هذه الاهتمامات.. حاول وسوف تحصد ثمارًا طيبة، المهم لا تكن صدامياً، واجعل شعارك الفهم أولاً .

والمثال الصارخ في حياتنا الذي يدعوك إلى اعتناق مبدأ الفهم أولاً هو كثرة حالات الطلاق، فنسبة كبيرة من الزيجات تنتهي بأبغض الحلال إلى الله بسبب عدم التفاهم وعدم القدرة على الوصول إلى أرضية مشتركة، فلو حسنت النوايا وساد التفاهم في ظل الحب، وتسابق كل زوج في إسعاد الآخر عبر فهم طبيعته وتركيبته، لَتَغَيَّرَ الحال وصارت الحياة بعيداً عن الكدر،

ولَتَحَقَّقَ السكن والدفء الزوجي ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾[١]، إذن لا بد من فهم أن المرأة تفكر بعاطفتها لا بعقلها، كما أنها تمر بأغيار شهرية تجعلها شديدة العصبية، وكذلك لو تفهمت المرأة قول الرسول ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**»[٢].

وقتئذ لن تكون هناك مشكلة، وسوف يسود السلام الداخلي في النفوس، ويذكر أن زوجين قضيا العشر سنوات الأولى من زواجهما في حالة من الإحباط والخلاف، وقد ضاع أي تفكير عقلاني بينهما في غمرة هذا الخلاف، وموطن الخلاف أن الزوجة كانت اقتصادية بينما الزوج كان مسرفاً، فلم تكن تدري الزوجة السر وراء كونه مسرفاً، وكذلك الزوج لم يكن يعرف سبب إمساك الزوجة، أي لم يتفهم كل منهما وجهة نظر الآخر، لكن حينما تفاهما وعرف الزوج أن الزوجة كانت تدخر حتى تتجنب الكارثة المادية التي أصابت أبويها وهي في الواقع تخشى من خطر الإفلاس، كما كان الزوج خجولاً من عجزه عن الاعتناء بها كما كان الحال مع أبويها، وكان يرغب في أن يفتخر به، ومع تعلم كلاهما تفهم الآخر، تحول شعور كل منهما تجاه الآخر من الكراهية إلى الحب، وساد حياتهم توازن جيد بين ما ينفقون وما يدخرون.

المسلم سفينة عطاء بلا حدود:

المسلم في هذه الدنيا يجب أن يكون سفينة خير، عطاؤه بلا حدود، يترك آثاره الصالحة أينما حل، فما أعظم العطاء دون مقابل!! وما أحسن أن يكون ذلك بين الإنسان ونفسه!! فجرب أن تهدي أحد أصدقائك هدية ولو متواضعة «**تهادوا تحابوا**»[٣]، وجرب أن تنفق جزءاً من مالك في مجالات

---

(١) النساء: ١٨٧.

(٢) رواه الترمذي (١١٥٩)، وأحمد (٤/ ٣٨١)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٤)، وقال الألباني: حسن.

الخير «**ما نقص مال عبد من صدقة**»[١] فقد يعاني أحد أصدقائك أو جيرانك من أزمة مالية خانقة، تخيل لو أنك أرسلت له قدراً من المال ليتجاوز به أزمته فما مردود ذلك؟ كيف سيكون شعوره حقاً؟

إن تقديم الخير والعون للمحتاجين والملهوفين يعمل في النفوس مفعول السحر، ويعود على المجتمع بردود فعل إيجابية عظيمة الأثر في تماسكه وترابطه وتضامنه وتكافله. وتصور لو أنك كفلت يتيماً استراحت نفسك، يقول النبي ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى[٢]. إن هذا الأمر حقاً سوف يدخل عليك السعادة، ويجعلك تشعر بالرضا، فالمسلم ينبغي أن يشعر بالاستمتاع وهو يتبرع بقدر من ماله في مجالات الخير وما أكثرها.

والصحف تتحدث عن بيل جيتس الملياردير الأمريكي، مالك شركة (مايكروسوفت)، لبرامج الكمبيوتر والتي تربو ثروته على المائة مليار دولار، تتحدث عن تبرعاته للجمعيات الخيرية في أمريكا، والتي قدرت بالمليارات، فضلاً عن عزمه التبرع بمبالغ كبيرة من أجل تخليص العالم من الأمراض الخطيرة؛ مثل الملاريا والإيدز. إنه من الأحرى بأثرياء المسلمين- وما أكثرهم- أن يتقدموا الصفوف في مجال العطاء والإنفاق.

تجنب أفكارك السلبية:

يقال: إن الإنسان تداخله آلاف الأفكار يومياً، هذه الأفكار بعضها إيجابي والآخر سلبي، وقد تكون الغلبة للأفكار السلبية مثل الغضب والانهزامية والخوف والتشاؤم وغيرها، ولكي يعيش الإنسان حياته في سلام داخلي وأمن نفسي وسكينة لا بد من أن يتدرب على كيفية مواجهة الأفكار السلبية والعمل على نبذها؛ إما من خلال تفهمها ودراستها وإيجاد حلول لها، على أن تنحاز إلى الحل الذي يكفل لك الاستقرار النفسي والصفاء الذهني، وإما من خلال

(١) رواه الترمذي (٢٣٢٥)، وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٦٠٠٥)، وأبو داود (٥١٥٠)، والترمذي (١٩١٨).

تجاهلها وإعطائها حيزًا أقل من الاكتراث والأهمية. والبعض يرى أن التجاهل من أفضل الأساليب في التعامل مع هذه الظواهر السلبية؛ لأنك لو وضعت في ذهنك أن مثل هذه الأفكار متوقعة وإيقاع الحياة وتفاعلاتها تفرزها باستمرار، فإنك لن تحتاج إلى جهد كبير في نسيانها والتغلب عليها، والعودة إلى سابق عهدك من الهدوء والراحة .

فقد تشعر بنوع من الضيق لكون أبويك لم يكونا من الأغنياء، وبالتالي لم ترث عنهما أموالاً وعقارات، هذا الشعور سوف يولد لديك نوعًا من عدم الاستقرار النفسي، وقد تحتل هذه الفكرة حيزاً كبيراً من التفكير والمبالاة، وقد ينتج عنها حسدك للآخرين، وقد يتطور الأمر لدى البعض إلى السطو على أموال الغير، ومن ثم سوف يقودك هذا التفكير إلى المهالك، لكن إذا أردت أن تتخلص من عواقب هذا التفكير فلتتذكر قول الشاعر :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

ومن وسائل التخلص من الأفكار السلبية أن تسأل نفسك عن أهم وأولى الأعمال التي ينبغي أن تقوم بها يومياً حتى توجه إليها طاقتك، وهذه طريقة معينة لتجنب التفكير فيما هو سلبي؛ لأن ذلك قد يعيقك عن اتخاذ القرارات الواعية السليمة، وقد يحول دون أداء واجبك .

لا بد أن تؤمن أن عدم السعادة دائماً تقترن بالأفكار السلبية وليس بالحياة في مجملها، ولذلك عليك أن تفكر دائماً في إحالة الأفكار السلبية إلى أفكار إيجابية، وحاول أن تغمر حياتك بالحب والأفكار الباعثة على ذلك.. ووقتها سوف تجد نفسك مصدراً مشعاً بالحب، ويمكن أن تصبح قدوة للآخرين.

تعامل مع مجريات الأحداث بحكمة :

العالم من حولنا يموج بالكثير من الأحداث على مستوى كل الدوائر التي

ينتمي إليها الإنسان؛ سواء في عمله أو منزله أو مصنعه أو متجره، من بين هذه الأحداث ما هو جدير بالاهتمام والعناية، وما هو هامشي، وإذا كان هدف الإنسان أن تأتي كل الأمور لصالحه، فإن أي خلل في تعاملاته سوف يصيبه بالتعاسة والإحباط .

لذا لا بد أن نؤمن بأن الحياة وما تجري فيها من أحداث نادراً ما تكون على الحال الذي نريد، وأن من حولنا لا يمكن أن يتصرفوا بالطريقة التي نحبذها ونرغبها، ولن تكون كل الطرق معبدة وسهلة ويسيرة أمام كل ما تستهويه أنفسنا، فإذا ما ناضل الإنسان في كل هذه المعتركات فإنه سوف يقضي حياته جميعها في مشاكل لا حصر لها .

أما إذا استطاع أن يميز بين الأهم والمهم، واختار بحكمة ووعي وإدراك الحدث الذي يستحق أن يوليه اهتماماً، فإن ذلك قد يبعده عن التوتر نسبياً .

هذه الأحداث اليومية يقضي فيها الناس معارك طاحنة، يتصارعون ويتنازعون ويتسابقون في جو مشحون بالتوتر، دون أي تقدير لعواقب الأمور، والمضار التي يمكن أن تعود على النفس البشرية من جراء ذلك.

ومن ثم إذا نظر الإنسان إلى الأمور بمنظور صائب وتمتع بالفطنة والحكمة، فسوف يجد الحياة أمامه رائعة وجميلة؛ خاصة أن أمزجة البشر دائمة التقلب، وبسبب هذه الشدة في التغير قد ينظر الإنسان إلى كل شيء أمامه على أنه مؤامرة تستهدف إفشال حياته وعدم إنجاحها، وبالتالي ينعكس داخله الضيق والتوتر، ويفقد نظرته الصائبة للأمور.

الإحساس بآلام الآخرين:

الإنسان اجتماعي بالطبع. هكذا قال العلامة ابن خلدون. والمقصود أن الإنسان بطبعه لا يستطيع أن ينعزل عن الآخرين كل الوقت. إنه يعيش في جماعة تجري عليها سنن الله في خلقه؛ ففيهم الضعيف والقوي، والفقير

والغني. وهذه الجماعة كالجسم الإنساني، تعمل الأعضاء القوية فيه على حماية الأعضاء الضعيفة، ويمد كل جهاز في الجسم بقية الأعضاء بما تحتاجه منه من عناصر، بل ويتألم الجسم كله إن جرح أحد أعضائه أو أصابه مرض أو تلف، وقد بيّن ذلك رسول الله ﷺ في قوله: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**»[(١)].

ومثل هذا الترابط القوي لا يتحقق لو فقد الناس الإحساس بالآخرين والتفاعل معهم، ومحاولة مدّ يد العون إليهم، والتخفيف من آلامهم، ولو كان ذلك بأن تعود مريضًا، أو تدعو لمكروب، فما بالك بمن ينفسّون كرب الناس، وينزلون في قلوبهم الفرحة والبهجة، حين ينقذونهم من البلاءات التي وقعوا فيها، وكادت تأخذ بخناقهم، فيلمسونها بيدٍ حانية، وكلمة طيبة «**من نفَّس عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه**» الحديث[(٢)].

إن هذا الإحساس بالآخرين يدفع الإنسان إلى التفاعل الإيجابي لحمل بعض المسئولية عمن أرهقتهم، فينسد الخلل، ويلتئم الصف، ويستمر السير الناهض في طريق الحياة.

تعلم حب الغير:

الناس لهم أفضال لا تُحصى، ففضل الوالدين والأقارب والجيران والأصحاب غير منكور في حياة الناس، ولكنهم قد ينسون معلمًا أنار لهم العقول، فقد ينسون طبيبًا شخَّص لهم الداء وأعطى الدواء، وقد ينسون خادمًا أعد لهم الطعام ونظّف المكان، وقد ينسون كثيرًا من الناس قدموا لهم بعض الخير في بعض مراحل الحياة، ولو أن الإنسان حاول أن يتذكر بعض

(١) رواه مسلم (٢٥٨٦)، وأحمد (٤/ ٢٧٠).
(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩)، والترمذي (١٤٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٢).

من قدموا له خدمات في حياته لتذكر كثيرين، ولو أنه حاول أن يرد إليهم بعض جميلهم لعاش لحظات سعيدة.

إن تذكر الأفعال الحسنة من الآخرين كفيل بأن يقيم رابطة معنوية بينك وبينهم، وكفى بالحب بين الناس رابطة. وأسمى أنواع الحب وأبقاها وأدومها الحب في الله، الذي هو علامة كمال الإيمان: «**من أحبَّ في الله، وأبغض في الله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(١).

وكثيرًا ما كان الصالحون المصلحون يتذكرون إخوانهم على البعد، فيسعدون ويسرون: «اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك، والتقت على طاعتك، وتوحَّدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك، فوثِّق اللهم رابطتها، وأدم وُدَّها، واهدها سبلها، واملأها بنورك الذي لا يخبو، واشرح صدورها بفيض الإيمان بك، وجميل التوكل عليك، وأحيها بمعرفتك..».

ولعل هذا التذكر لما فعله الخيّرون معك من معروف مدعاة لتذكر آلاء الله عليك ونعمه التي لا تعد ولا تحصى. أرأيت شيئًا حولك مما خلق الله في السموات والأرض لا نفع فيه للمخلوقات جميعها فضلاً عن الإنسان ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢).

وقد كان بعض المشهود لهم بالصلاح والتقوى إذا أصابته ضراء أو بأساء نظر إلى بعض ما يدرك من نِعَمِ الله حوله، فعدد منها ما يستطيع دلالة على رضاه بقضاء الله، فيتجه بالشكر لله، ويعيش أسعد لحظات الحياة، غير ناظر في بليّة ابتلى بها، وإنما متفكر متدبر في نِعَمٍ عظيمة أحاطت به وسُبِغت عليه، وعليه أن يشكر ربه عليها ليستبقيها ويسعد بدوامها.

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني.
(٢) الجاثية: ١٣.

والذي عرف نعم الله، لا بد أن يعرف فضل كل من أسدى إليه يدًا، ولو عاش الإنسان متذكرا هؤلاء، محاولاً أن يشكر لهم فضلهم لاستصحب السعادة، وعاش في سكينة؛ لأن نفسه امتلأت بالحب والشكر والعرفان، فسلمت وصحت، ففاضت على الجسم سلامة وصحة.

إن رسالة صغيرة تكتبها لشخص له عليك منّة من أي نوع، ولو لم تعدْ لَكَ به صلة الآن، كفيلة بأن تخرجك من عالمك الصغير المحدود إلى مجال أرحب وأوسع، فتنسى بعض همومك، ولعل هذا كذلك يكون بعض السر في قول رسول الله ﷺ: «**وجُعلَتْ قرة عيني في الصلاة**»[١].

إنها مناجاة لله، يخرج الإنسان بها من عالم الأرض والسماء إلى عالم لا يعلمه إلا الله، فيرضى ويسعد، وتقر عينه، بعد أن سبح لله، وكبر الله، وتلا آياته، وغاب بتفكيره عما حوله من الدنيا، لأنه يفكر في خالق السموات، رب العالمين وفي كتابه المبين، يقدم على الله في صدق فيقدم الله عليه: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[٢]، وكفى بهذا سعادة، وكفى به حبورًا.

إن إدراك نِعَمِ المنعمين وتذكرها، وإسداء الشكر عليها بطريقة أو بأخرى، ترياق من هموم الحياة، وقضاء على الخلل النفسي، وباب واسع من أبواب السعادة لا يدخله إلا الأقلون.

إحسان العمل:

من قديم قال الشاعر العربي:

نرُوح ونَغدو لحاجاتِنا وحاجة من عاش لا تنقضي

(١) رواه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (٣/ ٢٨٥)، وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

أي أن الإنسان تظل أمامه مطالب يريد إنجازها حتى لحظاته الأخيرة فوق الأرض، بل إنه بعد أن يفارق الحياة يكون قد ترك خلفه بعض الأعمال التي تحتاج إلى من يقوم بها نيابة عنه. فالأعمال أكثر من الأوقات، ومهمة الإنسان أن يختار من الأعمال أعمها نفعًا، وأدومها بقاءً، وأبعدها عن الفساد والشر، وأن يجعل من هذه الأعمال غاية في ذاتها، بحيث تخرج من بين يديه في غاية من الإحسان والإتقان، وفي الأثر: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[١].

وهل يتحقق إتقان بدون معرفة جزئيات هذا العمل التي يتألف منها؟ وهل يتحقق إتقان عمل بدون الاستغراق فيه وإعطائه الوقت المناسب؟ وخير للإنسان وللمجتمع أن ينجز عملاً جيدًا يفيد ويغني عن غيره في مجاله من أن ينجز أعمالاً عديدة، سمتها التشويه، وهي تأخذ جهودًا عديدة، وقد يكون نفعها غير مواز لما بذل فيها من جهود.

إتقان العمل ضرورة حياتية لكل إنسان يبتغي النجاح في الحياة، فإذا استصحب هذا المتقن لعمله الأمانة في المحافظة عليه، والحرص في وصول نتائجه وثمراته إلى المستحقين، كان هذا قمة في الأداء، تحقق لصاحبها سعادة كبيرة.

أرأيت الطبيب الذي يتقن عمله كم يحبه الناس ويثقون به؟ أرأيت المعلم الذي يتقن عمله كم يحترمه طلابه ويثني عليه أولياء أمورهم ويقدره زملاؤه ورؤساؤه؟

أرأيت إلى السياسي الذي يرعى مصلحة شعبه، ويعمل على تحقيقها، ويحول بينهم وبين المشَقَّات والمصاعب كم يحبه الشعب؟

وهكذا في كل عمل يسند إلى شخص من الأشخاص، فاحرص على إتقان

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (١/ ٢٧٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١١٣).

عملك ولو لم يشكرك عليه أحد، ولسوف ترى- حين يصبح ذلك عادة لك- أنك حققت لنفسك ما لا يمكن تحقيقه لو أنك اشتغلت بأعمال كثيرة لم تتقنها، لأنها لن تخرج عن حد التشويه والنقصان. فاسْعَ نحو الجمال والكمال، واترك الإهمال والنقصان، تسعد في الحياة، وتنل احترام الآخرين في كل حين.

أن تشعل شمعة خير من أن تلعن الظلام:

المصالح بين الناس متشابكة، والأعمال التي بينهم- في كثير من الأحيان- متداخلة. ولو نظرت إلى أي شيء مما يغطي بعض حاجات الإنسان لوجدت أن أيادي كثيرة قد شاركت في إعداده حتى يتم الانتفاع به على النحو المطلوب. وهذا ما جعل شاعرًا قديمًا يرى أن الناس في خدمة بعضهم بعضًا، وإن لم يشعروا بذلك فقال:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

والناس جميعا ليسوا على مستوى واحد من الفهم والعمل والإتقان والإجادة، وقد تجد بينهم المقصرين، وقد تجد المهملين الكسالى، وقد تجد من لا يحسنون عملاً، ولا يفقهون قولاً، وبدلاً من أن تضيق بصنيعهم، فإن عليك أن ترشدهم إلى الخير، وأن تقدم لهم النموذج والقدوة، فلا تعرض عنهم، ولا تهمل رعايتهم، ولا تتأخر في نصحهم وتعليمهم ومعاونتهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

إن القرآن يقص علينا قصة رجل آتاه الله الملك، فشرّق في البلاد وغرّب، وآتاه الله العلم والحكمة، فعمل بها وسط قوم لا يعلمون ولا يَبِينُونَ، ولا يجيدون عملاً، لقد قام بواجبه نحوهم، فساعد وأعان وعمل وعلم، وحمى وقوى، إنه ذو القرنين الذي قص القرآن قصته ومنها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا

﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[1]، ومنها وهو شاهدنا قول ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ﴾[2].

إنه- وهو القوي- لم يتخل عن هؤلاء المستضعفين، بل أعانهم- بغير أجر- وأخذ بهم إلى العمل، حتى يتركوا ما هم فيه من سلبية.

إن هذا النموذج الرفيع في دنيا الناس الذي يقصه القرآن الكريم هو ما ينبغي أن تتخذه لنفسك أسوة، وأن تتخذ من عمله لك مسلكًا، ومن إقباله على غير القادرين ومعاونته لهم مجالاً تبرز فيه همتك، وتظهر فيه شكرك لله على نعمه، فلا تمنَّ على أحد بما عملت، ولا تؤذ أحدًا بما صنعته له، لأنك تعلم أن هذا الذي تقوم به من نعم الله عليك، وأنت مأمور بإظهار نعمة الله، وإشاعتها بين الناس ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ..﴾[3] إنك إن فعلت فإن سعادتك حينئذ تكون عظيمة، وراحتك من متاعب الحياة اليومية تغنيك عن شكر الآخرين وثناء المادحين وذم المغرضين.

دع عنك الأثـرة:

إن راحة الإنسان وسروره ولذته لا يعد لها شيء، ولا يتحقق به ذلك إلا إذا استطاع أن يتخلى عن الأنانية، وأن يحب للآخرين ما يحب لنفسه، وألا يستأثر دونهم بشيء.

---

(١) الكهف: ٨٦- ٩٨.

(٢) الكهف: ٩٣-٩٨.

(٣) الضحى: ١١.

وقد حرص النبي ﷺ على بيان ذلك للناس حتى يتمسكوا به، وجعل ذلك من سمات المؤمنين فقال: «**وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا**»[(١)].

والأَثَرة داء بغيض، تجعل الإنسان يقسو قلبه، بل إنه ليشتد في قسوته على الآخرين، وربما انتزع بعض حقوقهم، فكرهته القلوب، والإنسان العاقل جدير بالتخلص من هذه الأوهام، لو أنه نظر للآخرين نظرته لنفسه، ولو أنه ارتقى خطوة في سبيل التسامي، فتنازل لغيره عن بعض حقه، لكسب بذلك محبة الآخرين.

والناس يحبون أنفسهم من غير شك- تلك فطرة أوجدها الله فيهم- ولا نطلب منهم أن يغيروا طبيعتهم وأن يتخلوا عن حبهم لذواتهم، ولكنا نطلب منهم ألا يبالغوا في حب أنفسهم بحيث لا يرون شيئًا غير ذلك، نطلب منهم أن يجعلوا للآخرين مكانًا معهم، نطلب منهم أن يعملوا على إسعاد أنفسهم بحب الآخرين وخدمتهم، والعمل على التخلي لهم عن بعض حظوظ النفس، فذلك باب فسيح ومدخل واسع لسعادة عظيمة في الحياة.

حساب النفس:

كان من دأب الصالحين- وما يزال- أن يحاسبوا أنفسهم كل ليلة قبل أن يستسلموا للنوم، ليروا أأحسنوا في يومهم أم أساؤوا؟ وليصححوا ما قد يكونون وقعوا فيه من أخطاء، ويستغفروا مما قد يكونون اقترفوه من سيئات، وليصلحوا ما بينهم وبين الناس إن كانوا قد أساؤوا إليهم، وليستمروا على نهجهم إن كان الله قد حفظهم من الوقوع في شيء من ذلك.

إن هذا الحساب اليومي- إن واظب الإنسان عليه- وجعله أداة إصلاح كفيل بمنع الندم عند الكبر، وكفيل بألا تتطرق إلى لسان الإنسان كلمة «لو» التي تفتح عمل الشيطان، وجدير بأن يحمي الإنسان من الندم الطويل على ما

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٥)، وابن ماجه (٤٢١٧)، وصححه الألباني.

فرط في جنب الله أو ما فرط في جنب نفسه في مراحل عمره المتقدمة، حين يكون استدراك ما مضى أمرًا عسيرًا، أو على الأقل أمرًا صعب التحقيق، بعيد المنال.

والأمر يحتاج إلى يقظة وهمة، وترك للغفلة. وأولى هذه المراحل: المحاسبة الواعية التي تصلح الأخطاء، إن وجدت، وتستمر في المحاسن ما بقيت لها حياة.

الإنسان بين المدح والقدح:

«حب الثناء طبيعة الإنسان» والإنسان- أي إنسان- لا يستطيع أبدًا أن يحوز رضا الناس جميعًا، ولا ينبغي للإنسان أن يغره الثناء، فلا يتبصر أمره، ولا أن تأخذه العزة بالإثم، فيعرض جملةً عن الناقدين، متهمًا إياهم بسوء القصد، ولذا كان ابن الخطاب- رضي الله عنه- يقول: «رحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي».

وليس في مقدور الإنسان ألا يشعر بالغضب إزاء رفض الآخرين لآرائه، وبدلاً من الدخول معهم في جدال وخصام فإن تعوده على قبول هذا الأمر مع افتراض صدقهم، ومحاولة التثبت والمراجعة لما صدر عنه، خير من التمادي فيما لا تحمد عقباه، ولا يجلب على النفس غير الشر والمكيدة.

ومن الطبيعي في الحياة أن يلقى الفرد من الناس الخير والشر والمدح والقدح، وأن يتردد عملهم معه وقولهم عنه بين الحق والباطل، فشأن كثير من الناس إنكار الخير، وجحود المعروف، والتغافل عن شكر صاحبهما وإعطائه حقه من التقدير والتكريم، وخير جائزة لمحب الخير هي فعل الخير.

ولم يكن فعل رسول الله ﷺ إلا خيرًا، استقى منه الصحابة، فساروا على نهجه: يرشدون الضال، ويفكون الأسير، ويعطون العائل الفقير، ويرحمون

الصغير، ويحترمون الكبير، وينصرون المستغيث، ويدافعون عن الحق والعدل، ويواجهون الجور والشر، ويتعاونون في البأساء والضراء، ولا يتعاونون في إثم أو عدوان. سار بينهم الحق فكانوا جنوده، وكرهت نفوسهم الشر فصاروا أعداءه، يحاربون ناشريه، ويواجهون مروِّجيه.

وسار على نهج هؤلاء الأصحاب ثلة من الناس لا يخلو منهم عصر من العصور، ليظل وهج شعلة الحق مضيئًا، ونورها وضيئًا، يجتمع حوله أصحاب الهمم الصادقة، والفضائل الناطقة بسمو المقصد، ونبل الغاية.

ولا يعنينا أن نعدد وجوه الخير في عصرنا؛ لأن الناس يعرفونها، لأن في مقدور كل أحد أن يفعل شيئًا من الخير قلَّ أو كثر، وأن يجعل من نفسه ركيزة لمن حوله ومنارة تشع الضوء والخير للآخرين.

إن كثيرًا مما يشكو منه الناس ويضيقون هو من صنع أنفسهم، أكثر مما هو مفروض عليهم. وبقليل من التروي والتأمل والقناعة بنعم الله تزول هذه الآلام وتخفُّ هذه الأحزان.

إنك حين تملك القليل من المتاع خير لك من العدم، وطالما أن الكثير ليس في مقدورك فليكن رضاك بالقليل الذي تملكه مستمرًّا، وتذكر دائمًا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(١).

(١) النساء: ٣٢.



فن الإدارة:

الإدارة فن قيادة الجماهير والتعامل معها، وتوجيهها وترشيدها؛ لتحقيق مصلحة كبيرة أو صغيرة، دائمة أو متقطعة.

وهي مهارة قائمة على العلم المستمد من عديد من تجارب الأشخاص، ولها معارفها التي تمنع عنها الارتجال، وتُجعل لها وسائل متعددة وأسباب متشعبة، ومقدمات لازمة، تؤدي إلى النتائج والغايات والآمال والطموحات.

وعصرنا الحاضر لم يعد يقبل شيئًا غير مبني على أساس علمي، وخاصة في مجال حيوي كمجال الإدارة الذي لا يخلو منه شيء، فلا تكاد تجد أسرة من الأسر أو مؤسسة من المؤسسات أو هيئة من الهيئات، فضلا عن الدول والمجتمعات إلا ولها إدارة توجهها وتقودها، وتبعد عنها الأخطار، وتحقق لها المصالح، وتدرأ عنها المفاسد، وتعمل على تنميتها وتقويتها.

أعمدة النجاح الإدارية:

ولما كان للإدارة هذه الأهمية كان لا بد من أن تقوم معطياتها على المعلومات الدقيقة المستمدة من واقع الناس وحياتهم، بحيث تكون قراراتها سليمة، وتوجيهاتها سديدة، وتصرفاتها رشيدة.

ومن الخطأ البيِّن أن نضع أمام مهرة الإداريين معلومات مغلوطة أو منقوصة، أو معلومات غير دقيقة تغلفها العاطفة بألوان محببة، أو يزينها الهوى بأرديته التي تميل إليها النفس، أو تحلق في الخيال، وتطير في الفضاء، بعيدًا عن الواقع الأرضي.

وهذه المعلومات التي لا بد من توافرها أمام الإداريين لا تغني نفعًا، ولا تفيد شيئًا إن لم يكن الإداريون أنفسهم يتمتعون بكثير من المهارات، وعديد من القدرات، التي تجعل من هذه المعلومات آلية لتحقيق كسب لكل من يقع في إطار هذه الإدارة، ومن خلال توزيع الأدوار، وبيان الواجبات والالتزامات، وبث عوامل النجاح في نفوس الناس، وإبعاد الإخفاق والفشل عنهم، وتحقيق التناغم والتكامل بين الجميع، بحيث لا ينقص أحد عمل الآخر، ولا يكرر أحد عمل غيره؛ فتقل الإنتاجية، وتتأخر أو تتوقف التنمية، وتضطرب الأمور، وتعم الفوضى.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ونستطيع أن نقول: إن هذا الشاعر الجاهلي قد أدرك المعنى الحقيقي للإدارة التي لا يصلح لها الجهلة؛ لأنهم بهذا الجهل سيفسدون في الأرض وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا.

لا مفر من أن يتمتع الإداريون بمهارات وقدرات أكثر من غيرهم، أو إن شئت تعبير الأقدمين فقل: إنهم لا بد أن تتحقق فيهم ملكات فطرية ومكتسبات حياتية، تضيف إلى خبرتهم المزيد، وتجعلهم يمتازون في مجال عملهم بكل مبتكر مفيد.

أنماط إدارية:

وحين نتطلع إلى الإداريين لنستشف بعض إمكاناتهم الذاتية، وتصرفاتهم التي تنعكس على الآخرين نفعًا أو ضرًّا، نجد أنهم أنماط متعددة، يختلفون في تصرفاتهم، ويختلفون- بالتالي- فيما يحققون من أعمالهم، وفي حكم الناس لهم أو عليهم، ومدى نجاحهم أو فشلهم.

وقد اختارت لجنة مصابيح الهدى «وهي اللجنة المختصة بالعمل الاجتماعي داخل الكويت» إحدى لجان الأمانة العامة للجان الخيرية التابعة

لجمعية الإصلاح الاجتماعي- اختارت مائة والد كويتي- كنموذج لنوع من الإدارة «الأسرة»- وأجرت عليهم استبيانًا لتخرج منه بالنتائج الآتية المتعلقة بأنماط الإداريين وأثرهم على من يديرونه داخل مؤسساتهم الأسرية:

١ – نمـط المتسلط:

وهو عبارة عن الوالد الذي يهتم بتحقيق أهدافه ويتجاهل ما يعارضها، ولا يستمع إلا لما يريد، ويتحمل المسئولية كاملة، دون السماح لغيره بالمشاركة في القرار، وهو هادئ لا يقبل الهزيمة ولا الفشل، ولا يعترف بهما، ونسبة الأبناء المعرضين للانحراف تحت مسئولية هذا النوع من الإداريين هي ٧٧٪.

٢ – نمـط الديمقراطي:

وهو الوالد الذي يشارك الآخرين في تحقيق الأهداف، ويستمع للحوار، ويقبل ترجيح الرأي بالتصويت، عاطفي، ويسمح بالمشاركة في اتخاذ القرار، ولا يتحمل المسئولية وحده، ونسبة تعرض أبناء هؤلاء للانحراف ٥٠٪.

٣ – نمـط الانفعالي:

وهو الوالد العصبي الذي لا يعرف أهدافه، ولا يحقق إلا القليل منها، ويأخذ الأمور بصورة شخصية، وكثير (النرفزة)، ويتحمل المسئولية وحده ولا يحسن إدارتها، ونسبة تعرض أبناء هؤلاء للانحراف ٩٠٪.

٤ ـ نمط المتساهل:

وهو الوالد الذي يتنازل عن أهدافه مقابل تحقيق أهداف الآخرين، ويستمع للآراء الأخرى ويفضلها، وهو عاطفي وسهل ومرح، لا يتخذ القرار وحده، ولا يتحمل المسئولية إلا نادرًا، ونسبة تعرض أبناء هؤلاء للانحراف ٥٠٪.

٥ – نمـط البيروقراطي:

وهو الوالد الذي يعرف أهدافه، ولكن لا يثبت عليها، ويعتمد قراره على

حسب آخر نظرية علمية، ولا يقبل الحوار إلا الذي يحمل معلومات جديدة، نظامي، آلي، يتحمل المسئولية، ونسبة تعرض أبناء هؤلاء للانحراف هي ٩٩٪.

٦ـ نمط المهمل:

وهو الوالد الذي لا يحمل أهدافا واضحة في حياته، مشغول عن الحوار مع أبنائه، قراراته فردية، يتعذر عليه الاهتمام بأبنائه، ولا يحسن تحمل المسئولية، ومتقلب المزاج، ونسبة تعرض أبناء هؤلاء للانحراف ٨٧,٥٪.

٧ـ نمط المبدع:

وهو الوالد الذي يملك حسن التصرف في المواقف، ويوازن بين أهدافه وأهداف أبنائه، يفضل الشورى والمشاركة في اتخاذ القرار، متزن انفعاليًّا، ونسبة تعرض أبناء هؤلاء للانحراف هي ٦٠٪.

انتشار هذه الأنماط:

وهذه الأنماط الإدارية موجودة في المؤسسات العامة، وفي الهيئات وبين أجهزة الدولة، بل إنها تصل إلى جهاز الإدارة الأكبر في جميع الدول (مؤسسة الرئاسة) وهي المشرفة على إدارة أي دولة من الدول.

وإنك لتجد بين هؤلاء الإداريين على اختلاف مراكزهم الإدارية، ومسمياتهم الوظيفية، ذات النماذج المنطبقة على الآباء، فمن بينهم نمط المتسلط.. إلى آخر هذه الأنماط المذكورة من قبل. ونسبة فشل أتباعهم في مؤسساتهم، ورعاياهم في دولهم، هي نسبة فشل هذه الأنماط مع أبنائها، بل قد يكون فشل غير الآباء أشد وأعظم، وهؤلاء الإداريون يتفاوتون في مقدرتهم الإدارية بحسب ما يملكون من مهارات وخبرات، ولذا تجد أن مؤسسة من المؤسسات قادها وأشرف عليها فلان قد هبطت أسهمها وقلت إنتاجية العاملين فيها، وتضاربت قراراتها، ومَلِّ العاملون فيها اضطراب شئونها، فما عادوا يبالون برفعتها أو بانحطاطها ولا بقوتها أو ضعفها، وهذه

المؤسسة بعينها قد يقيض الله لها من يحسن إدارتها، فيصلح فاسدها، ويلمّ شعثها، فينقلب حالها من ضعف إلى قوة، ومن خسارة إلى ربح، والفرق في الحالين هو نوع الإدارة ومدى ما يتسم بهم المديرون.

طريق الأمان:

وأمثال هذا النموذج كثيرون، وغيره من الإداريين في بعض الدول تنطبق عليهم بقية الأنماط، وتدب بين شعوبهم نفس نسبة الفشل والإخفاق، ولا مخرج من هذا كله إلا بالشورى الإسلامية، التي يلتزم الإداري فيها بالحق والعدل، ويحرص على تحقيق الصالح العام، فيأمن شعبه، ويأمن جيرانه من غدره وكيده، لأنه ملتزم بمعايير لا تتبع الهوى، ولا تميل كل الميل أو بعضه، ولا يمالئ عدوًّا، ولا يحابي ظالمًا، ولا يعتبر نفسه الزعيم الأوحد، أو الشخص الأعظم، إذ هو وغيره من الناس سواء، يجمعهم التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان. ومثل هذا الإداري لن يكون بالقطع صدامًا ولا من يسيرون على منواله، ويعملون مثل أعماله.

الشورى إذًا هي السبيل، وهي الضمان نحو الأمان والمسئولية والالتزام وصاحبها هو النمط المطلوب.



في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر (١٤/ ٥/ ١٩٤٨) أعلن «بن غوريون» قيام دولة إسرائيل، **وبعد ١١ دقيقة من هذا الإعلان، قام الرئيس الأمريكي «ترومان» بإعلان اعتراف أمريكا بقيام دولة إسرائيل، ومنذ هذه اللحظة والدول العربية تعزف «سيمفونيات التخبط» في التعامل مع هذا الحلف الأمريكي- الإسرائيلي.** ولم يفهم العرب البعد التاريخي- الديني في علاقة هذا الحلف الآثم، وخاضوا عدة حروب مخزية، كانت نتيجتها ضياع المزيد من الأراضي، وإمدادًا حقيقيًّا «لأكسجين البقاء» للدولة العبرية التي وَجَدت في التخلف والفوضى العربية وسيلة مناسبة لتثبيت نفسها في المنطقة.

وهكذا وطوال نصف قرن، تحولت فلسطين إلى حقل تجارب للأنظمة العربية المتعاقبة على ظهور الدبابات، والتي كلما جاءت أمة لعنت أختها، وخاصة في ربع القرن الأول الذي تلى الاحتلال.

أما ربع القرن الثاني، وبعد حرب ١٩٧٣، لم يشهد أي حرب لا حقيقية ولا حرب تحريك أو رفع عتب أمام الشعوب العربية، **وبدأت سياسة تدجين وتهجين الشعوب العربية على القبول بالأمر الواقع..**

ونستطيع- بكل وضوح- أن نميز ثلاث مراحل فكرية في تاريخ الصراع مع اليهود، تتالت خلف بعضها البعض، وكانت نتيجة كل مرحلة تسلم للمرحلة التي تليها:

المرحلة الأولى:

امتدت تلك المرحلة منذ عام ١٩٤٨ حيث سقطت فلسطين في يد اليهود

وحتى يوم ١٩/ ١١/ ١٩٧٧ حيث قام السادات بزيارته الصدمة لإسرائيل، وهذه المرحلة لها ذيولها لما قبل عام ١٩٤٨ حيث مقاومة الاستعمار البريطاني واليهودي في فلسطين، وشهدت عدة ثورات؛ كثورة المجاهد عزالدين القسام وعبدالقادر الحسيني وغيرهم، كما تمتد هذه المرحلة إلى عام ١٩٧٣ حيث كانت نهاية الحروب الرسمية بين الكيان اليهودي والدول العربية.

هذه المرحلة الأولى تمحورت أدبياتها حول ضرورة «رمي إسرائيل في البحر» وكان المد القومي الناصري هو المسيطر والطاغي، بعد أن تم استبعاد القوى الإسلامية من خلال التصفية أو التهميش، وقادت فيها الدول العربية عدة حروب مع اليهود، وكانت الحرب هي الاستراتيجية المتبناة لتحقيق هدف التحرير، سواء من خلال الأنظمة الرسمية العربية حتى عام ١٩٦٧، أو فتح المجال أمام المقاومة الشعبية والمنظمات الفدائية، بعد النكسة التي اعتبرت طبعة منقحة ثانية من النكبة؛ خصوصاً مع ما رافقها من ضياع القدس وسيناء والجولان، وتأكيد الاستيطان اليهودي على أرض فلسطين.

ولسنا هنا بصدد استعراض الأحداث التاريخية في تلك الفترة، ولكننا من جهة أخرى نستطيع بوضوح أن **نتلمس أسباب الفشل في تحرير فلسطين والعجز عن القضاء على دولة الاستيطان، ومنها التخلف العربي الناشئ عن فترات طويلة من الاحتلال، والخلافات العربية الحاضرة والدائمة بين الدول الأعضاء، والتلاعب بالقضية الفلسطينية واتخاذها غرضاً للاستبداد والقمع الداخلي، وجمود التنمية، وتراجع الأداء الاقتصادي بشعار «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة»، مع ضرب القوى الإسلامية التي أثبتت خطورتها على العدو الصهيوني في حرب ١٩٤٨**، والتي عادت في العقد الأخير من القرن الماضي لتشاغل اليهود فوق أرض فلسطين.

بالإضافة إلى أسباب موضوعية أخرى كانت سائدة في تلك الفترة، مثل التحالف اليهودي الأمريكي القوي، وتلقِّي الدعم الدولي من خلال اعتراف الدول الكبرى بدولة الاغتصاب والاحتلال، وارتكاب مجرمي اليهود لعدد من الجرائم والمجازر بحق الشعب الفلسطيني، بهدف تهجيره وتفريقه من أرضه، لتحقيق أكذوبة «شعب بلا أرض لأرض بلا شعب».

ونود أن نؤكد هنا على أن العيب لم يكن في منهج المقاومة كأسلوب للتحرير، لأنه المنهج المعتمد على مسار التاريخ، وكل شعوب الأرض قاومت محتليها حتى طردتهم، ولكن العيب كان في إدارة المعركة والنوايا التي تقف خلفها، وإيثار المصالح الشخصية، وضمان الاستبداد المطلق على مصالح الأمة وحقوقها.

المرحلة الثانية:

مثلت نهاية حرب ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وحتى زيارة السادات لإسرائيل عام ١٩٧٧ مرحلة تحوُّل نحو المرحلة الفكرية الثانية، والتي تم تأكيدها بخروج عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، حيث امتدت تلك المرحلة حتى عام ١٩٩٠ عندما غزا صدام حسين الكويت، وتم تتويج تلك المرحلة باتفاقات أوسلو في ١٣/ ٩/ ١٩٩٣.

في تلك المرحلة بدأت معزوفات السلام تنطلق من قاعة اجتماعات القمم العربية والتي بدأت في فاس بالمغرب عام ١٩٨٢؛ حيث تضمنت القمة لأول مرة مشروعاً للتسوية السلمية فيه اعتراف ضمني بحق إسرائيل في الأراضي التي احتلتها في ٤٨، وحق جميع دول المنطقة في العيش بسلام، وهو نفس العام الذي شهد مجزرة «صبرا وشاتيلا» المروعة، والتي كان شعار شارون فيها «بدون عواطف»!!

تلك المرحلة اتصفت بالدعوات الخجولة إلى الواقعية، والاكتفاء

بالأراضي التي ضاعت من العرب عام ١٩٦٧، وعدم المطالبة بالأراضي التي احتلت عام ١٩٤٨. وهذه المرحلة كانت إفرازاً طبيعياً للمرحلة السابقة؛ حيث فشل العرب في تحرير فلسطين، وأضاعوا مقدرات شعوبهم في مغامرات حربية بليدة، لم يكونوا مهيأين لها، وتعاملوا معها بأسلوب «العنتريات» والشعارات الفارغة الجوفاء، وربما لرفع العتب واللوم أمام شعوبهم التي تغلي بالأمس واليوم والغد.

ومن ملامح هذه المرحلة جنوح منظمة التحرير لفكرة التسوية والمطالبة بدولتين. وظهرت فكرة «غزة- أريحا» أولاً، وتم إعلان الدولة الفلسطينية الخيالية في عام ١٤/ ١١/ ١٩٨٨ بالمجلس الوطني الفلسطيني على أساس قرارات الأمم المتحدة ٢٤٢ و١٨١.

وكانت تلك المرحلة الفكرية مستفزة للشعوب العربية والمسلمة التي ردت على هذا التراجع المخزي من خلال انطلاق الانتفاضة الأولى في ٨/ ١٢/ ١٩٨٧، وبروز فكرة المقاطعة والتخوين لكل المنادين بالتسوية مع اليهود. وقد انتهت تلك المرحلة الفكرية بتهور صدام حسين وغزوه لجارته الكويت التي كانت تحتضن ما يقارب نصف مليون فلسطيني يمدون أهلهم في الداخل بأسباب الصمود والبقاء، ناهيك عن انطلاق المنظمات الفلسطينية القومية والإسلامية من أرض الكويت مثل فتح وحماس.

المرحلة الثالثة:

تلك المرحلة موجودة منذ زمن طويل في العقل الباطن العربي، وإن كان التعبير عنها يتم على استحياء، حتى إذا ما غزا صدام حسين الكويت حدثت تحولات فكرية خطيرة على المستوى العربي، وضاعت بوصلة التوجيه والتفكير، وأصبح الصراع عربياً- عربياً، وتفجرت فتن ومذاهب فكرية لا زالت آثارها باقية حتى الآن، وتظهر في ثنايا المقالات وعلى شاشات الفضائيات.

وقد تأخر تبلور هذه المرحلة الثالثة حيث غطت إثارة حرب الخليج الثانية وتحرير الكويت والحصار على العراق والتجاذبات العربية، وانفراد الأردن بمعاهدة وادي عربة، ودخول عرفات إلى غزة في ٥/ ٧/ ١٩٩٤، ثم اتفاقية «واي بلانتيشن» على تبلور المرحلة الفكرية الثالثة، ولم تتضح ملامحها إلا في السنوات الأخيرة، وبدأت تتسارع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأصبحت أكثر وضوحاً وصراخاً بعد سقوط أفغانستان والعراق في يد الأمريكان..

وإذا كانت المرحلة الفكرية الأولى قد شهدت مداً ثورياً مدعوماً بأدبيات النضال والكفاح والتحرير، والمرحلة الفكرية الثانية كانت تحاول أن تتأقلم مع التجارب المريرة للاستراتيجيات الخاطئة للمرحلة الأولى، فإن المرحلة الثالثة جاءت أكثر خزياً واستسلاماً؛ حيث لم تعبر هذه المرحلة التي نعيشها عن حالات التراجع والعجز العربي، بل جاءت لتجعل هذا العجز هو الأصل في الموضوع، والاستسلام للعدو هو الواقعية التي يجب أن يتحلى بها الجميع، وأصبحت أوضاعنا مع دخولنا هذه المرحلة الفكرية الساقطة مقلوبة تماماً، ونلاحظ استفزازاً- ما بعده استفزاز- من سدنة ومنظري هذه المرحلة الفكرية، والذين تحسبهم أحياناً أنهم جاؤوا مع جيوش المحتل وليسوا من أبناء جلدتنا.

فبعد أن كان النضال والبطولة والكفاح أعمالاً فدائية ينال صاحبها الاحترام والتقدير، أصبح الآن مرفوضاً ومطارداً ومحاصراً لكي لا يعطل مسيرة السلام التي ستأتي بالحقوق العربية التي تأخرت أكثر من نصف قرن.

وبعد أن كانت العمليات الاستشهادية رمزاً للبطولة والتضحية وتعويضاً عن الفشل الرسمي العربي في مواجهة العدو في ميادين النزال والوغى، أصبحت هذه العمليات إرهابية مرفوضة، مطلوب القبض على منفذيها مع

تهديم بيوتهم وتشريد عوائلهم، ووضع الجماعات والحركات التي تدفع بهم على لوائح الإرهاب.

وبعد أن كانت اللغة السائدة في الصحافة هي الهجوم المستمر على أمريكا بسبب انحيازها الواضح لإسرائيل ودعمها بأسباب البقاء والتجبر، أصبحت الآن اللغة السائدة هي لغة التسبيح بمباهج الحضارة الأمريكية، والهجوم على مناهج البلاد الإسلامية، والتقرب إلى هذه القوى العظمى- والله أقوى وأعظم- من خلال التنازل عن الخصوصيات العربية والإسلامية في سبيل النجاة من بطش القوى العسكرية الأمريكية المرعبة، ولذا فلم يعد مستغرباً أن تبعث دولة عربية حجاجها لإسرائيل، ولا أن تستعين دولة أخرى بالكوماندوز الإسرائيلي لقمع ثورة داخلية.

أصبح أمراً طبيعياً أن يتم تقبيل أرملة الهالك رابين؛ عزاءً لها على فقده، وأصبح أمراً طبيعياً أن تُدْعى إسرائيل إلى مؤتمرات المياه والبيئة التي تعقد في المنطقة.

إنَّ أعرابي هذه المرحلة الفكرية لا يقلون خطورة وعداءً للأمة من أعدائها، بل إن خطر هؤلاء المنافقين الجدد أخطر على الأمة من أعدائها، وإن التاريخ كان يحدثنا عما فعل المنافقون بدولة الإسلام أكثر مما فعل الأعداء، وإنا سنظل على عهدنا ووفائنا لكامل تراب فلسطين ومقدساتها، وسنبقى ننتصر للأقصى، ولن نستسلم لهذه المرحلة الفكرية الدنسة حتى تتغير الأوضاع، وتأتي مستجدات جديدة وظروف أخرى نستطيع أن نحقق ما عجزت عنه القيادات المتاجرة بآلام الشعب الفلسطيني وتاريخه ومقدساته، وإن المبشرات قادمة لا محالة، وساعتها ستختفي خفافيش الظلام، وتجف أحبار أقلام الفتنة، ويعود الأذان إلى ربوع فلسطين وروابيها.



نقولها كما قالها ورقة بن نوفل لخديجة- رضي الله عنها- لتوصلها إلى النبي ﷺ، لأمة محمد عبر المجتمع: (لن يخزي الله هذه الأمة أبداً).

أمتنا الإسلامية أخرجت لتبقى، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[١].

وهذا البقاء مرهون ببقاء البشرية، فالساعة لا تقوم إلا على لكع بن لكع، وبقاء هذه الأمة مرهون بالجهاد، فالإخراج له مخاض، ويحتاج المخاض بطبيعة الحال إلى جهد وجهاد.

وقد بقيت هذه الأمة منذ ولادتها وشبابها وقوتها، مروراً بفترات ضعفها، تسير في مسيرة منذ رسالة النبي ﷺ تضعف حيناً وتقوى حيناً، وتنتقل فيها مكامن القوة من مكان إلى مكان، ومن إقليم إلى آخر. فتارة تكون قوة الجهاد في الشرق حتى تأتيها فترات ضعف، فتنتقل قوة الجهاد إلى الغرب، وقد تضعف لتكون بعد ذلك في الشمال، ثم تكون في الجنوب، ثم بعد ذلك تعود إلى الشرق.

وهكذا قوة الجهاد وقوة الأمة تضعف من مكان، ولكنها تقوى في آخر، وهي شعلة لا تنطفئ، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[٢]، فتكون الغلبة لله ولرسوله، وقد تكثر هذه الفئة في الأمة وقد تقل.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) المجادلة: ٢١.

وفي الحديث: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك**»[(١)].

من هذه الطائفة تكبر الأمة مرة أخرى، فَقَدَر هذه الأمة ألا تُصنع على أعين الفاجرين ولا الساقطين ولا الفاسقين ولا الماجنين ولا البائعين لدينهم بدرهم ولا بدينار، ولكنها تصنع صناعة خاصة، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[(٢)].

وقَدَر هذه الأمة أن الذي ينشئها ويشعلها أياد متوضئة طاهرة، لها مع كتاب الله جولات، وفي جوف الليل ركعات، تستمد العون والمدد من الله، واقرؤوا التاريخ إن شئتم، فأمة الإسلام عبر التاريخ كانت تضعف، وقد يكون الضعف شديداً، لكنها أبداً لا تموت، حتى يأتي رجال صنعوا على أعين الخير، وعناية التوجيه الرباني، حتى ظهر في وقت من الأوقات نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وشيركوه وابن تيمية والعز بن عبدالسلام، وعلى أيديهم تحقق النصر.

فقد ينتفخ الباطل، ولكنه يبقى في ذل المعصية قامع، وقد علق ابن الجوزي على المتكبرين المتجبرين قائلاً: «اعلموا وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، فإن ذل المعصية في رقابهم» ومن كان ذل المعصية في رقبته فلن يحيي أمة.

وأمتنا الإسلامية أمة باقية، بحفظ الله ثم بجهد المجاهدين، وإننا نقسم ولا نحنث: والله ليتمنَّ هذا الأمر بعز عزيز أو بذل ذليل، وهذا الأمر سيكون في وقت يقدره الله على أياد يختارها الله، فأبشروا يا أمة محمد ﷺ إن صدقتم مع الله وآمنتم به والتزمتم بهدي نبيه محمد ﷺ، وعزرتموه، وأقرضتم الله

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠).

(٢) طه: ٣٩.

قرضاً حسناً، فإنه لن يخزيكم الله أبداً، وهذه الكلمة قالها ورقة بن نوفل للنبي ﷺ ، وهو يرتجف خائفاً، وقد نزل من غار حراء وسلمها لخديجة لتوصيلها إليه: «والله لا يخزيه الله أبداً»، ونحن نقول لكم نفس الكلمة عبر المجتمع نوصلها لأمة محمد ﷺ: «إن الله لا يخزي هذه الأمة أبداً ما دامت على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ».

والناظر إلى واقعنا يرى أن الأحداث بداهة لا تخفى على فطنٍ، تتوالى في نسيج دراماتيكي ما بين أفغانستان التي تمثل بحق الثور الأسود الذبيح، وما بين أرض المسرى فلسطين والتي تمثل بدورها الثور الأبيض الجريح.

ولعل ما يدفعني إلى هذا التشبيه هو ذلك التماثل القائم بين هذا الواقع المؤلم الذي نحياه وهذا المثل العربي الذي ورثناه (أُكِلْتُ يوم أكل الثور الأسود).

وكأني بالأفغان هم الثور الأسود في قوة بأسهم بعماماتهم السود، وخفة تحركهم في الجبال، وانتصارهم على المارد الشيوعي السابق: الاتحاد السوفيتي.

وكأني بالأقصى الجريح وهو بقبته المتلألئة (قبة الصخرة) وعمامات المجاهدين البيضاء المتوشحة بالسواد.. متألمة متحفزة للانقضاض الصهيوني كأنها ثور أبيض تبرق وترعد له ذئاب بني صهيون.

وهكذا راح الثور الأسود واهتضمته أمعاء الغرب، وشردت شعباً، وأيتمت أطفالاً، وسبت رجالاً، ورمّلت نساءً، وكان هذا أشبه بجس نبض الأمة الإسلامية؛ حيث جربوا نبضها بأكل طرفها الشرقي هناك... استعداداً للوثبة الكبرى.. وللوليمة الحارة، ألا وهي وليمة الأقصى .

مؤامرة حِيكت بليل ..

نعم إنها مؤامرة محبوكة حيكت بليل مظلم.. عرفناه مراراً عن الغرب

الآثم مدعوماً بلوبيات اليهود المفكرة المخضرمة بالكيد والمكر منذ ارتدوا على أدبارهم واتبعوا السامريّ الماكر اليهودي الأكبر، فعبدوا العجل، وارتدوا خاسرين..!!

ومن يقرأ التاريخ يدرك خيوط المؤامرة، وكيف أنها تحاك بين أروقة وردهات الطاولات.. وباسم المفاوضات.. وهذا كتاب الله يفضح المتآمرين، ويكشف في جلاء لا يخفى على عاقل كيد اليهود وأذنابهم منذ القديم فالحديث؛ حيث يقول تعالى: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[2].

ولله ما أعظم التبيان والبيان الرباني الإلهي عن تلك المؤامرات ووصفها بالكيد!!

وليمة وولائم بين الثورين (الأفغاني الذبيح.. والثور الفلسطيني الجريح).

عند تدقيق النظر في ولائم الغرب الآثم على الأمة الإسلامية نجد أنها ولائم مدروسة.. وصلت من الحذق والاتقان ما يمكن أن تكون عفوية قدرية لا يسع مشاهدها إلا أن يحوقل ويسترجع ويقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

وهذا ما يحرص كثير من أتباع وأذناب الصهاينة أن يسوقوه على الأمة أن هذه الأحداث الجسام قدر حتمي لا مفر منه، وأنه لا حيلة لنا فيها لكي يقضوا على كل مقاومة فينا وكل صيحة جهاد تدور بيننا.

وأصبحنا دُمًى تحركنا (ريموتات) كيد الغرب، دون أن نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً..!!

---

(١) الأنفال: ٣٠.

(٢) النمل: ٥٠.

وإن أردت مثالاً فخذ مثالاً عن وفرة لا عن قلة، فالأمثال والمُثُل كثيرة:

وليمة مزار الشريف:

نعم إنها وليمة دامية راح ضحيتها (٦٠٠) قتيل في أقل من بضع ساعات؛ حيث افتعل الأمريكان وحلفاؤهم مكيدة تمرد الأسرى، فأخذوا يقصفونهم بطائرات الـ(بي٥٢) وبكل ما أوتوا من قوة، حتى عثر على الجثث وهي مقيدة مكبلة لا تقدر على الحركة.. وزعموا أنهم حملوا السلاح وتمردوا على الأمريكان..!!

ثم تلا هذه الوليمة ولائم أخرى كثيرة حصدت قرابة (٧٠٠٠) سبعة آلاف نسمة من بداية القصف الأفغاني حتى نهايته..

ولما لم تقم للأمة قائمة ولم يتحرك لها ساكن عَدَت الذئاب الغربية على الثور الأبيض فأصابت منه ولائم كثيرة.. تشهد عليها مقابر فلسطين من سنة ١٩٤٨م حتى الآن..

الخلاص والتمكين إنما هو بأيادي المتوضئين:

نعم.. والله لا خلاص ولا مناص لنا من هزائمنا ولا عن ذلتنا وضياع أمتنا إلا بالأيادي الطاهرة المتوضئة..

وليست بتلك الأيادي المدنسة المنجسة بدماء المسلمين من أبناء الحركات الإسلامية وغيرهم من الوطنيين الغيورين على دينهم وأوطانهم. وصدق الله إذ يقول عن هذه الفئات العميلة: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ..﴾ (١)، وصدق الله الكبير العظيم لما قال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾(٢).

وهكذا.. أحبائي لا تحزنوا ولا تأسفوا على تخاذل من يتخاذل من ولاة

---

(١) التوبه: ٤٧.

(٢) التوبة: ٤٦.

الأمر عن نصر أمته ونجدة مسرى النبي محمد ﷺ.. فإنهم ليسوا أهلاً لهذا الشرف، وليسوا كفئاً لهذه المهمة التي لا ينالها إلا الأطهار الأبرار، كما قال تعالى مخاطباً اليهود: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾[1] وضع تحت كلمة ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ آلاف الخطوط، فإن لها معنى ودلالة وتفهم قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ فإن لها معاني ودلالات كثيرات.

نسأل الله النصر والتمكين والغلبة.. إنه ولي ذلك.

(١) الإسراء: ٥.



٢١
العمل الخيري
بين التكريم الرباني والتحجيم الإنساني

الناظر في فقه ونصوص الشريعة بخصوص العمل الخيري وما يشمله من معاني العطاء والبر والإحسان، لا بد وأن يلتفت إلى أربع خصائص جلية في الموضوع:

أولاً: الحث الشديد على فعل الخيرات، والأجور العظيمة التي يهبها النص الشرعي لفاعل الخير، حتى إنك لتجد تقريباً لكل عمل خيري ثواباً جزيلاً يشكل حافزاً أساسياً للبذل والعطاء.

ثانياً: تفصيل دقيق وموسوعي لكافة أنواع البر والإحسان، وهذا التفصيل يتعدى الدعم الاجتماعي إلى الحث على فعل الخيرات في الجوانب الصحية والتربوية والثقافية والتنموية وكافة مناحي الحياة، وهو ما يعتبر حافزاً مهماً في دعم العمل المدني وجمعيات النفع العام في المجتمع المسلم.

ثالثاً: تفصيل إداري لأنواع الصدقات من نذور وكفارات وزكوات وصدقات عامة وغيرها، مع بيان أسباب تلك الصدقات بأنواعها وحجيتها ما بين فرض ونفل، ومصارفها كما في الزكاة، وأوقاتها وكمياتها وآليات صرفها، بل تعدى التشريع الإسلامي ذلك إلى بيان آدابها وضوابطها وحقوق العاملين عليها، مما يعني أننا نقف أمام ثروة إدارية وقانونية في التشريعات الخاصة بالأموال المخصصة للنفع العام من فك كربات وقضاء حاجات.

رابعاً: بُعْد إنساني واضح في التشريعات الإسلامية، يتعدى الإنسان لتصل الرحمة والعطف إلى الحيوان، وكلنا يذكر قصة المرأة البغي التي دخلت الجنة في عطفها على حيوان عطشان، فكيف بالإنسان ولو كان على غير ملة

الإسلام، ولعل في قصة حضور الرسول ﷺ احتضار طفل من يهود المدينة وهو يجود بنفسه، وطمعه ﷺ في إسلامه ما يؤكد هذا المعنى.

ولا نريد أن نتوسع في ذكر الأمثلة والأدلة على البعد الإنساني للعمل الخيري الإنساني؛ لأن المجال لا يتسع في هذا المقام، ولكننا نؤكد أن نظرة الإسلام لحقوق الإنسان تتصف بشمولية وعمق أكثر من النظرة الغربية، باعتبار أن الإسلام ينطلق من اعتقاد راقٍ في نظرته إلى الإنسان؛ حيث جعل الله- عز وجل- الإنسان خليفة في الأرض لعمارتها، وإقامة أحكام شريعته فيها، قال- عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[1].

فالإنسان موضع تكريم من الله- عز وجل- ويتساوى بهذا التكريم جميع البشر بصفتهم الإنسانية، مهما اختلفت ألوانهم ومواطنهم وأنسابهم، كما يتساوى في ذلك الرجال والنساء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

ومن هذا المعتقد الأساسي في تكريم الإنسان، حمل الإسلام هموم الناس، والشريعة الإسلامية تفيض بالنصوص الشرعية التي تؤكد هذا المعنى، وفي الحديث الذي رواه أبو داود في سننه والترمذي، قال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**»[3]، وفي الحديث الذي ذكره الألباني أن رسول الله ﷺ قال: «**لأن أمشي مع أخ في حاجة، أحب إليّ أن أعتكف في هذا المسجد- يعني مسجد المدينة- شهراً**»[4]، وفي الحديث الذي رواه

---

(١) الأنعام: ١٦٥.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٠٩).

البخاري قال رسول الله ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**»[(١)].

وهكذا اهتم صحابة رسول الله ﷺ بهموم الناس؛ اقتداءً بنبيهم عليه الصلاة والسلام، فهذا أبو بكر يشارك في البذل، فيأتي بكل ماله إلى رسول الله ﷺ، فيسأله النبي: «**ماذا أبقيت لأهلك؟**» فيقول: أبقيت لهم الله ورسوله[(٢)]. بينما خليفته عمر بن الخطاب يهتم بشأن المسلمين وهمومهم حتى يقول: لو مات جدي بطف ّ الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر. بينما عثمان بن عفان يتبرع ويتبرع ويتبرع للمسلمين، حتى قال فيه رسول الله ﷺ: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**»[(٣)]. بينما البطل الشجاع علي بن أبي طالب يحمل سيفه في كل غزوة، مدافعاً عن الأمة، متبنياً لقضاياها، وكان خير قدوة لأبنائه؛ حيث نجد ابنه الحسن يخرج من ماله مرتين، ويقاسم الله- عز وجل- ماله ثلاث مرات، ويصلح به فئتين من المسلمين.

إذن هذا التراث الضخم من تبني هموم الناس مدعوماً بالنصوص الشرعية المحملة بالأجور والفضائل، من الدوافع الأساسية التي تجعل العمل الخيري ينطلق في آفاق الأرض لتحقيق كرامة الإنسان، وتكريم الله له سبحانه وتعالى.

وهذا يفسر هذا الانتشار الطيب للمؤسسات الخيرية في طول العالم الإسلامي بشرقه وغربه، ولعل دول الخليج العربي تقوم بدور الريادة في هذا الموضوع، ليس لأن الأمر متعلق بثروة نفطية وسخاء نفس أهل الخليج، بل إن العمل الخيري في الخليج يسبق زمنياً بمراحل طويلة موضوع الثروة النفطية.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٠٧).

(٢) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٠١)، وحسنه الألباني.

فأهل الخليج يعتبرون أنفسهم ورثة طبيعيين لهذا المنطقة التي انطلق منها الإسلام أول مرة للعالم كافة، وللبشرية جمعاء، وهم هنا بهذه الأعمال الخيرية يترسمون خُطى الجيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إمكانات غربية:

ولأن الإمكانات الغربية الضخمة تتفوق على إمكانات دول العالم الإسلامي، ناهيك عن أسبقية تلك الدول في بناء آليات المجتمعات المدنية، نجد أن العمل الخيري ونشاط التبرعات قد يصيبك بالذهول للوهلة الأولى بسبب حجم الإمكانات المتاحة، فهناك دعم مالي كبير تقدمه الحكومات الغربية لحركة التنصير، في مقابل دعم يسير يقوم به أهل الخير في بلاد المسلمين وسط مضايقات كثيرة، ونجد الأوقاف في الدول الغربية بمبان ضخمة وإيرادات مرعبة، بينما نجد الأوقاف في المقابل قليلة في بلاد المسلمين، ناهيك عن الفروقات الأخرى في الإدارة والتأهيل وقوة العلاقات وتنوع الطاقم العامل في المؤسسات الخيرية الغربية.

ولا نستطيع، ونحن نتحدث عن الإمكانات الغربية، أن نتجاوز الحقائق المنشورة عن العمل الخيري الذي يطلق عليه في أمريكا و«إسرائيل» القطاع الثالث، وهو يحتل مساحة واسعة من نشاط مؤسسات المجتمع المدني في هاتين الدولتين، ففي «إسرائيل» حوالي ٣٠ ألف جمعية تعمل في هذا القطاع، وفق إحصائية رسمية لعام ٢٠٠٣م. وبناءً على الإحصاءات الرسمية لعام ١٩٩٥م بلغ حجم المناشط التي أنجزها هذا القطاع ١١ مليار دولار أمريكي، أي ما يساوي حوالي ١٣٪ من الناتج المحلي، ويعمل فيه ما يقرب من ١٤٥ ألف شخص بشكل رسمي، بالإضافة إلى ١٧٧ ألف متطوع، علمًا بأن معظم إيرادات العمل الخيري «الإسرائيلي» تتدفق من القطاع الحكومي وتبلغ ما يقارب ٦٤٪ من حجم هذا القطاع.

وبخصوص القطاع الثالث في الولايات المتحدة؛ فيضم في إطاره ١,٥١٤,٩٧٢ منظمة وجمعية، ويتم الترخيص يوميًّا لـ٢٠٠ جمعية تعمل في هذا المجال. وينتظم في هذا القطاع قرابة الـ١١ مليون نسمة، بينما تبلغ إيراداته حوالي ٢١٢ مليار دولار سنويًّا. ويعتبر الشعب الأمريكي من أكثر الشعوب تبرعًا للقطاع الخيري، وكمثال على ذلك وقفية (بيل غيتس) وزوجته (مليندا) الذي يبلغ رأسمالها ٢٤ مليار دولار .

وفي الوقت الذي تتبرع بعض الشركات في العالم الإسلامي بنسبة ٢,٥٪ من أموالها للزكاة، نجد أن القانون الأمريكي يفرض على الشركات بأن تتبرع بنسبة ٥٪ من عوائدها للجمعيات اللاربحية الخيرية سنوياً.

هذه المقارنات ليست في صالح العمل الخيري الإسلامي تماماً، ومقارنة الإمكانات المادية بين الطرفين تظهر الموارد المالية للعمل الخيري الإسلامي وكأنه نقطة ببحر مقارنة بإمكانات الجمعيات الخيرية والدينية والتنصيرية الموجودة في الغرب، وهذا يستدعي دهشة واستغراباً من الهجوم المتواصل والضغوطات الشديدة ومحاولات التحجيم المتكررة لضرب العمل الخيري الإسلامي، ومحاربة ربطه بالإرهاب، بينما أيدي الجمعيات التنصيرية الغربية طليقة بإمكاناتها الجبارة في العدوان على هوية المجتمعات الإسلامية ومحاولة تنصير شعوبها تحت ضغط الفقر والحاجة وخاصة في جنوب آسيا وقارة إفريقيا، وكذلك الجمعيات الصهيونية المتطرفة التي تجمع الأموال في الولايات المتحدة جهاراً نهاراً من أجل تثبيت الاحتلال اليهودي في إسرائيل وإقامة المستوطنات على الأراضي التي اغتصبوها بالقوة الغاشمة والخداع.

ويمكننا استشفاف بعض أسباب هذا العداء الغربي للعمل الخيري الإسلامي.

فالمنطقة العربية والإسلامية تعيش حالة فراغ سياسي وأمني غير مسبوقين، وفي فضاء هذا المناخ غير المتوازن، وبسبب طبيعة الأنظمة السياسية السائدة عجزت الدول القُطرية في المنطقة أن تقوم بشكل فاعل بالكثير من المهام، خاصة ذات الإطار الإسلامي مثل: مناشط الدعوة الإسلامية، والدعم اللوجستي الإنساني للساحات التي يتعرض فيها المسلمون للاضطهاد والتقتيل.

ونظرًا لأن العمل الخيري الأهلي الإسلامي يتمتع بحرية الحركة ولا تقيده ضرورات الدول والتزاماتها السياسية، وبسبب النجاحات التي حققها في كافة بقاع المعمورة، خاصة في مفاصل تعتبرها الدوائر السياسية الغربية نشاطاً محظورًا بحجة التصاقها بما تسميه هذه الدوائر بظاهرة الإسلام السياسي، من أجل ذلك ولجملة أخرى من الأسباب- تحرك اللوبي اليهودي لدفع الإدارة الأمريكية- وبالذات الحالية، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر- لمحاربة العمل الخيري الإسلامي، بدعوى محاربة الإرهاب.

وكنموذج على هذه الحملة ما قاله (ماثيو ليفيت) من اللوبي اليهودي- الليكودي- أمام اللجنة القانونية الفرعية للإرهاب والتكنولوجيا والأمن الداخلي في الكونجرس الأمريكي، إذ يقول في شهادته: إن كل جمعية إسلامية سمعت بها في الولايات المتحدة هي واجهة لمنظمات إرهابية أو تمول الإرهاب، كما أنه يزعم أن السعودية تمول الجماعات الإسلامية المتطرفة في الولايات المتحدة التي تمول بدورها الإرهاب.

يضاف إلى ذلك جملة أسباب أخرى منها:

١ - استنبات كراهية العمل التطوعي اللاربحي في نفوس ناشئة المسلمين وفي الأجيال القادمة بدعوى الإرهاب .

٢- إقامة سدود بين المتبرع؛ سواءً كان فرداً أو تاجراً، وزعزعة الثقة في

أهلية العمل التطوعي الإسلامي لقبول التبرع وأهلية القائمين عليه لصرفه في قنوات الحاجة الصحيحة.

٣- إيراد الحسرة والندامة في نفوس المنفقين حينما يرون أموالاً لهم تبرعوا بها قد تم تجميدها، مع العلم أنها لا تضيع عند الله، كما هو معلوم من نصوص الشريعة؛ حيث إنها وقعت في محلها. وليس هذا مكان تفصيل ذلك.

٤- إفساح المجال تلقائياً للمجال التنصيري عند غياب العمل الدعوي التطوعي الإسلامي، وإحجام المسلمين عنه أو قلة الراغبين فيه.

٥- بث رسالة غير مباشرة لمحتاجي الإغاثة والرعاية والمتضررين بأنه ليس لهم إلاّ المنظمات التنصيرية، في حين أن العمل التطوعي الإسلامي يعود عليهم بويلات أكبر مما هم فيه من ضرر حالي، إضافة لما في ذلك من تهيئة لقبول الدين النصراني المسيحي عند ضعاف العقول من الشعوب الفقيرة.

٦- تخذيل المسلمين المتضررين المحتاجين للمعونات والدعوة، وفتنتهم عن دينهم، بدعوى أن لا أحد جاء لإغاثتهم من المسلمين .

٧- تشويه صورة الإسلام في أعين وسائل الإعلام ومحطات التلفزة، وقرنه بالإرهاب للتنفير المباشر من قبول الدعوة للإسلام، مع عدم تقديم الدليل على الأسباب الداعية لقفل وتجميد الحسابات والأرصدة.

ولا ننسى دور الأصوليين والمسيحيين والمتطرفين اليهود، والجمهوريين المحافظين الذين يحاصرون البيت الأبيض، ويرفعون شعار الدعم المطلق لإسرائيل لأسباب استراتيجية ودينية، ولو رجعنا لبعض تصريحات قادتهم وساستهم لتفهمنا أكثر وأكثر دوافع الهجوم على العمل الخيري الإسلامي دون غيره.

آليات التحجيم:

لذا كان لا بد للغرب من تحجيم العمل الخيري الإسلامي، ووجد

الحاقدون فرصة جاءت على طبق من ذهب، فربطت بين الإرهاب والعمل الخيري الإسلامي، واتبعت عدة آليات ووسائل لتحجيم العمل الخيري، ومن ذلك:

١- تجفيف موارد الجمعيات الإسلامية من خلال الضغط على الحكومات العربية لملاحقة التمويل الشعبي والجمعيات الجامعة له.

٢- توجيه الدعم الشعبي والرسمي العربي من خلال القنوات الرسمية، مع ما فيها من بطء وروتين وتوظيف سياسي للأموال.

٣- ملاحقة الأجهزة الأمنية الإسرائيلية لنشطاء الحركات الإسلامية الاجتماعيين من خلال الاعتقال، ومداهمة المؤسسات الخيرية وتحطيم بنيتها المعلوماتية.

٤- ملاحقة الأجهزة الأمنية الغربية والأمريكية للجمعيات الإسلامية من خلال محاصرة أنشطتها، وإغلاق بعضها، واعتقال بعض مسؤوليها.

٥- محاولة ربط النشاط العسكري لحركات المقاومة بالأعمال الإغاثية، ومحاولة خلق مشابهات في الذهن العام، وربط العمل الخيري بتنظيم القاعدة، وخلق البلبلة والشائعات حوله.

وتتعدى آليات التحجيم من مجرد الحفظ والوسائل إلى إصدار القوانين التي تعطي الغطاء القانوني لهذه التحركات السيئة التي تحاول النيل من العمل الخيري، وقد عُمِلَ على استصدار منظومة من القوانين لمحاربة العمل الخيري الإسلامي منها:

*** قانون الإرهاب:**

ويستهدف هذا القانون تجريم حركات التحرر الوطني، ونزع الصفة الإنسانية عن أفرادها، وتحييد كافة القوانين الدولية التي توفر لهم الشرعية والحماية؛ مثل معاهدة جنيف وأسرى الحرب وغيرها.

*** قانون الأدلة السرية :**

وتمت صياغته لمحاربة كافة القوى غير المتوافقة مع السياسة والمصالح الأمريكية، سواء كانوا أشخاصًا أو جماعات أو دولاً؛ لحرمانهم من الحقوق القانونية، بنزع صلاحيات المحاكم والقضاء المدني لتجريد الخصم من قدرته للدفاع عن نفسه.

*** قانون الجريمة بالمخالطة :**

وهو قانون فريد من نوعه، صِيغ لتجريم الأشخاص والمنظمات والدول التي تتهم بعلاقة الاختلاط مع الجهات التي تصنفها أمريكا على أنها إرهابية، أو اللقاء مع هذه الجهات، أو السكوت عنها، أو المعرفة بها، وعدم تقديم الشهادة ضدها، ويعتبر ماضي الجهة المتهمة خاضعًا لهذا القانون حتى لو كان نشاط الجهة «الإرهابية» المتصل بها مباحًا في الماضي.

وهي حملة بجملتها تستهدف تجريد دول المنطقة من سيادتها على أراضيها، وحرمانها من مساندة حركة المقاومة أو القوى التي تسعى لإنهاء الاحتلال عن أراضيها كفلسطين ولبنان وسوريا.

بعض النتائج المريرة:

ونتيجة لكل ما سبق، فإن العمل الخيري الإسلامي- ولا شك- تأثر بهذه الهجمة الشرسة التي لا تستند على منطق ولا دليل، وتفوح منها رائحة المعايير المزدوجة بشكل فاضح، والضحية كانت الشعوب التي تعيش تحت خط الفقر، وخاصة التي تعاني من ويلات الكوارث والحروب والاحتلال، ومن ذلك:

- تم إقفال مؤسسة الأرض المقدسة للإغاثة والتنمية في أمريكا.
- تجميد مؤسسة النجدة العالمية بأمريكا، ثم الإقفال.
- تم تجميد مجموعتي التمويل وهما: (بنك الأقصى العالمي، ومجموعة

بيت المال الاستثمارية) ومقرهما الأراضي الفلسطينية.

- تم إقفال (جمعية الأقصى الخيرية) الداعمة للشعب الفلسطيني في «آخن» بألمانيا.

كل هذا بقرارات سياسية، وليس بحكم قضائي، وأصبح الشعب الفلسطيني تحت خط الفقر.

وهكذا تقلص العمل الخيري الإسلامي إلى حدوده الدنيا، أذربيجان وحدها كانت فيها (خمس عشرة) مؤسسة إسلامية، أصبحت المؤسسات النشطة (ثلاثاً) فقط بعد أحداث ١١ سبتمبر.

ومن نماذج هذا التقليص أن:

- الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد التي يدرس فيها (٥٠٠٠) طالب وطالبة تكاد تتوقف، كما انقطعت الرواتب الشهرية (لثمانية عشر) من أساتذتها بسبب خوف الممولين وتقاعسهم.

إن الهدف الجلي من الحرب الأمريكية الإسرائيلية على الجمعيات الإسلامية في الداخل والخارج ليس فقط وقف أعمال المقاومة، بل هو تجريد الفلسطينيين من صمودهم وإنسانيتهم. فالمطلوب إبقاؤهم أذلاء على أبواب الاحتلال، يستجدون لقمة عيشهم، ولا يفكرون في أوطانهم وكرامتهم وعزتهم.

أما الشعب العربي والإسلامي المتحرق لدعم الشعب الفلسطيني بكل السبل الذي يجد نفسه عاجزًا أمام نكبتهم اليومية ولا يجد غير ماله ليجود به على إخوانه الفلسطينيين، فإن المطلوب منه الآن التخلي عن ذلك القليل الذي يقدمه.

وإذا ما نجحوا في وقف هذا الدعم الإنساني المحدود أو التضييق عليه؛ فإنه من المؤكد أن تسوء الأحوال الإنسانية في فلسطين بشكل أكبر، لأن

القليل الذي تؤمنه الجمعيات الإسلامية، كفيل فقط بتخفيف الفقر والجوع. أما البنية التحتية والخدمات الأساسية فهي تحتاج إلى عشرات المليارات، وهذا ما لا يجرؤ أحد على التورط فيه أو أخذه على عاتقه.

وفي ظل الوعود الأمريكية الجوفاء لإنقاذ الفلسطينيين من محنتهم كبديل عن الجمعيات الإسلامية، فإن محاربة الأمريكان لذلك الجزء اليسير من المساعدات العربية والإسلامية الشعبية كفيل فقط بتراكم معادلة من الغضب الاجتماعي الذي سينفجر فقط في وجه المصالح الأمريكية، ويصب جام غضبه على الاحتلال بمزيد من المقاومة وليس العكس.

الاستسلام غير وارد:

إن العمل الخيري الإسلامي ينطلق من قواعد شرعية أمينة ومكينة، ولا يمكن أن نتخيل يوماً مثلاً أن يتوقف فيه الناس عن دفع أموال الزكاة، والتضييق على العمل الخيري المؤسسي سيجعل الناس يلجأون للعمل الخيري الفردي، وساعتها لا يمكن ضمان اتجاه تدفق الأموال، ولا يمكن مراقبتها، وفي لحظتها ربما سيدرك من ساعدوا على تحجيم العمل الخيري المؤسسي أي خطأ فادح ارتكبوه، وأن أي أعمال يعتبرها الغرب إرهابية تتم في المستقبل لن يتمكن من توجيه اللوم إلى الجمعيات الخيرية الإسلامية لأن «يداك أوكتا وفوك نفخ».

ويجب أن نذكر هؤلاء الذين يحاولون تحجيم العمل الخيري بثلاث نقاط، يجب ألا تغيب عن بالهم وهم في سعيهم المحموم للنيل من رزق الأرملة واليتيم:

١- غالبية الجمعيات الخيرية تمتاز بنظافة اليد، وفي ظل ما يدعو إليه الأمريكان من شفافية، فإن دعواهم لتوجيه الدعم لقنوات رسمية أو أهلية أخرى هو بمثابة تناقض وكشف للنوايا الأمريكية التي تزعم أنها مع الإصلاح

المالي، بينما تسعى فعليا لتوجيه الموارد باتجاهات تتهمها أمريكا بالفساد أصلا، بينما يقوم على الكثير من الجمعيات الخيرية الحالية رجال موثوقون، لهم مكانتهم في مجتمعاتهم ودولهم.

٢- إيجاد بديل للجمعيات الإسلامية يتطلب وجود بنية موازية تحتاج إلى سنوات من التراكم، لذا فإن سحق الجمعيات الإسلامية سيعني ثورة اجتماعية، وتراكمًا للغضب، وبالتالي مزيدًا من الرفض والكره لأمريكا، في ظل أن عشرات آلاف العوائل مرتبطة أو مستفيدة من دعم الجمعيات الإسلامية، وهذا ما نبه إليه المبعوث الأمريكي الأسبق لمنطقة الشرق الأوسط دينيس روس عندما شنت السلطة الفلسطينية حربا شاملة ضد الحركات الإسلامية سنة ١٩٩٦ حيث نوه إلى خطورة المساس بالجمعيات الإسلامية دون بديل موجود ومواز.

٣- يجب ألا يغيب عنَّا أن ضغوط الأمريكان على الدول العربية للقيام بإجراءات- غير عادية- ضد الجمعيات الخيرية هو بمثابة تدخل في شؤونها الخارجية، ومن الجيد هنا تذكير هذه الدول بما يعنيه ذلك التدخل من مس بسيادتها ونيل من كرامتها.

ملامح الحل:

إن استمرار هذا الخير في التدفق يتطلب بعض الإجراءات، والأخذ ببعض الحلول والاقتراحات والتوصيات ومنها:

١- استمرار الدعم المستمر واللامحدود من الأفراد والحكومات للأعمال الخيرية والتطوعية المدروسة؛ سواء القائمة أو المستحدثة مستقبلاً.

٢- التوسع أفقياً في العمل التطوعي؛ بحيث تنشأ جمعيات لا ربحية متخصصة لمكافحة السرطان، وحماية المستهلكين، والتعليم المستمر، وحماية الحياة الفطرية، ومساعدة المرضى المحتاجين، وتعليم المهن للعاطلين، ورعاية المسنين، ورعاية المعاقين، والتبرع بالدم، وخدمة

الحجيج، والهلال الأحمر وغير ذلك .

٣- التوسع رأسياً في العمل الخيري والتطوعي، والتصريح بجمعيات جديدة مثلما تقدم .

٤- تكثيف الإعلانات ضمن حملة توعوية للمجتمع بأهمية العمل التطوعي الفردي ودوره في بناء المجتمعات المدنية الحديثة .

٥- فرض إعلانات مجانية في وسائل الإعلام المختلفة عن العمل التطوعي، أسوة بما هو حاصل في الدول المتقدمة في كل وسائل الإعلام.

٦- فرض نسبة مئوية غير الزكاة الواجبة على كل الشركات المحلية والخارجية، ولاسيما البنوك لدعم الأنشطة اللاربحية وخدمة المجتمع المدني .

٧- مشاركة الجامعات ومعاهد الإدارة العامة وطلبة مواد بحوث العمليات في إجراء بحوث تطويرية وميدانية عن الأعمال الخيرية التطوعية بكافة أنواعها لدعمها ومساندتها وتطويرها إدارياً .

٨- تبني مقترح (بديل الغرامة والعقوبة المرورية) بأن يعمل المخالف مدة محددة لدى إحدى الجمعيات التطوعية، وحبذا أن يكون ذلك لاحقًا في جميع دول مجلس التعاون .

٩- ضمن أعمال مجلس التعاون الخليجي إنشاء مجلس للعمل التطوعي الخيري لزيادة روافده وتأصيله لدى شعوب المجلس.

١٠- السعي نحو إقامة مشاريع وقفية تعود بالعائد على المشاريع التطوعية وتوفر استمرارية الدعم المستقر المحلي.

١١- تدريس مادة عن العمل التطوعي الإنساني والاجتماعي والديني في المدارس.

١٢- استمرار الجمعيات اللاربحية في اتباع قواعد وأنظمة محاسبية دقيقة وواضحة في قيودها المحاسبية.



٢٢
الذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا

بعض الناس لا يشغلون أنفسهم بمقاومة الشر والأشرار، وإنما يشغلون أنفسهم بإيذاء الأخيار، والمكر والكيد لهم بالليل والنهار، وبيان أن ما صنعوه من الخير أمر لا يدخل في حيز الصالحات، وأن مقاومتهم للشر لا تدخل في تغيير المنكرات، وآفة هؤلاء البعض أن الموازين لديهم مقلوبة؛ فالشر من الأشرار مسكوت عنه، والخير من الصالحين الأبرار يقاومونه باللسان، ولو استطاعوا أن يقاموه بالسِّنان لفعلوا، ولو استطاعوا أن يشوهوا كل خير، وأن يقلبوا كل فضيلة يفعلها الصالحون ويحولوها إلى رذيلة ما ترددوا، يغفل هؤلاء عن أن (لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أعراض منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالثّلب، ابتلاه الله قبل موته بموت القلب)، وكثير من الذين تعرضوا للعلماء والصالحين في القديم والحديث أصابهم الذل والهوان، وأحاط بهم القهر والحرمان.

وصدق فيهم قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾(١).

ولو أن إيذاء الصالحين قاصر على الأعداء المجرمين لَهَان الأمر، ولكن هذا الإيذاء يقوم به كذلك بعض المسلمين، الذين تنتظمهم جماعات إسلامية، ويدفع هؤلاء إلى الإيذاء التنافسُ أو الحسدُ، ولو أحسنوا لأنفسهم وأنصفوا في حكمهم لعلموا أنهم متجاوزون حدود الله، وأنهم بذلك قد

---

(١) الأحزاب: ٥٧، ٥٨.

ظلموا أنفسهم ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾[١] ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢] إن إيذاء أي إنسان- بغير حق- مرفوض في الإسلام، بل إن إيذاء الحيوان مرفوض كذلك، لقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها.

وقد رأينا أناسا يأخذهم حماسهم الدعوي- بحسب ما يقولون- لأن يتعرضوا للآخرين بالتجريح والتسفيه لرأي رأوه، أو قول قالوه، رأينا بعض هؤلاء قد انتكس انتكاسة عظيمة أخرجته من طور إلى طور، حتى قارب مواقع الردة أو كاد.. ورأينا من هؤلاء الذين جعلوا همهم إيذاء المسلمين من تعرضوا للمهانة والذل والصغار، وما قولك بمن يتعرض بالأذى لمن أحبه الله، لقد جاء في الحديث: «**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**»[٣].. والله يحب المتقين ويحب المحسنين وهم معهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[٤]. فماذا يفعل الحاسدون والحاقدون أمام هذا الحب الذي لا يملك أحد صرفه أو طمسه، إن من بين عباد الله المؤمنين من لو أقسم على الله لأبره.. فكيف يأمن أحد إيذاء هؤلاء؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾[٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٦].

وويل لمن عادى أولياء الله الذين تكفل الله بالدفاع عنهم.. وأي تعيس هذا الذي يحارب الله ورسوله؟ نسأل الله أن يحفظنا من التعرض لهؤلاء.

---

(١) الطلاق: ١.
(٢) البقرة: ٢٢٩.
(٣) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧).
(٤) النحل: ١٢٨.
(٥) الفجر: ١٤.
(٦) الحج: ٣٨.

إن رموز العمل الإسلامي أعلام هداية جعلها الله- سبحانه- معالم يهتدي بها الخلق، فأي تعاسة أن يبتلى إنسان بإنزال هذا العلم جهلاً منه أو عداء أو حسدًا؟ فهل يرعوي عن مثل هذا العمل الظالمون المعتدون؟ وأولى بهم وأحسن لهم أن يعملوا، وأن يقولوا ما قاله الإمام القدوة محمد بن إدريس الشافعي حين دخل عليه تلميذه الربيع بن سليمان يعوده في مرضه قال: دخلت على الشافعي وهو مريض فقلت له: قوَّى الله ضعفك، فقال: لو قوى ضعفي قتلني. فقلت: والله ما أردت إلا الخير، قال: أعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلا الخير!

وكذلك ما روى عن الإمام الجوال ميمون بن مهران حينما قال له أحد الطفيليين: إن فلانًا يستبطئ نفسه في زيارتك، قال: إذا ثبتت المودة في القلوب فلا بأس وإن طال المكث!

وأين الذين لا يحسنون الظن بأقوال الدعاة الصالحين اليوم من قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾(١)؟ وأين هم من قول سعيد ابن المسيَّب- رضي الله عنه: «ليس من شريف، ولا عالم، ولا ذي فضل، إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله»؟

بل أين هم من قول الإمام الذهبي- عليه رحمة الله تعالى: «إن الكبير من أئمة العلم، إذا كثر صوابه وعلم تحرِّيه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه، يُغفر له زلـله، ولا نضلله ونطرحه، وننسى محاسنه، نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك»؟

إن باب التشهير بالدعاة لو فتح لم يسلم منه أحد، وإن تتبع أخطاء الدعاة لذكرها والتشهير بها ليس من باب النصيحة ولا هو من الإسلام، وهو

---

(١) الحجرات: ١٢.

مخالف لمنهج السلف الصالح.

فمتى نصل- نحن دعاة اليوم- إلى هذا المنهج؟ ومتى تسلم نفوسنا وصدورنا فلا نحمل على غيرنا؟ ومتى يكون التوجه إلى الله وحده، وإننا ليكفينا أن تأتينا الطعنات من العلمانيين والليبراليين. فهل نسلم من ألسنة إخواننا الدعاة العاملين؟



إن من سنن الله- سبحانه وتعالى- التي لا يماري فيها ولا يشكك في وجودها أي عاقل هي سنة الاختلاف بين أفراد هذه البشرية. وما ذاك إلا لحكمة إلهية أرادها ربنا- سبحانه وتعالى. وهذا ما أكده ربنا- سبحانه وتعالى- في كتابه العزيز؛ حيث قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[1]، فالاختلاف بين البشرية إذاً هو سنة الله في خلقه، وعلى هذا الأساس يجب أن يُنْظَرَ إليه، فهو سنة كونية تحدث التكامل، وتحقق الثراء في هذه الحياة التي نعيشها ونحياها على وجه هذه البسيطة.

ولقد أكد ربنا- سبحانه وتعالى- لنا هذه الحقيقة من خلال آيات أعطت للإنسان مكانة ومنزلة من خلال صفته كإنسان، بصرف النظر عن فكره ولونه وجنسه واعتقاده؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[2]، وقال أيضاً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3].

ولقد مرت بالنبي ﷺ جنازة فقام لها. فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال ﷺ: «**أليست نفساً**»[4].

فالنفس الآدمية والرحم الإنسانية لها تقدير خاص بها لذاتها، وتعظيم

(١) هود: ١١٨، ١١٩.
(٢) الإسراء: ٧٠.
(٣) التين: ٤.
(٤) رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١).

لائق بها لآدميتها، بغض النظر عن أي هوية أو انتماء ديني أو جنسي أو اجتماعي أو عرقي.

فهذا هو العامل المشترك بين أفراد البشرية جمعاء، ثم بعد ذلك تأتي الاختلافات التي يحدد ربنا- سبحانه وتعالى- لنا شكل التعامل مع كل واحد منها.

فالذي يختلف معك في دينه وعقيدته لست منهياً عن أن تبره وتحسن وتقسط إليه وتعامله معاملة حسنة؛ قال ربنا- جلَّ جلاله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[(١)] وما ذاك إلا لعامل البشرية المشترك بيننا وبينهم.

وكذلك لما جاءت أم أسماء بنت أبي بكر الصديق لزيارتها، أمرها النبي ﷺ أن تصل أمها، وما ذاك إلا لرحم الأمومة والبنوة بينهما.

فعن أسماء بنت أبي بكر- رضي الله عنهما- قالت: قدمت عليَّ أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا رسول الله ﷺ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي راغبة أفأصلها ؟ قال: «**نعم صليها**»[(٢)] .

فمن باب أولى أن يكون الاحترام والبر والتقدير بين الإخوة في الدين والعقيدة، عندما تختلف وجهات نظرهم وتتعدد آراؤهم.

قال ابن القيم- رحمه الله : ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت إراداتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله، لم يضر ذلك

---

(١) الممتحنة: ٨ .

(٢) رواه البخاري (٣١٨٣).

الاختلاف؛ فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحدًا، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة، لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافا لا يضر، كما تقدم من اختلاف الصحابة؛ فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة اهـ[1].

كل ما ذكرته لأبين أن العامل المشترك موجود وواضح لكل واحد منا مع أي أحد، ما دام بشراً، لكن يحتاج منا ألا نغمض أعيننا عنه، ولا نضع الحواجز بيننا وبينه؛ فيضيع عندها الود والاحترام الذي ينبغي ألا تفسده اختلافاتنا وتعدد وجهاتنا، وكما نعلم ويعلم الجميع ويرددونه دائماً أن الخلاف لا يفسد للود قضية، لكن نريد أن يكون ذلك واقعاً عملياً لا كلاماً لفظياً، وأحلاماً مثالية لا واقع لها .

وإن الأمة الإسلامية ليست بمعزل عن سنة الاختلاف، بل هذا ما كان عليه الصحابة- رضي الله عنهم- في زمن النبي ﷺ؛ فكان هناك مهاجرون وأنصار، وكان هناك المشيخة والشباب، وكان هناك من فهم كلام النبي ﷺ بعد أحد: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**» على أنه أراد به المسارعة في الذهاب، ومنهم من فهمه على ظاهره بألا يصلي العصر ولو خرج وقتها إلا في بني قريظة، ومع ذلك لم يعنف النبي ﷺ أحداً منهم.

فعن ابن عمر قال : قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**».

فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم[2].

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٥١٩).
(٢) رواه البخاري (٩٤٦).

وفي هذا الصدد كان مبدأ الشورى في الإسلام. وكثيراً ما كان النبي ﷺ يقول: « **أشيروا عليَّ أيها الناس**».

ولقد أخذ برأي الحباب بن المنذر في غزوة بدر، ومشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق، مع أنه من عمل الفرس، فكانت الشورى واقعاً عملياً في حياة النبي ﷺ.. وهكذا ينبغي أن يكون المؤمنون. ولقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1].

آراء متعددة ووجهات مختلفة في أقرب العصور من النبي ﷺ:

وكذلك بعد وفاة النبي ﷺ كانت هناك آراء متعددة واجتهادات مختلفة بين الصحابة- رضوان الله عليهم- فكان منهم من يتشدد في طرحه واجتهاده، ومنهم من ينهج منهج التيسير والتسهيل على الناس، ومنهم من يرى في أمر أنه حلال من خلال اجتهاده وفهمه للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ومنهم من يرى غير ذلك في نفس الأمر لاجتهاد عنده مغاير لاجتهاد الآخر. ومع كل ذلك لم يكن بينهم إلا كل حب ومودة وإخاء.

فمثلاً ذكر ابن القيم- رحمه الله -أن المسائل الفقهية التي خالف فيها ابنُ مسعود عمرَ- رضي الله عنهما- بلغت مائة مسألة.

ومع ذلك فإن اختلافهما هذا ما نقص من حب أحدهما لصاحبه، وما أضعف من تقدير ومودة أي منهما للآخر، فهذا ابن مسعود- رضي الله عنه- يأتيه اثنان: أحدهما قرأ على عمر والآخر قرأ على صحابي آخر، فيقول الذي قرأ على عمر: أقرأنيها عمر بن الخطاب، فيجهش ابن مسعود بالبكاء حتى يبل الحصى بدموعه، ويقول: «اقرأ كما أقرأك عمر، فإنه كان للإسلام حصناً حصيناً، يدخل الناس فيه ولا يخرجون منه، فلما أصيب عمر انثلم الحصن».

ويقبل ابن مسعود يوماً وعمر جالس، فلما رآه مقبلاً قال: «كُنَيِّف مُلِئ

(١) الشورى: ٣٨.

فقهاً أو علماً».

هكذا كانت نظرة عمر لابن مسعود- رضي الله عنهما - ونظرة ابن مسعود له، لم يزدهما الاختلاف في تلكم المسائل إلاّ محبة وتقديراً لبعضهما البعض.

وفي هذا الصدد يقول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز- رضي الله عنه: «ما سرّني أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنهم لو أجمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان في الأمر سعة».

اختلاف وجهات النظر داعٍ للتجمع لا التفرق:

فإذاً كل اجتهاد وجهد وفكر يبتغى من خلاله الوصول إلى الحق، إنما هو داع إلى التآلف والتآزر، لا التناحر والتشاحن والتباغض، ولذلك جُعِلَ لكل مجتهد أجر على اجتهاده، ولو أداه ذلك الاجتهاد إلى غير الحق والصواب. قال ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»(١).

وعلى هذا الأساس الصحيح وضمن هذا الفكر المستنير، كان الاختلاف بين الصحابة- رضي الله عنهم- فيما بين بعضهم البعض، وكذلك من بعدهم من التابعين والأئمة المجتهدين وغيرهم.

فكان الصحابة- رضوان الله عليهم - على رغم اختلاف مسمياتهم الفرعية: أنصار ومهاجرة وأوس وخزرج وقرشي وأعرابي ومدني ومكي وحاضرة وبدو- كانوا نموذجاً بديعاً أخرج للبشرية، فكان خير القرون التي خلقها الله- سبحانه وتعالى- قال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ..**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

وما ذاك إلا لأن ربهم واحد، وكتابهم ورسولهم الذي يتبعونه واحد، وشهادتهم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبغيتهم هي الحق أينما كان.

ربما تختلف آراؤهم، وربما تتمايز وجهات نظرهم، لكنهم جميعاً يسعون لهدف واحد، ألا وهو رضا الله - سبحانه وتعالى - وعزة هذا الدين.

زماننا زمان الاختلاق لا الاختلاف، والمناحرات لا المناظرات:

أما زماننا فآهٍ ثم آهٍ على ما فيه من خلاف وشقاق بين أبناء هذا الدين ..

إن ما نشهده في ساحتنا الإسلامية من خلاف وشقاق بين أفراد المسلمين بسبب انتماءاتهم وتحزباتهم وآرائهم وبلدانهم وطبقاتهم، ليظهر لنا مدى البعد عن فهم حقيقة معنى الخلاف، مع أن الكل تراه في فكره وآرائه يسعى إلى موافقة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فالكل ينشد الحق، والكل يسعى إليه والعمل لإقامته، ولكن الاختلاف يكون في السبل والطرق الموصلة إليه. فكل فئة تعمل حسب الأسلوب الذي تراه مناسباً للوصول إلى الهدف المنشود.

ومع أن هدفهم وغايتهم وما يصبون إليه إنما هو إحقاق الحق ورفع كلمة الإسلام والمسلمين، إلا أن المصالح الشخصية، والمنافع الحزبية الضيقة، أصبحت تلهي كثيراً منهم عن غايتهم وهدفهم النبيل، وتبعدهم عن الفهم الصحيح لمعنى الاختلاف في الطرق والسبل الموصلة إليه.

العامل المشترك هو التمسك بحبل الله:

ولقد كان من رحمة الله - سبحانه وتعالى - بنا معاشر المسلمين أن جعل لنا حبلاً نتمسك به وملاذاً آمناً، نعود إليه عندما تحيط بنا الخلافات والشقاقات ألا وهو كتاب الله - سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

(١) آل عمران: ١٠٣.

وبما أن كثيراً من الأحزاب الإسلامية والتجمعات الإيمانية تختلف في أمور وقضايا تمر بالجميع في معترك الحياة، فإنه لابد من الرجوع والتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالعلاقة يجب أن تكون علاقة تكامل لا تقاطع، وتكون الخلافات خلافات موازنات لا عداوات، وأن يخرج العقل في رؤوس الأحزاب كلها من منظومته المتقوقعة حول نفسها والتي لا تنتج إلا الخلافات والشقاقات والتربص بأخطاء الآخرين والتتبع لعثراتهم، على العقل أن يخرج من هذه الحدود الضيقة إلى رحاب الإبداع الخلاق والنظر إلى المصلحة المشتركة للأمة الإسلامية جمعاء.

فالأمة الإسلامية اتسعت رقعتها الجغرافية، وتعددت هويات أفرادها العرقية واللونية والفكرية، وهذا التعدد لاشك أنه يحدث احتياجاً واسعاً ومتنوعاً لأطروحات مختلفة وطرق شتى وأساليب متعددة في الطرح الإسلامي الذي يهدف الجميع إلى تعميمه وإيصاله إلى الناس جميعاً.

مادة واحدة وموضوع واحد.. ولكن وجهات متعددة:

إن الطباع الفكرية والثقافية والعقلية لا تختلف عن الأذواق الاجتماعية في الأكل والشرب وسائر الحياة المعيشية. ومن ذلك قيل: لولا الأذواق لبارت الأسواق.

وإن الأسواق الثقافية والفكرية لا تختلف في تنوعها وتعددها وكثرة المعروض فيها عن الأسواق المادية، مع أنه ربما نوع واحد منها يؤدي الغرض، ولكنها الاختلافات بين البشر.

فترى ربما في موضوع معين كالتفسير مثلاً، ترى في تفسير القرآن الكثير من الكتب، ولكن لكلٍ منها ما يميزه؛ فترى التخصص في الأحكام عند القرطبي والسعة في التاريخ عند الطبري وابن كثير، والإعرابات النحوية واللغوية عند أبي حيان وابن عاشور، والبلاغة والمعاني والبديع عند الزمخشري، ومعرفة الواقع ومحاكاة الزمن عند سيد قطب، والرواية والفكر

عند غيرهم وهكذا.

وهذا هو دأب العلوم كلها، ففي علم واحد تجد كتباً كثيرة وأطروحات متعددة، وكل منها في علم واحد وربما موضوع واحد، ولكن لكل منها ما يميزه عن الآخر ولو في جزئية بسيطة.

ولقد كان بعض الشعراء في الجاهلية يعتبرهم كثير من الناس أشعر الشعراء، ولكن كلٌّ واحد منهم ينظر في زاوية وجزئية محددة، ومن هذا القيل: إن أشعرهم زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وجرير إذا غضب.. وهلم جرا.

ولقد كان الناس في شعرهم ما بين مادح لهذا و ذامٍ لآخر، ولكن كان كل واحد منهم أحب شعره ونظمه في جانب من الجوانب، وذم الآخر عند النظر في جانب آخر.

فابن المعتز مثلاً قد فتن الناس بتشبيهاته، وأسكرهم أبو نواس بخمرياته، ورقت قلوبهم على زهديات أبي العتاهية، وجرت دموعهم لمراثي أبي تمام، وابتهجت أنفسهم بمدائح البحتري، وروضيات الصنوبري.

فالناس طبائعهم مختلفة، واحتياجاتهم واسعة، فعلى الأحزاب الإسلامية والكتّاب المسلمين والمثقفين والمفكرين أن تكون علاقتهم علاقة ترابط وتكامل وإثراء لأمتهم بما يبدعونه ويقدمونه، كلٌّ في مركزه وعمله...

حقيقة يجب أن نسلم بها ونعمل ضمن إطارها:

إن الناظر في أحوال الناس واختلافاتهم وتوزع وتنوع توجهاتهم ليرى أن المجتمع فيه نَهَم وعطش لبلوغ الحق والهدى، ولكن منهم من يكون طريق فهمه وإدراكه علمياً ومنهجياً، ومنهم من يكون ذلك عنده عن طريق الإقناع المنطقي والعقلي، ومنهم من يكون التأثير فيه عن طريق الأمور الروحانية والتزكية النفسية.

ومن هنا يجب أن نعلم أن كل كتاب أو مقال أو موضوع موافق لكتاب الله وسنة رسوله وليس فيه ما يناقضهما فهو مقبول، مهما كانت طريقة عرضه أو أسلوب تعامله مع الآخرين.

وكذلك كل جماعة أو جمعية أو هيئة، مهما اختلفت مسمياتهم ومهما تعددت أطر تعاملاتهم وهياكل تنظيمهم؛ فإن جميعها مرحب بها على الساحة الإسلامية ما دامت ضمن الكتاب والسنة، وعليها جميعاً أن تعمل كجسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وكالبنيان يشد بعضه بعضاً.

ومن هنا فإن المشكلة ليست في الاختلاف نفسه، ولكن المشكلة في عدم معرفة كيفية التعامل مع هذا الاختلاف والتنوع ضمن إطار الوحدة المنشودة، وهذا يخالف أحوال السلف من قبلنا الذين ضربوا أروع الأمثلة في عدم التعصب المقيت المؤدي إلى تفتت الأمة، فقد لقي سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رجلاً فسأله: من أين جئت؟ فقال الرجل: جئت من عند علي، وقد قضى بيننا بكذا في خصومة هي كذا. فقال: لو كنت أنا الذي يقضي فيها لقضيت فيها بخلاف هذا القضاء، فقال الرجل لعمر: وما يمنعك وأنت أمير المؤمنين؟ قال عمر: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة رسوله لفعلت، ولكني أردك إلى رأيي، والرأي مشترك.

قال الشافعي: ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة.

وقال: ما ناظرت أحداً إلا قلت: اللهم أَجْرِ الحق على قلبه ولسانه، فإن كان الحق معي اتبعني، وإذا كان الحق معه اتبعته.

ويقول الإمام الشهيد حسن البنا- رحمه الله: لنعمل فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

نداء ورجاء لأهل الإسلام جميعاً:

إن المخاطر هائلة، والتحديات خطيرة، والخطط الماكرة التي يُعِدُّها

أعداء الإسلام للقضاء على الإسلام وأهله كثيرة ومتواترة، ولا تمييز عند أعدائنا أبدًا بين فئة وأخرى، فهدفهم هو القضاء على العاملين للإسلام على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وتباين وجهات نظرهم، ولذلك يعدون ويرتبون ويكدون ليل نهار لاختلاق الخلافات والشقاقات بين المسلمين، ثم يعرضون أنفسهم كمصلحين ومحبين لنا، وحزينين لما يكون بيننا.

وإن هذا الأمر الجلل الخطير يجعل من إثارة أي اختلاف بين المسلمين من قبل المسلمين أنفسهم، أو تنمية أسبابه، أو تجاوز آدابه، جريمة كبرى في حقِّ هذه الأمة لا يمكن تبريرها أو الاعتذار عنها بحال.

فالحذر الحذر الحذر.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

(١) التوبة: ١٠٥.



٢٤
بين قيم الأجداد.. وسلبيات الأحفاد

في ما مضى من السنين وعندما كنا في نعومة أظفارنا كنا نسمع من الآباء والجدات معاني وألفاظًا وتوجهات تربوية، وكنا نظنها من الموروثات الكويتية، وعندما بدأنا الدراسة والبحث في كتب الفقه والعلوم الشرعية وجدنا لتلك التوجيهات التربوية أسانيد في أقوال العلماء وكتب الأخلاق والسلوك الإسلامية، وعند استفسارنا من آبائنا وجداتنا عن مصدر تلك المعاني الراقية التي تربى عليه الجيل الكويتي القديم قالت لنا جداتنا: إنهم كانوا يجلسون تحت المحراب خارج المسجد في المناسبات الإسلامية ليستمعوا الدروس والمواعظ التي يلقيها الشيخ عبد الله الخلف الدحيان وغيره من العلماء والأئمة في مساجد الكويت.

ولأن الكويت أساساً كانت بلدة صغيرة، وتقريباً لا توجد تأثيرات سلبية تفد إليها من الخارج، كما أن الاحتكاك الذي يتم بالسفر كان محصوراً بين موانئ الخليج والهند، أو السفر براً للحج أو للبصرة شمالاً- فإن تأثير السفر هو الآخر كان لا يذكر، وخصوصاً أن معظم الدول التي يسافر لها الكويتيون قريبة العادات والتقاليد من العادات والتقاليد الكويتية، ولذلك كانت القيم في المجتمع الكويتي شبه متطابقة وثابتة، وهناك إجماع عليها بين عوائل الكويت.

كما أن حياة الضنك والسفر بحثاً عن الرزق، والغياب عن المنزل لعدة شهور، عززت الشعور بالخطر وصعوبة الحياة، وبالتالي أهمية التكاتف والمسؤولية الجماعية، وهذا جعل الأسرة الكويتية تتربى على ثوابت واضحة عند الملتزم وغير الملتزم، وعند البحارة والتجار، وعند الغني والفقير على

السواء.

وكانت هذه الثوابت قيماً راسخة نابعة من الثوابت الكويتية والتي تعود في أصلها إلى التوجهات الدينية والشرعية، وبالإضافة إلى هذه المعطيات كانت تربية الأجيال مسئولية الجميع، وكان البيت الكويتي مفعماً بالدفء والحيوية، وكان في بيت الحمولة: الجد والجدة والأب والأم والأولاد والبنات والأحفاد، فكان الجميع يوجه الصغار على القيم الراسخة للمجتمع الكويتي. وكان الكبير يقدم تجاربه في الحياة للصغير، وكان الصغير يحترم الكبير، وكانت الشئون الأسرية والعائلية هي محور الحديث اليومي بين الجميع، فلا مجال فيه لأن ينعزل فرد من أفراد البيت بعيداً عن الأسرة وظروفها وترابطها؛ مما جعل التأثيرات السلبية على قلتها بلا تأثير على المجتمع الكويتي.

ومع حدوث الطفرة الاقتصادية دخلت متغيرات جديدة في المجتمع الكويتي، كان من المستحيل تجنبها لطبيعة الحياة الجديدة ومتطلباتها، والنقلة النوعية والعمرانية التي فرضت أدواتها وتأثيراتها على الكيان الاجتماعي للمجتمع الكويتي؛ فكان من الضروري رفع نسبة التعليم وتطوير مخرجاته لمسايرة النهضة العمرانية، وهذا يستدعي سفر الجيل الجديد للتعليم في الخارج؛ سواء في الدول العربية كمرحلة أولى والدول الأجنبية كتطور لاحق، ثم تحول السفر في فصل الصيف بسبب الطفرة المادية إلى السياحة والترويح، فبدأت التأثيرات الوافدة تلقي بظلالها على المجتمع الكويتي.

وبدأت القيم الوافدة بسلبيتها وإيجابيتها تحل محل القيم الأصيلة، وعلى الرغم من تلك التأثيرات السلبية الواضحة، إلا أنه من الإنصاف القول بأن الانفتاح الكويتي على العالم قد حقق للكويت تقدماً ملحوظاً في بناء المجتمع المدني ومؤسسات الحياة العصرية، وترسيخ الممارسات الديمقراطية بحيث

سبقت به بقية دول الخليج العربي.

ورغم تلك المخاطر السلبية التي تسللت مع الإنجازات الحضارية للمجتمع الكويتي، إلا أن تلك السلبيات زادت بالقفزة الإعلامية الأخيرة التي اخترقت مجتمعات العالم الثالث بأجمعها، وأحدثت ما يشبه الصدمة للنخبة المثقفة والدهشة والذهول لدى عامة الناس، وبدا أن القيم التي تتمسك بها مختلف شعوب العالم الثالث تتعرض لخلخلة شديدة واهتزاز غير مسبوق لمنظومة القيم المحافظة والهادئة، وألقت بجبال من التحديات أمام رجال التربية والاجتماع، وجاءت الأطباق اللاقطة على الأسطح لتطير معها بقية القيم والمفاهيم والثوابت، وعندما يجلس أحدنا مع أحفاده اليوم وشباب اليوم، تكاد لا تجد قيمة ثابتة تجمع البيت، فلكل بيت قيمه بحسب المحطات الفضائية التي يشاهدها، وربما تعددت قيم البيت الواحد بسبب تلك الفضائيات والتي لا يخلو بعضها من إسفاف وابتذال كما يعلم الجميع.

وللأسف مع كل تلك المؤثرات السلبية التي طرأت على المجتمع الكويتي، فإن الطين زاد بلة عندما رفع الجميع تقريباً أيديهم وتخلوا عن مسئولياتهم التربوية، وأصبح أقصى ما يبحث عنه البيت الصالح الذي يخاف على أولاده من الضياع والانحراف، هو أن يجد المدارس الإسلامية والنوادي الإسلامية والحضانات الإسلامية، وأصبح سوق تلك المدارس والنوادي رائجة، ولا حرج في أن تكون هناك مؤسسات في المجتمع المدني تسعى للإصلاح والمساعدة، لكن أن تكون هي الوحيدة المسئولة عن الإصلاح والتوجيه، بينما تكتفي الأسرة بدفع رسوم الاشتراك في تلك المدارس، وتعتبر نفسها غير مسئولة عن التوجيه والتربية.

وهذا ما لا نقبله ولا نرضاه لمستقبل الكويت وأهلها، فالأصل أن تتكفل الأسرة بنسبة لا تقل عن ٨٠٪ من التوجيه التربوي والسلوكي لأبنائها، على أن تترك بقية النسبة لمؤسسات المجتمع المدني التعليمية والاجتماعية

والثقافية، ومع هذه المعطيات لا تخلو المسألة من ثغرات ودخن، فكيف إذا وصلت نسبة المسئولية الأسرية عن الأبناء كما نسمع ونشاهد إلى ٥٪ أو ١٠٪ فكيف تكون النتيجة؟ وخصوصاً إذا عرفنا أن هذه النسبة الضئيلة تنحصر فقط في متابعة الأكل والشرب والنوم؟!!

بل حتى هذه النسبة أصبحت محل شكٍّ، وهناك من أولياء الأمور من لا يعرفون ماذا يأكل أبناؤهم وماذا يشربون، ولا حتى متى يخلدون للنوم، ويكتفي الأب أحياناً كثيرة بالاطمئنان على أن ابنته في فراشها، ولا يهتم كثيراً بموعد نومها ولا بالهاتف الموجود في حجرتها، ولا بجهاز التلفاز والستلايت وما يبثه من سموم، ولا يدرك أي نتيجة سيجني بسبب هذه الغفلة، كما أن هناك آباء لا يعرفون متى يأتي أبناؤهم إلى المنزل، وربما قضى الابن الليل كاملا بالخارج، وأصبح كخفافيش الليل ينام نهاراً ويتسكع ليلاً.

وقد شاهدنا بعضهم في صلاة الفجر ولا يبدو عليهم أثر النوم، فقد كانوا طوال الليل ينتقلون بسياراتهم بين مطاعم الوجبات السريعة، وكأن الليل الذي جعله الله للنوم والسُّبات تحول إلى نهار، والنهار الذي جعله الله للسعي والبركة تحول للنوم والخمول!!.

لقد أصبح من الطبيعي- للأسف- أن يتخلى الجميع عن مسئولياتهم؛ فالأب إما في الديوانية أو خارج الديرة أو في الشاليه أو في رحلة صيد بحرية، والأم في الأسواق أو لدى صالونات التجميل والمعاهد الصحية، والخدم في البيت يقومون بالطبخ والنفخ، والأولاد كلٌّ على حدة أعلن دولة مستقلة خاصة بقيمه وأخلاقه التي استقاها من الإنترنت والفضائيات وأقراص الكمبيوتر والبلوتوث والمجمعات التجارية والمقاهي وشواطئ البحر، وليس من أبيه وأمه وبقية الأسرة!!

منذ متى أصبح لدينا الشاب المقبل على الزواج يسأل أول ما يسأل عن

وظيفة الزوجة ومقدار راتبها؟ وهل هذه هي القيمة التي عاشها الآباء والأجداد عندما كانوا يغيبون بالأشهر لرعاية أسرهم، وتوفير لقمة العيش الكريم لهم؟!.

ومنذ متى صار البعض يستمتع باستباحة أعراض الناس، ونشر الرذيلة عبر تبادل مقاطع البلوتوث القذرة؟!!

لقد أصبحت المظاهر الكاذبة والمزيفة هي القانون الذي يسعى الجميع لبلوغه، بعد أن رفعت الأسرة الراية البيضاء وتركت تربية الأبناء لظروف الزمن والمكان والبيئة.



٢٥ غير أسلوبك في التعبير .. تتغير حياتك

قضيتان نعاني منهما في المجتمع الكويتي:

- قضية الحسد الذي يتفق الجميع على أنه موجود لدينا بكميات يكفي العالم كله.

- قضية كثرة الشكوى وتضخيم المشاكل والاكتفاء فقط بالبكاء على اللبن المسكوب، حتى إن جزءاً كبيراً من مجالسنا يخصص لتغذية الإحباط في النفوس، مع إيجاد المبررات للنكوص وعدم الجدية وتحمل المسئولية.

وأصبحت لدينا عادات سيئة مع كل مشروع أو فكرة جديدة؛ بحيث إما أن نضخمها حتى نشعر بالعجز أمامها، أو نهوِّن من أمرها ونحتقرها حتى نشعر أنها لا تستحق عناء التنفيذ. وكل ذلك من أجل الهروب من تحمُّل التبعات والمسئوليات، حتى أصبحنا نحتاج إلى حملات إعلامية لكي نحث شبابنا على العمل والإبداع وتحفيز الذاتية لديهم، فكم من أعمال وخطط بدأت ولم تكتمل بسبب الفتور والكسل!! وكم من أناس رضوا بأن يعيشوا على هامش الحياة مع ما حباهم الله به من مواهب وإمكانات!!

إن مثل هذه النماذج تمتلئ بها حياتنا ومن حولنا، فتراهم- لشدة كسلهم وافتقادهم لقيمة الجدية في حياتهم- يستسهلون الأمور، كما يستسهلون إصدار الأحكام دون تثبُّت؛ لأنهم فقدوا جدية التحرِّي والبحث عن الحقيقة، ولذلك فهم عادة ما يَفْجُرون في الخصومة؛ لأنهم يفتقدون الصبر والطاقة على قراءة الآخر قراءةً صحيحةً، فهم يضجرون بسرعة ويتملكهم الكسل بشكل غريب، فَيُؤْثِرُونَ إصدار الأحكام على الآخرين بدلاً من تعب النفس في فهم المواقف المخالفة.

كما أنهم سريعو الاستجابة للإشاعات والأراجيف وبناء المواقف عليها، ويتأففون- كذلك- من الالتزام بالنظام إلا فيما وافق الهوى، وتجدهم يتهربون من مسئولياتهم المباشرة أو يُقَصِّرون فيها؛ سواء في الوظيفة أو مع الأسرة، فتنحصر الوظيفة لديهم في «ختم الكرت» والإفطار الصباحي، ومسئولية البيت في توفير المصروف الشهري، وحرص على تحقيق المكاسب بأقل الجهود، حتى لو تم ذلك عن طريق تجاوز من يستحق تلك المكاسب من خلال سلبه إياها وتجييرها لصالح النفس؛ مثل الترقية في الوظيفة، أو تجاوز الدور في انتظار السكن الحكومي، وغيرها.

مظاهر عدم الجدية:

ومن مظاهر عدم الجدية في حياتنا هذا الكسل المستحكم في كثير من الناس، بحيث رضوا بالدون من كل شيء، وتركوا السعي إلى المعالي والفضائل، حتى تحول الكسل مع مرور الأيام إلى عجز تام، وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أنس- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل»**[(١)].

أصحاب هذه الطبيعة التي تتحكم في كثير من الناس وتمنعهم من الجدية يحتاجون إلى وقفة صادقة مع النفس، يراجعون كشف خسائرهم بسبب الإهمال والكسل وترك الجدية في الأمور كلها، بينما الله- سبحانه وتعالى- يقول لنبيه يحيى: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[(٢)]، قال القرطبي في تفسيره: ﴿بقوة﴾ أي: بجد واجتهاد، وروى معمر أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقت.

إذن، فأَخْذُ الأمور بجد وعزم من خصائص النخبة والرواحل، والثروة الحقيقية التي تملكها الدولة أو الأمة ليست في الأموال أو الأجهزة والآلات،

---

(١) رواه البخاري (٢٨٩٣)، وأبو داود (١٥٥٥).

(٢) مريم: ١٢.

وإنما هو في الإنسان الجاد القادر على أخذ الأمور بقوة وجد وحرص، مستشعراً المسئولية التي يجب الوفاء بها.

ومن مظاهر الجدية أن يجد الإنسان راحته في العمل والبذل والعطاء، وتحقيق الأحلام والطموح، والانشغال بالأهداف الكبرى والسعي لتحقيقها.

ومن مظاهر الجدية التفكير الدائم في مشاريع الخير التي تنفع الناس والمجتمع .

ومن مظاهر الجدية العمل في كل الظروف والأحوال والبيئات ومواجهة العقبات والعوائق، والعمل على إزالتها وتذليلها.

ومن مظاهر الجدية الهم الدائم والتفكير المستمر في سبيل تحقيق الخطط والطموحات والارتقاء بها، والإحسان في تنفيذها، والحرص على إكمالها والانتهاء منها على أحسن وجه وبشكل متقن.

ومن مظاهر الجدية النشاط الدائم والعطاء المتصل، والحركة الديناميكية الفاعلة مع الأشخاص والظروف، وعدم الانعزال عن الناس والاستسلام لدواعي الكسل والخمول، والاكتفاء بالحد الأدنى من الأهداف والغايات، مع تحفيز دائم للعمل الجاد، عماده إدراك حقيقة قصر العمر وكثرة الواجبات، وعظيم الأجر والثواب والنظر في أحوال البطالين والكسالى وما آل إليه أهل الخمول والعجز.

إن ديننا الحنيف دين الجد والعزم والحرص على الإنجاز، وما أعجب حديث النبي ﷺ الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: «**إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة، فليغرسها**»[١].

فمن أراد أن يَسُودَ فعليه اجتياز السدود، وما أجمل قول الشاعر:

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٨٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

بالجـد يبلغ ذو الآمـال ما طلبا — وبالوفاق ينال المـرء ما رغبـا

ما السر أن أســلافاً لنا سلفوا — ســادوا البرية فيما أورث العجبا

يجيء إليهم خراج الأرض قاطبة — بذاك خاطب هارون الهدى السُّحُبَا

هل كـان ذاك بغير الجـد حالفه — حسن الوفاق وإلا فاذكـروا سببا

وهو قريب من قول الإمام الشافعي:

إن الذي رزق اليسار فلم يصب — حـمـداً ولا أجراً لغيـر موفـق

فالجـد يدني كل أمـر شاسـع — والجـد يفتـح كل باب منغلق

الجدية عملة نادرة:

شدني شريط فيديو قديم لنشاطٍ إسلامي كان ولدي الصغير مشاركاً فيه قبل سنوات عدة، وهو نشاط نظمته جمعية الإصلاح الاجتماعي، وكان النشاط يجمع بين المسرحية الهادفة والفعاليات الاجتماعية المفيدة، لأطفال في سن الخامسة والسادسة من عمرهم، يستعرضون فيه حياة أعلام المسلمين كالخوارزمي وابن قتيبة بلغة عربية راقية، وذلك بإشراف شباب نشط وفعال في ذلك الوقت مثل الأخ صالح البارود.

وقد رأيت وأنا أستعرض الشريط وأستعيد الذكريات حالة الجدية التي كان الشباب يعيشها في تلك الفترة، بعيداً عن الترفيه والترف الذي يعيشه شبابنا اليوم. وقد تابعت الشريط فوجدت فيه مسلسلاً تلفزيونياً اسمه «تحت ظلال السيوف» يستعرض فيه حياة ضرار الأيوبي، وكان في المسلسل عبارات عربية بلغة سليمة واعتزاز عروبي قومي ليس بهدف عنصري، بل بهدف الاعتزاز بهذا الدين.

وقلت في نفسي: إن أمثال هذه المسلسلات كانت تعرض في السابق على الرغم من قلة المحطات التلفزيونية التي كانت تبث، واليوم على الرغم من عشرات المحطات التلفزيونية والتي أصبحت معظمها كغثاء السيل، أتحدى

أي فضائية أن تبث هذا المسلسل دون أن تُتَّهم بالإرهاب والتحريض على العنف.

لقد أعادني شريط الفيديو إلى مشاهد ومواقف وذكريات تؤكد أن قيمة الجدية في حياتنا سابقاً هي أفضل منها اليوم:

فلا عادت هناك جدية في أصالة التفكير وتقديم الإبهار الفكري.

ولا عادت هناك جدية في أصالة التنفيذ والإبداع في إتقان العمل.

وبسبب هذه الجدية المفتقدة أصبح من السهولة أن تنتقد أي عمل ينفذ، سواء في المعمار أو الهندسة أو الطب أو الوعظ أو الإدارة وغيره من المجالات، لأن الجدية اختفت من حياتنا وتتعرض للتآكل، وهكذا يمكن أن تجد قرارات إدارية رديئة وسيئة ومتخلفة، لأن من أصدرها لم يمارس عمله بجدية، ويتمعن في الدائرة الإدارية التي يشرف عليها قبل أن يعمم القرار، ووجدنا أخطاء طبية فظيعة بعضها يفضي إلى الموت، بسبب افتقادنا لقيمة الجدية، وأخذ الأمور بلا مبالاة وسطحية.

ووجدنا مباني وعمارات بها من الأخطاء والعيوب التي يدركها الجاهل قبل العالم، والتي تخفيها الواسطات المتفشية في البلدية ها هنا وهناك، حتى خطب الجمعة لم تعد بذلك التأثير على المصلين، لأن بعض الخطباء- للأسف- افتقدوا الجدية في تحضير خطبة الجمعة واحترام جمهور المصلين الذين يتكبد حر الصيف وبرد الشتاء ليأتي في منتصف يوم الجمعة للخطبة.

بل حتى التيارات السياسية لم تعد بتلك النظرات الاستراتيجية وتلك الهيبة في التنظير والتأطير لبرامجها، وخدمة المجتمع، وتحولت مناشطها إلى أعمال روتينية لتسويد صفحات التقرير الأدبي والسياسي، وتفرغت للمشاحنات السياسية الضحلة والإثارة التي ليس من ورائها طائل أو فائدة للمجتمع.

إن الجميع مطالب بإعادة قيمة الجدية في حياتنا من خلال مجاهدة النفس على عدم استسهال الأمور والرضى بالسطحية والتفاهة، مع مواجهة النفس وقراءة سير السلف الصالح ومدى جديتهم في حياتهم وأمورهم، ومصاحبة أصحاب الهمم العالية والنفوس التواقة للعطاء والبذل والابتعاد ما أمكن عن توافه الأمور، وما من شأنه الهبوط بالعزائم وتضييع الأعمار والأوقات فيما لا يفيد.

ولا أعتقد أننا لا نملك قيمة الجدية، بل فقط غافلون عنها بسبب حياة الترف والدعة، وإلا فإن أجدادنا وآباءنا قد واجهوا صعوبة الحياة في الماضي بجديتهم وتحملهم للمسئولية، وليس عنا ببعيد الجهود التي بذلها الجيل السابق في بناء الكويت الحديثة.

وأقرب من ذلك ظهور المعدن الأصيل للمواطن أثناء الغزو الغاشم، فقد قدم الشعب الكويتي أروع الأمثلة في تحمل المسئولية التاريخية والوطنية، وتعامل بجدية مفرطة ومسئولية غالية مع ظرف الغزو، فالمواطن لدينا يملك الإمكانات، وقادر على ممارسة الجدية بأعلى مستوياتها، وما يريده فقط أن ينتبه إلى ثمار الجدية الطيبة.

فعندما يمر العمر ويقف عند المحطة الأخيرة سيدرك المسوِّفون أي جريمة ارتكبوها في حق أنفسهم، ولكن ساعتها للأسف لا ينفع الندم!!

غير أسلوبك في التعبير .. تتغير حياتك !!!

يحكى أنه كان هناك رجل أعمى يتسول على رصيف أحد الطرق، وقد وضع أمامه لوحة من خشب مكتوب عليها: «أرجوكم ساعدوني، فأنا أعمى».

ومضى وقت طويل وهو جالس على هذه الحال، ولكن أحدًا لم يعطف عليه، و لم يعطه شيئًا .

وبينما هو كذلــك، إذ مر به شاب ورأى هذه اللوحة، فأخذها، وعدل ما هو مكتوب فيها، ثم أعادها إلى مكانها مرة أخرى، وأعطى نقودًا للشحاذ، وقَطْعًا لم يع الأعمى شيئا مما حدث، اللهم إلا أن أحدهم أخذ اللوحة من جانبه، ثم أعادها بعد هنيهة.

ولكنه لاحظ أن القبعة التي وضعها بجانبه قد امتلأت بالعملات النقدية.

فسأل أحد المارة أن يقرأ له ما هو مكتوب على اللوحة.

فقرأ التالي: «إن الجو اليوم ساطع ومشمس، ولكني لا أستطيع رؤيته مثلك» .

وهنا أدرك الشحاذ السر على الفور، و شكر ذلك الشاب.

في هذه القصة السابقة نتبين أهمية اختيار العبارات المناسبة، ومدى تأثيرها على الطرف الذي نرغب في توصيل رسالتنا إليه.

فلو أننا لاحظنا أن في حياتنا اليومية الكثير من الرسائل الإيجابية التي نود إيصالها للآخرين، ولكن سوء اختيارنا للألفاظ أدى إلى جعلها رسالة سلبية، ولربما تكون أشد فجاجة من الرسائل السلبية بذاتها.

مثال ذلك: عندما تجد الزوجة في بَعْلِها عيبًا ما، وتود أن تخبره بذلك، فهي تفعل بطريقة جارحة للمشاعر، وفي الغالب لا تنال مرادها، بل وقد تنقلب الأمور رأسا على عقب. فلنتخيل معًا إذا كان زوج إحداهن لا يعيبه عيب إلا بخله، وقامت الزوجة بمواجهته بـذلك بقولها: «أنت أبخل منك ما رأيت في حياتي كلها».

ترى ماذا تتصورون معي أن تكون ردة فعل الزوج؟ على الأرجح سيفور دمه، ويبدأ في السب والصراخ، وفي النهاية بالضبط لن يتغير.

وتخيلوا معي نفس الموقف، ولكن الزوجة في هذه المرة كانت ذكية وحكيمة، وقالت لزوجها: «والله، لأنت أروع زوج في هذه الدنيا، وأنا فعلاً

محظوظة بواحد مثلك، ولا آخذ عليك إلا.. (وتسكت).

وهنا طبعًا أتخيل أن الزوج يتحرق شوقًا لمعرفة الشيء الذي ينقصه، ليكون الزوج المثالي في نظر زوجته الحبيبة.

ويأتي على الفور دور الزوجة النبيهة، فتنتهز هذه الفرصة الذهبية التي يسرها الله لها، وابتكرتها بفطنتها، فتقول في تودد: «يعني أنت ماسك يدك شوي، وهذا بس الذي يزعلني منك» .

فيقول الزوج: «بس كده، إن شاء الله أخرج معك اليوم، وتشترين كل ما تريدين».

قد يعتقد البعض أنني أبالغ في تخيلاتي، ولهم الحق في ذلك، فالأمر ليس دائمًا بهذه السهولة والليونة.



شعور أمّ ببناتها:

عن عَائِشَةَ- رضي الله عنها- أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**»(١).

قصة مؤثرة، وحكاية معبرة، نستشعر من خلالها كم هو عظيم قلب الأم؟! كم هو كبير عطاء الأم؟!

كم هي ضخمة تلك التضحيات التي تضحِّيها الأم من أجل أولادها؟!

فهي تجوع ليشبعوا، وتسهر ليناموا، وتتعب ليرتاحوا ويطمئنوا.

هذا هو أنموذج الأم المثالية..

وهذا هو الحال الذي ينبغي أن تكون عليه كل أم في رقتها وعطفها وحنانها وشفقتها على أولادها، لا فرق عندها بين ذكر أو أنثى، ولا بين كبير أو صغير، ولا بين غني منهم أو فقير.

فالأم هي أكبر مدرسة للرحمة في الحياة الدنيا، فإذا أردنا أن نتعلم الرحمة في أسمى معانيها بين البشر من حولنا فلننظر إلى أم..

إذا أردنا أن نرى رحمة مجسدة في شكل إنسان فلننظر إلى أمٍّ وهي تحتضن

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٠).

أولادها، فهذا قد يُقرب إلى أذهاننا شيئًا فشيئًا كيف هي رحمة الله بعباده واسعة.

فالأم منذ أن أصبحت أمًّا أصبحت دالة على رحمة الله- سبحانه وتعالى.

فالأم بلسانها ويديها وكل ذراتها تجسيدٌ لرحمة الله- سبحانه وتعالى- في الأرض، ونموذج من المائة جزء الذي أنزله الله- سبحانه وتعالى- إلى الأرض.

منذ اليوم الذي حملت فيه وأنجبت واكتسبت كلمة «أم» أصبحت غالية على الله- سبحانه وتعالى- وأصبحت نموذجًا يعرض رحمة الله- سبحانه وتعالى- في الأرض.

ولقد عرفنا النبي ﷺ هذا عندما قدِم بسَبْي فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبياً في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ؟**» قُلْنَا: لاَ وَاللهِ . فَقَالَ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا**» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[1].

ولذا أصبح أمر برها وطاعتها يساوي الكثير في ميزان الحسنات عند الله تعالى، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مَنْ أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[2].

بر الأم سبيل الجنة:

بل إن كل من أراد أن يبحث عن الجنة فإنه سيجد طريقه في بر أمه؛ فعن معاوية بن جاهمة السلمي قال: أتيت رسول الله فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال : «**ويحك أحية أمك؟**» قلت: نعم. قال: «ارجع فبرها» ثم أتيته من الجانب الآخر فقلت: يا

(١) رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٢) رواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال: «**ويحك أحية أمك؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**فارجع إليها فبرها**» ثم أتيته من أمامه فقلت: يا رسول الله إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة. قال: «**ويحك أحية أمك؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**ويحك الزم رجلها، فثم الجنة**»(١) .

بر الأم مكفر للسيئات:

بل وحتى من فعل الذنوب والخطايا، ويبتغي المغفرة من الله، ويحب أن يتقرب إليه بأفضل الأعمال إليه ليكفر خطيئته ويمحو حوبته، فإنه لن يجد عملاً أقرب إلى الله من بره بأمه؛ فعن عطاء بن يسار عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه أتاه رجل فقال: إني خطبت امرأة فأبت أن تنكحني وخطبها غيري فأحبت أن تنكحه، فغرت عليها، فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حية؟ قال: لا. قال: تب إلى الله- عز وجل- وتقرب إليه ما استطعت. فذهبت فسألت ابن عباس: لم سألته عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملا أقرب إلى الله- عز و جل- من بر الوالدة(٢).

فلذا ينبغي على كل امرأة عندما تصبح أماً أن تحسن تجسيدها لرحمة الله في تربيتها لأولادها؛ لتكون في المقام الذي جعله الله لها من الطاعة والبر على أولادها.

لا تفرقي بين ذكر وأنثى فالتفرقة مفسدة:

ترتكب بعض الأمهات خطأ جسيما في تربية بناتهن، ألا وهو تفضيل الذكور عليهن، وربما يكون هذا الأمر غير مقصود من الأم، ولكنه يأتي عفويًّا في بعض الأحيان، فلا تنتبه إليه الأم، ولكن البنات يحسسن به، ولكن لا يجرؤن على أن يتحدثن فيه، فيصبح هذا الأمر بمرور الوقت مشكلة متجذرة

(١) رواه ابن ماجه (٢٧٨١)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٥) (٤)، قال الشيخ الألباني : صحيح .

ومؤثرة، تنقلب آثارها على البنات مع أمهم، بل على الأسرة ككل، وربما يزيد الأمر حتى يصير قضية اجتماعية لها نتائجها على المجتمع كله.

إن من الطبيعي بالنسبة للأم التي أنجبت ذكراً على عدد من البنات الإناث أن يطير قلبها فرحا به وطرباً لمجيئه بعد طول انتظار، وأن تتفنن في تدليله.. لكن من غير المقبول أبدًا أن تمنحه السلطة المطلقة في ضرب وإهانة أخواته البنات، وهذا الأمر- وللأسف - يبتلى بها بعض البيوت، فترى الأم تجبرهن على خدمته وتدليله وعدم المساس به وعدم جرح مشاعره!! حتى وإن أخطأ في حقهن وأساء إليهن، وهي من حيث لا تدري تشعل ناراً مستعرة في قلوب بناتها تجاهها وتجاه أخيهن.

وكذلك من الأخطاء التي تقع فيها بعض الأم تجاه بناتهن عدم فهم مشاعرهن والانشغال عنهن وعن توجيههن وتأديبهن.

فعلى كل أم أن تتقي الله في بناتها، وتتنبه إلى احتياجاتهن العقلية والفطرية والجسدية والتربوية، وأن تراعي بعض الأمور عند توجيهها لبناتها التوجيه الصحيح؛ فالأم هي أول قصّة حبّ بالنسبة إليها، وإن الرابط بينهما سيستمرّ مدى الحياة.

أختي الأم: إن التربية في مفهومها الصحيح تعني الحنان المغدق والعناية والتوجيه السليم.. بل والشعور بالحب الدائم، وحسن التوجيه لغرس القيم والمبادئ، والتفريق بين الحلال والحرام والمسموح والممنوع بأسلوب هادئ ورصين ومؤثر.

وأنت أيتها الأم الملاذ الآمن والحضن الدافئ لبناتك، وخاصة في خضم هذه الحياة التي نعيشها؛ حيث أصبحت الفتن تعصف بهن من كل جانب. فلذا اقتربي منهن وقربيهن إليك، عيشي همومهن، كوني مستودع أسرارهن، أسمعيهن نصائحك واستمعي لهن، أنقصي من عمرك وسنك وعيشي معهن

كأنك في مثل سنهن وأعمارهن، وبذلك ستكونين أغلى ما عندهن، وتيقني عندها أنهن لن يخرجن عن نصائحك وتوجيهاتك قيد أنملة ؛ لأنك بحق كنت (أماً) وكفى بهذا شرفاً ونبلاً.

أيتها الأم : أنتِ رمز الرحمة، وأنتِ عنوان الرحمة، وأنتِ من أودع الله فيكِ سرًّا تستطيعين به أن تقومي بمهام لا يستطيع أن يقوم بها الرجال، بل وأن تقومي بعشر مهام في الوقت نفسه، أنت الوحيدة التي تعرفين كيف تتجاوبين مع أدق إحساس لأبنائك وبناتك، وهذا لك أنت أيتها الأم؟ فهذا سر إلهيٌّ.

أيتها الأمهات:

إن أي امرأة يمكن أن تحمل وتضع، وترضع وتغذي الجسم.. كل هذه أعمال يجازي الله- عز وجل- بها أحسن الجزاء، ويجزل ثوابها، كلما حضرت النية وعظمت. لكن ليست كل امرأة أمًّا حقيقية؛ فإن المرأة لا ترقى لمقام الأمومة إن أهملت ولدها ولم تحرص على تغذية روحه وعقله وفكره وتربيته تربية سليمة، حتى يعرف خالقه، ويفهم رسالته في الأرض.

إن الفرق شاسع بين الأم والوالدة، فإن كانت الوالدة تضع الأجسام وترعاها فحسب، فإن الأم تتولى رعاية الأرواح والأجسام معا.

دور الأم تربية الولد ليحيى عابدًا لله صالحًا مصلحًا، وهذا ما رفعها إلى مقام القداسة؛ حيث ذكرها الله- عز وجل- في كتابه العزيز حين قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾[(١)].

إن الأم تربي الذرية وتلقنها أمانة الإيمان برفق ورحمة وحنان، فتؤدي بذلك وظيفة محورية في المجتمع، بدونها تنفصم عراه، ويستأصل معنى الإنسانية منه.

وأخيراً أيتها البنات أقول لكن:

إن الأم كنز ثمين لا يقدّر بأي ثمن، من حفظه حُفِظ، ومن أهمله هَلَك.

---

(١) الأحقاف: ١٥.

الأم هي القلب الرقيق الذي يحس بنا كلما اشتدّ بنا الألم، وضاق بنا الزمان

الأم إذا فُقِدت فُقِدَ الفرح، فهي السعادة في أبهى حللها وأسمى معانيها.

فحافظوا على أمهاتكن .



عن عائشةَ- رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأَعلمُ إذا كنتِ عنِّي راضيةً، وإذا كنتِ عليَّ غَضْبَى**»، قلتُ: كيف يا رسول الله؟ قال: «**إذا كنتِ عنِّي راضيةً قلتِ لا ورَبِّ محمَّدٍ، وإذا كنتِ عليَّ غضْبَى قلتِ لا ورَبِّ إبراهيمَ**»، قالت: أَجلْ، واللهِ ما أهجر إلاَّ اسمَكَ[(١)].

رقة الإحساس بالآخر:

هذه القصة تمثل أعلى وأسمى أنواع الإحساس والشعور بين الرجل وزوجته.

فعلى الرجل أن يفهم كيف تتبدل مشاعر زوجته فيعرف رضاها من غضبها، وفرحها من حزنها على هذا النحو، وعليه أن يتعامل معها كما هي، ويتقبل تقلبات أمواج مزاجها وفكرها التي ترتفع وتنخفض في أيامها ولياليها، بل ويشاركها في همومها وأحزانها، فيفرح عند فرحها، ويحزن عند حزنها، ويهتم ويغتم لهمها وغمها، ويشعرها أنه مهتم بأمرها ومستشعر لتقلباتها وتغيراتها.

وعلى كل زوجين أيضاً أن يعلما أن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة بينهما، فمن الطبيعي أن يحدث سوء تفاهم وخلافات بينهما.

وإن هذه الحكاية تحكي لنا أنموذجاً رائعاً للتحاور بين الزوجين وكيف يكون العتاب بينهما بكل رقي وأدب وعتاب لطيف.

وإن العِتاب اللطيف مع تأكيد المحبة، هو أبقى لحبائل الوُد ..

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٨)، ومسلم (٢٤٣٩).

وهو أسكن لنفس الطرف المخطئ، وأحفظُ لمشاعره .

وكم نحن بحاجة لإتقان فَن المُصالحة، والتلميح بالخطأ ..

والعتب اللطيف الخفيف الذي لا يُشعر الآخر بأن مشاعِر الود قد خبتْ، وأن جسور المحبة قد هوت .

لِتتأمل كل زوجة العِتاب اللطيف الذي تمارسه عائشة- رضي الله عنها.

فهي عندما تغضب لا تهجر إلا اسم الرسول- عليه الصلاة والسلام.

وليست تهجر مناداته، ولكنها تهجر إيراد اسمه حين تحلِف.

عِتاب خفيف لطيف منها- رضي الله عنها- تعتب فيه على زوجها مع إبقائها للمحبة بينهما .

وكما قال الشاعر :

إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود أميل

إنها لتضرب لنا أروع المثل في فن اللباقة في حال الغضب وعدم الرضا عن الزوج، فهي تترك التسمية اللفظية فقط، أما قلبها ووجدانها فلم يفارق ولم يترك التعلق بذاته الكريمة؛ مودة ومحبة واحتراماً وتقديراً.

وكذلك عندما أبدى لها إحساسه بها وبمشاعرها لم تنس لطفه ﷺ وتلمسه مشاعرها ومعرفة حال الرضا وحال الغضب عندها، فأجابت بكل أدب ومحبة: أَجلْ، واللهِ ما أهجر إلاَّ اسمَكَ.

فوجدت في حياتها الزوجية كل ما يسعدها من فرح وسرور، ومن ابتهاج وحبور، ومن ممازحات لطيفة، ومن عبارات رقيقة، ومن بشارات عظيمة، ومن معاملة كريمة، زادتها قوة في إيمانها، وسمواً في سلوكها، وشجاعة في النطق بكلمة الحق، وعلمًا نافعًا يسمو بأمور دينها وبشئون دنياها.

عدم الأدب في الغضب مدمر للحياة الزوجية:

وإن مما يدعو للأسى أن كثيراً من الزوجات لا تحسن التعامل عندما

تغضب من زوجها؛ فهي لا تهجر اسم زوجها فحسب.. بل تهجر خِدمته! وتهجر الحديث معه! وتهجر النظر إليه، إن أراد الحديث معها!

يحصل بينهما خِلاف، فيعلم أهل البيت جميعًا بهذا الخلاف ! بسبب هذا الهجر (غير الجميل) والذي يُحْرِج ويَجْرَح زوجها .

وتظن أنها بِفعلها هذا تـثأر لكرامتها! وتقوّم زوجها !

وما علمت، أو ما أدركت قوله عليه الصلاة والسلام: **«ما كان الرفقُ في شيءٍ إلا زانه، وما نُزِع مِن شيءٍ إلا شانه»**[1].

هذا مطلوب مع سائرِ الناس، فكيف مع الزوج الذي جمعت بينها وبينه المودة والرحمة والسُّكنى؟

إنّ إصرار الزوجة على معاقبة زوجها بمثل هذه القسوة، وإشعاره بأنه صاحِب خطأ لا يُغتفـَر، وذنب لا يسامح عليه، ينفّـر الزوج مِن المُصالحة والبحث عن الصُّلح، ثم قد ينفـر منها وحينها ستشكو ندامة.

وكما قيل:

إنَّ القلوبَ إذا تنافرَ ودها   مِثلَ الزجاجِ كسرُها لا يُـشعَـبُ

دقة عالية في استقراء مزاج الزوجة :

يجب على كل زوج وزوجة أن يكون عند كل واحد منهما جهاز استشعار عن بُعد، ويكون هذا الجهاز مصنوعاً من شدة الاهتمام والإحساس والشعور؛ ليتمكن من خلاله أن يعرف أحوال الرضا والغضب، والحزن والفرح، والصحة والمرض عند الطرف الآخر.

فلقد بلغ من دقة عناية الرسول ﷺ بمشاعر عائشة- رضي الله عنها- حتى صار يعلم رضاها وغضبها من مجرد كلامها وحلفها في هذا الحديث.

قال الحافظ ابن حجر: «قوله: إني لأعلم إذا كنتِ عني راضية.. إلخ:

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٠٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

يؤخذ منه استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه».

أيُّ ملاحظة أرق من هذه الملاحظة؟!

وأي تودد ألطف من هذا التودد؟!

إنه الخلق النبوي العظيم، يوجهنا معاشر الأزواج أحسن توجيه، ويوجه كذلك الزوجات أفضل توجيه.

نصيحة للزوجات:

أيتها الزوجات:

إننا لا نتصور الأنثى إلا أن تكون لبقة في حال الغضب وفي حال الرضا، واللباقة هي الكلمة المناسبة والفعل الملائم ورد الفعل الذكي، واستخدام آداب التحدث والتعامل والكياسة. ويشمل ذلك: الذكاء والحكمة والفطنة في التعامل مع الآخرين.

فاتسمي باللباقة لتستمتعي بدوام العلاقة بينك وبين الآخرين.

وصدق رسولنا الكريم عندما قال: «**إن من البيان لسحراً**»[١]، و«**الكلمة الطيبة صدقة**»[٢].

فلقد أعطتنا السيدة عائشة- رضي الله عنها- درساً في اللباقة واللطف عند الغضب من الزوج؛ حيث أجابت جواباً في غاية اللطف في الجواب، فقد أخبرت أنها إذا كانت في غاية الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا يغيرها عن كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران لتدل به على أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار فيه.

(١) رواه البخاري (٥٧٦٧)، وأبو داود (٥٠٠٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).



الإحبــاط :

جاء في المعجم الوسيط: حَبط الْبَطن وَالْجلد: وَرِم. وحبط الـجرْح: بقيت لَهُ آثَار بعد الْبُرْء. وحبط مَاء الْبِئْر: ذهب ذَهَابًا لَا يعود. وحبط العمل: بَطَل. وفى التنزيل العزيز: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1]. وحَبط عَمله: أبْطلهُ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[2] . والحباط: وجع الْبَطن من الانتفاخ لِكَثْرَة الْأكل أَو لأكل مَا لَا يُوَافق.

والمصدر: (إحباط)، ولا يخرج عن هذه المعاني اللغوية التي تنحصر أخيرًا في معنيين اثنين :

١ – التلاشي والاضمحلال المصحوب بالخيبة والضيق والنفور.

٢ –الفساد الذي تبقى آثاره حتى بعد ذهاب عينه وأصله، مما يصيب صاحبه بالحسرة والألم.

ولم يبتعد المعنى المتداول بين الناس عن هذا المعنى اللغوي، إذ إن كلمة (الإحباط) تعنى فيما يتداوله الناس بينهم: الشعور النفسي الذي يصيب أصحاب الآمال الكبيرة حين تنتكس آمالهم، فيشعرون بألم وحسرة وغصة في حلوقهم، لا يذهبها المـــاء، ولا يتغلب عليها في القريب أمل أو رجاء، أو هو (مجموعة من المشاعر المؤلمة، تنتج عن عجز الإنسان عن الوصول إلى هدف ضروري لإشباع حاجة ملحة)[3].

---

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) الأحزاب: ١٩.

(٣) انظر: الصحة النفسية من الإغريق إلى العصر الحديث، ص ٢٥١ .

وهذا الإحباط آفة من آفات النفس، يعوق فيها الإرادة الدافقة، ويوقف الهمة العالية، ويبعث الوهن والضعف في القلوب، فتقل مقاومتها وتفتر، ويجعلها أقرب إلى اليأس منها إلى الرجاء، وإلى الحنق والغضب منها إلى الرضا.

وماذا تنتظر- بعد ذلك - من نفس واهنة وهمّة فاترة، أفسد سعيها الإحباط وفض قوتها التثبيط؟ وكيف لهذه النفس أن تبدع فكرًا، أو ترفع إنتاجًا، أو تدفع عدوًّا، أو تزيل شرًّا، أو تصنع خيرًا؟ ومن ثمَّ تنعكس هذه الحالة النفسية الخائرة الفاترة على المجتمع، فتلمح فيه آثار السلبية بادية، وآثار التواكل ظاهرة، وثمار الخور والفتور غير خافية على أحد، ثم لا تجد من تبثّ له الشكوى، حتى يخفّ المصاب، ويهون الخَطْب، ويقل الفساد.

إن الهزيمة النفسية لأي فرد أو لأي مجتمع وأمة لا تقل أثرًا عن الهزيمة المادية، بل قد تزيد، وإن هزيمة الأمة نفسيًّا في سنة ١٩٦٧م كانت أقسى وَقْعًا وأشد ألـمًا من هزيمتها المادية، رغم ضياع الأرض واستيلاء العدو على المقدسات، لأن الآثار المادية للهزيمة يمكن إرجاعها بالجهد والعمل.

وأما الآثار النفسية فإنها تترك داخل الإنسان ندوبًا وجروحًا لا تزول، وإن زالت مظاهرها.

والأمة الإسلامية في جميع الأقطار وعلى مدار الأزمان، أصابتها نكبات وهزائم عديدة، عمقت الإحباط في جوانحها وقلوبها، ولولا الأمل الذي يبثه الإيمان في النفوس بحيث تقاوم اليأس، لذهبت هذه الأمة ذهاب الأيام والليالي.

ولكن الله سلم من أن تذهب الأمة وتنعدم، على الرغم من أن العوامل السيئة- التي تثير في النفوس الإحباط- تظهر من حين لآخر؛ بحيث تطفو على سطح الحياة الإسلامية هنا أو هناك فتفعل فعلها، وتصيب الأمة باللظى في حشاها، ولا تستريح الأمة إلا حين ترتفع درجة الإيمان، فتطفئ هذا اللظى،

وقد تقضي على آثاره حينًا، وقد يبقى غير منظور حينًا آخر، حتى تجد عوامل جديدة تثيره من جديد، فليس الإحباط -إذن - نابعًا من ذات الشخص أو من نفس أبناء المجتمع في كل الأحايين، بل قد يكون مفروضا من الآخرين، بحيث لا يملك الإنسان أمامه حولا ولا طولا .

«ففي الظروف البيئية السيئة التي يشعر فيها الإنسان بالحرمان، والظلم والتحقير والقسوة ينمو لديه الاستعداد للشعور بالإحباط، فيشعر به بسرعة من غير أن يستطيع له احتمالاً. أما في الظروف البيئية الحسنة التي يحيا فيها الإنسان، شاعرًا بالأمان والطمأنينة والتقبل، فيحصل على إشباع معظم دوافعه، فلا ينمو عنده الاستعداد للشعور بالإحباط، فلا يشعر به إلا في المواقف الصعبة، فيقدر على تخطيه بأساليب إيجابية»[١] .

والذين يتعرضون لإحباطات شديدة كثيرة يتوالى عليهم الإحساس بالفقدان والعدم، ثم الحرمان، ثم الصراع الداخلي، مما قد يجعل حركتهم في الحياة مضطربة غير سوية، يستوي في ذلك أن يكون سبب هذا الإحباط ماديًّا خارجيًّا أو نفسيًّا معنويًّا، فكلا الأمرين صعب مردوده على النفس السوية، وعلى المجتمع المتماسك، لأن هذا الإحباط غالبا ما يدفع إلى «النكوص في السلوك والتدهور في التفكير، والارتداد إلى أساليب سلوكية غير ناجحة»[٢].

مما يضعف من إنتاجية الفرد، ويحد من قدرته على الرقى العملي والعلمي والنفسي، ويجعل منزلته- كفرد عزيز في وطنه له شأن بين إخوانه- في مهب الريح، وهل بمثل هؤلاء الأفراد ترقى أمة أو تصان دولة؟ إن الإحباط قاتل للمعنويات، لأنه سم بطيء ينتشر في جسد الأمة فيضعف- على مر الأيام - مقاومتها، ويقيد عزتها وكبرياءها بين الناس وبين الأمم، فكيف تظهر فتيةً أبيةً، ترفض الضيم وتأبى الذل؟

---

(١) المصدر السابق ص٢٥٣ بتصرف .

(٢) نفس المصدر ص٢٥٧.

إن المجتمعات التي تتلافى أسباب الإحباط- فلا تقع فيه إلا تحت وطأة ظروف قاهرة- تظل محتفظة بكيانها على نحو متناسق قوي، بحيث ترفض كل اضطراب أو اعوجاج يمكن أن يتطرق إليها، فلا يجد هذا الاعوجاج أو الاضطراب لنفسه مسلكا فيرتد من حيث جاء، ويسلم المجتمع بأبنائه من شر فتنته التي لم تجد لها مكانا بين أبنائه، لسلامة طوِيَّتهم، وقوة نفسيتهم، وحرصهم جميعهم على مقاومة أسباب الإحباط والابتعاد عنها. وهذه المجتمعات حين يصيبها بعض الإحباط رغما عنها، فإنها تقاومه مقاومة شديدة، وتتغلب عليه بما عندها من مناعة عظيمة تصونها وتقويها.

والأفراد والجماعات في ذلك كالمجتمعات تماما بتمام، قد ينال منها ما يصيبها في صميم بنيتها الاجتماعية إن هي فرطت في تحصين نفسها ضد الإحباط، ولم تعمل على تناول المصل الواقي من جراثيمه.

كيف نتخطى الإحبـاط ؟

ومن هنا تأتي أهمية القيادة ودورها على أي مستوى من المستويات في الابتعاد بالأفراد عن الوقوع بهم في مهاوي الإحباط، انطلاقًا من قول رسول ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»[1] لتسلم لهم الحياة وتهنأ بهم المجتمعات.

ولا يكاد يخلو أحد من هذه المسئولية؛ فالأب في أسرته مطالب أن يبعد عنها أسباب الإحباط، حتى لا يتسرب الوهن إلى بعض أركان الأسرة، فيكون عرضة لاهتزاز الأسرة بأكملها .

ورؤساء الأقسام والمؤسسات وأصحاب الأعمال والإدارات، كل هؤلاء عليهم أن يقوموا بين مرؤوسيهم بنفس مهمة الأب في أسرته، حتى ترتفع درجة الإنتاج المادي أو المعنوي، ويشعر المرء بأنه مكرّم في عمله، عزيز في

(١) رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

مؤسسته، غير ممتهن بين إخوانه، له رأيه الذي يسمع- حتى وإن خالف آراء الآخرين- فيصبح بذلك عضوًا نشطًا فعَّالًا، يعطي أكثر مما يأخذ، ويعمل أكثر مما يقول، ويعين غيره بأكثر مما يعان به.. ويتخلى عن الاتكالية، فلا يلقي الأعباء على غيره، وهو قادر أن يتحمل منها نصيبه الذي يخفف من أعباء الآخرين، أو ربما أزال عنهم أعباءهم، وخلصهم من أكدارهم؛ لأنه مهتم بشئونهم، حريص على مشاركتهم في المحافظة على سلامة المؤسسة التي هو أحد أعضائها، أيًّا كان اسمها.

ومن هنا فإن الإسلام أوجب على كل مكلف أن يهتم بشأن المسلمين، لما لهذا الاهتمام من ترابط في مجتمع ينبغي أن يكون أبناؤه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، ولذا فقد قال رسول الله ﷺ: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»[(١)]، ويزداد هذا الاهتمام كلما ازدادت المسئولية وتعلقت بالأقربين والمحيطين (أب في أسرته.. ناظر في مدرسته.. مدير في شركته.. إلخ) لأن الجميع يشكلون نسقًا اجتماعيًّا ينبض بالحياة، ويشكل الجميع فيه شبكة من العلاقات الاجتماعية نسيجها الآخرون (رؤساء -زملاء - مرؤوسون) وكل فرد في هذه الشبكة الاجتماعية يمارس دوره، ويتأثر بالآخرين ويؤثر فيهم، وإن اختلفت درجة التأثير والتأثر بحسب موقع الشخص في هذا الكيان الاجتماعي، فليس تأثير الرئيس كتأثير المرؤوس، ومن ثمَّ فإن القياديين عليهم دور أكبر وأعظم في إشاعة التأثير الإيجابي، وإزالة الإحباط من طريق الجماعة لتبقى لها قوتها وفاعليتها[(٢)].

ولن يتم شيء من هذا إلا بالتواصل والتفاهم بين الجميع والتعاون على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٧٠).

(٢) انظر: علم النفس ومشكلات الصناعة، ص ٢٢٩ وما بعدها.

لن يتم ذلك إلا إذا حرص جميع الأفراد على بناء الشخصية المتزنة؛ لأن الشخصية المتزنة هي المزهوة بغير كبر، المتواضعة من غير ذلّ، الكريمة من غير إسراف، الجريئة دون تهور، الوقورة من غير تزمت، المتسامحة من غير ضعف، العزيزة أمام الناس، الذليلة أمام الخالق، تريد للآخرين ما تريد لنفسها، وتربأ أن تتحدث بالسوء مع أحد، وتبتعد عن اللغو، وتصبر على البلاء، وتأمر بأمر الله، وتنهى عن نواهيه.

هذه الشخصية هي التي تزن الحياة على أساس التقوى، فتكون أكثر قدرة على مواجهة المواقف الصعبة وتخطي الإحباطات المؤثرة التي تواجهها في هذه الحياة الفانية[١].

وإننا إذ نبسط القول في مجمل هذه العبارة ونفصلها نجد أننا- كمسلمين- إنما نتخطى الإحباطات المتوالية إذا التزمنا بمجموعة من الأسس التي لا يستغني عنها مسلم، إنها:

١- إحسان الظن بالله، فلا يأس ولا قنوط، مادام المؤمن قد اتجه إلى الله وطلب رضاه في العسر واليسر والصحة والمرض والشدة والرخاء.

وهذا يعقوب- عليه السلام- يوصى بنيه: ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[٢]، وهذا إبراهيم- عليه السلام- حين جاءته البشرى على لسان الملائكة وقالوا له: ﴿بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ﴾[٣] رد عليهم قائلا : ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[٤] فإحسان الظن، واليقين بأن الأمور لله يصرفها كيف شاء، يقضي على الإحباط ويزيله.

٢- معرفة حقيقة علاقة الإنسان بالحياة، وأنها تقوم على:

---

(١) الصحة النفسية من الإغريق إلى العصر الحديث، ص٢٦١.

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) الحجر: ٥٥.

(٤) الحجر: ٥٦.

أ - سراء يشكر الله عليها.

ب- وضراء يصبر عليها .

فهو بين نعمة وبلاء وشكر وصبر، وبهذا المزيج تتكون الحياة، ويعرف المسلم سرها، فلا يبطر ولا يضجر.. فمن أين يأتيه الإحباط؟

٣- ليست هناك مشكلة تستعصي على الحل، لأن الزمن جزء من العلاج، وكل شدة إلى فرج، وكل عسر إلى يسر ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١] فاليسر أكثر وأغلب، لأن العسر لا يغلب يسرين.

٤ - الإيمان بأن الحياة خير وشر، فليس فيها خير محض، وليس فيها شر محض، فما من شر إلا ومعه أو بعده خير، وحديث حذيفة في الفتنة دليل حي على واقع الحياة يكشف سرها للمسلمين، ليعرفوه، وإذا عرف المسلم حقيقة الحياة فمن أين يأتيه الإحباط؟

٥- الحياة قائمة على نظام التدافع الكوني والشرعي، الذي يجعل الحياة تنتقل من هزيمة إلى نصر ومن شر إلى خير، ومن خير إلى نفع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[٢]، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[٣].

وقد غلبت فارسا الروم، ثم غلبت الروم فارسا، ثم غلب المسلمون فارسا والروم معا في خمس عشرة سنة فقط.

وإن التدافع يكون بين الأفراد والدول والأمم والحضارات، وهو سنة ثابتة من سنن الله في كونه وخلقه.

وهذا الذي قدمنا كفيل بالقضاء على كل لون من ألوان الإحباط السياسي

(١) الشرح: ٥، ٦.
(٢) البقرة: ٢٥١.
(٣) الروم: ٢، ٣.

أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو غير ذلك من أنواع الإحباطات التي فتكت بشعوب وأمم غير مسلمة على مدار التاريخ.

استشراف المستقبل:

الحركة التطلعية في الإنسان نحو الأفضل والأحسن تكاد تكون مرتكزة في طبيعته لا تفارقه. فما من إنسان على وجه الأرض إلا وله آمال يريد أن يحققها، وأحلام يرجو أن يراها واقعًا، وكل فرد إنما يتطلع للمستقبل من خلال نظرته التي ينظر بها في الحياة، تلك التي تصطبغ بالصبغة الفكرية العقلية، أو الشعورية الوجدانية، أو الحسية المادية، ولذلك تختلف آمال الناس وتطلعاتهم لأنفسهم ولأمتهم، لكن هذه الآمال لا تنعدم ولا تتوقف إلا إذا توقفت الحياة ذاتها، بل إننا نقول: إن هذه الطبيعة ليست قاصرة على الإنسان، بل تتعداه إلى بعض الكائنات الحية الأخرى، فالنمل يدخر في فصول السنة ما يقتات به في فصل الشتاء، حين تنعدم حركته.

الأمر إذًا أوسع مما يظن البعض.. وتفاوت الناس في تطلعاتهم لمستقبلهم مرده إلى وجود بعض الترسبات التي رانت على بعض البيئات وظهرت في العادات والتقاليد، واتخذت لنفسها صورًا متعددة من الاتكالية والتراخي في العمل والكسل، وضعف الهمة، وفتور العزيمة، وغير ذلك من مظاهر الضعف التي تجعل الإنسان ذاهلاً عن حاضره وما يدور حوله، فضلاً عن ذهوله الجزئي أو الكلي عن المستقبل وما يدبر فيه.

والإسلام منذ مجيئه يوجه الناس إلى الاهتمام بالمستقبل اهتمامًا كاملاً لا يقل عن اهتمامه بالحاضر، بل قد يزيد، إن الدين قد ربط اليوم الآخر- وهو مستقبل وراء هذه الحياة الدنيا- بالإيمان بالله، فقد جاء في كتاب الله ﴿.. وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ..﴾ [1] ومعنى ذلك أن المسلم يهتم بالمستقبل ابتداء

(١) البقرة: ١٧٧.

من لحظته الحاضرة إلى يوم القيامة، وأنه مستعد لهذا المستقبل دائمًا، فهو في حياته الآنية يخطط لغده في ضوء معرفته بما يدور حوله من الأعداء المحيطين، والأصدقاء القريبين، والإمكانات المتاحة، والقوة الممكنة، لا تستخفه الأفراح والانتصارات، ولا تستذله الأتراح والانكسارات، بل هو- دائما- متطلع للأفضل، ساع نحو الأحسن، مشمر عن ساقه في سبيل الصلاح والإصلاح له ولأمته وللبشر أجمعين.

والمسلم ينظر للمستقبل بعين تفاؤلية مع شدة الظلام، وكثرة المنغصات، وانتشار المصائب، وهذا أمر بيَّنه الشرع عندما طالب المسلمين بحسن الظن بالله تعالى، والنبي ﷺ كان يُعجبه أن يسمع في كل صباح «يا نجيح»، واليُسر يأتي بعد العُسر، والحق دائم والباطل طارئ!! بهذه الروح التفاؤلية، والمعرفة النبوية الكريمة، والاستقراء لتاريخ الصراع البشري بين الحق والباطل؛ كان من الممكن الوصول إلى النتائج لصالح الحق الإلهي.

وهاك صور من الاستشراف المستقبلي المبني على المعرفة النبوية والاستقراء للسنن الكونية والشرعية، يقول النبي ﷺ لأم حرام بنت ملحان في المدينة والقبائل العربية وقريش متربصون بهم: «**قوم من أمتي يركبون ثبج هذا البحر يفتحون صقلية**»[١]، ويقول ﷺ للآخر الذي جاء شاكيًا شدة البلاء وهم في مكة يُعذبون «**والله ليُتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه**»[٢].

صحيح أن العلم النبوي الغيبي له أثره في تحديد الزمان والمكان، إلا أن مُطلق الانتصار مُهيأ لكل من يتعرف على سنن الحياة الكونية والبشرية؛ قال الله تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ ﴾[٣]، وقال سبحانه ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ

(١) رواه البخاري (٢٧٨٨)، ومسلم (١٩١٢).
(٢) رواه البخاري (٣٦١٢).
(٣) المجادلة: ٢١.

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾(١).

وهكذا من يعرف الماضي والحاضر يستطيع توقع المستقبل!! وهنا نقول: لا بد من توقع المستقبل، وفهم آثار التغيير الكامنة بعيدة المدى، سواء كانت إيجابية أو سلبية قبل وقوعها، وقد جاء الإسلام ليقلع من قاموس العرب «البأس إحدى الراحتين» وبشائر الخير ظهرت بدايات الصحوة الإسلامية في أواخر الألفية الثانية، وستنمو وتترعرع وتكبر في الألفية الثالثة، قال أحدهم للشيخ: لقد انتشرت البدع. فقال: قد أذن الله بزوالها.

والناظر يجد أنه لا تعارض بين الشريعة الإسلامية وأدوات الاستشراف، فعلم الاستشراف لا يقول بالحتمية للأحداث المتوقعة، فقد لا تقع كليًّا أو جزئيًّا، أما وقوع المستقبل الحتمي فهو ما أخبرنا القرآن والسنة أنه سيقع في المستقبل: «**صنفان من أهل النار لم أرهما في حياتي ..**» (٢) وعندنا في مفاهيمنا الرجل «الملهم» الذي يعرف كيف يتعامل مع الماضي والحاضر لرسم المستقبل مثل عمر بن الخطاب.

وسيرة رسول الله ﷺ تدل على اهتمامه بالمستقبل، فقد كانت بيعتا العقبة خطوتين هامتين في رسم مستقبل الإسلام، وكان إخبار سراقة بأن له سواري كسرى استشرافاً منه لمستقبل الدعوة، وكانت الغزوات والفتوح تثبيتًا للحاضر ودعمًا للمستقبل، وغير ذلك من الحوادث الكثيرة التي تدل على الاهتمام بالمستقبل والاستعداد له، والعمل على أن تكون كفة المسلمين فيه راجحة لا مرجوحة، ومؤثرة لا متأثرة.

وكانت المسيرة في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم تسير على نفس الوتيرة، وإلا لما امتد الإسلام شرقًا وغربًا، وثبتت أركانه، وأقام بناءه في

---

(١) النور: ٥٥.

(٢) رواه مسلم (٢١٢٨).

الجزيرة وغيرها من البلاد على أسس من العدالة التي حقق الناس في ظلها الرخاء والأمن.

عقبات وتحديات:

والمسلمون اليوم مطالبون باستشراف المستقبل، واستكناه ما يطويه في جوانبه، ويحمله في حناياه بالنسبة لدينهم، وبالنسبة لأرضهم وبلادهم، وثرواتهم وممتلكاتهم، حيث تواجههم تحديات كثيرة، منها في الجانب السياسي وجود بعض الأنظمة غير الديمقراطية في بعض البلاد، ومنها صعوبة التوافق بين السلطة التنفيذية وبقية السلطات، بحيث لا يحدث بينهم احتكاك مزعج أو ارتطام مقلق.

ومنها في الجانب الاقتصادي الاستنزاف المستمر من الجانب الغربي لثروات العالم العربي ومقدراته، ووضع العراقيل أمام ظهور قوى اقتصادية جديدة وتفشي البطالة، وإسقاط المقاطعة أو محاولة ذلك، وإغلاق الجمارك، وفتح الباب على مصراعيه أمام السلع والبضائع الأجنبية، التي تأتي ومعها بعض القيم والتصورات التي تهدد الهوية الإسلامية في كثير من البلاد، ومع تهديد الهوية يكون التحدي الاجتماعي المتمثل في تفكك الأسرة، والإكثار من حالات الطلاق، وانتشار المخدرات، وتواري القيم، ويضاف إلى هذه الجوانب كلها الجانب الثقافي الذي يهدف إلى الغزو الفكري، وإلى إحلال القيم والتصورات الغربية محل القيم والتصورات الإسلامية.

وإذا كانت هذه التحديات تواجه المسلمين في حياتهم، وتخترق عليهم ديارهم وبلادهم، فإن هناك تحديًا أكبر موجهًا نحو الإسلام ذاته، إذ إن المحاولات للنيل من الدين، كانت في الماضي تقتصر على فروع الدين، وتركز على مهاجمة اللغة العربية (وعاء الدين) بالسخرية من القائمين على أمرها والحط من قيمتهم، ومهاجمة مفرداتها، وطريقة كتابتها، وإدخال اللغات

الأجنبية إلى جوارها، ثم إلى منافستها والتغلب عليها في ديارها وبين مثقفيها- الذين كان منهم دعاة بارزون إلى التغريب كطه حسين وغيره- ممن سار على طريقته، واتبع سبيله.

كان هذا في الماضي وما يزال باقيًا مع اتساع دائرة التحدي للدين قبل سنوات خلت، حيث هوجمت أعمدة الدين ذاتها ممثلة في الهجوم على الرسول ﷺ وعلى القرآن بالتأويل والتحريف، بل وصل الأمر إلى إطلاق ما لا يليق من الألفاظ على الله- سبحانه وتعالى- ورسم النبي ﷺ بصور مستنكرة، والهجوم على الإسلام يصحبه ويسبقه ويتبعه هجوم على الإسلاميين لمنع صوتهم، وإعلان صمتهم، ورضوخهم للأمر الواقع الذي انبطحت فيه الأمة أمام المد اليهودي الصهيوني، الذي لا يقبل أن يرى رأسًا يرتفع، أو معارضًا يرفض، أو إنسانًا يقول: لا للتطبيع، وما يتبعه من ضياع للمقدسات، ولا أحد يقول ذلك- في الوقت الحالي- غير الإسلاميين، وبعض المواطنين الشرفاء.

أمام هذه التحديات وغيرها مما يواجه الإسلام والمسلمين كيف يكون استشراف المستقبل؟ وكيف يمكن الخروج من هذا النفق المظلم؟ وكيف نتغلب على المشكلات والتحديات؟ هذا ما نطرحه أمام الباحثين والمفكرين والحكماء في الأمة ليحزموا أمرهم، وليعملوا على إظهار دينهم على الدين كله، وليواجهوا التعدي بالاستعداد والعمل والفكر.



٢٩
الصبر عند المصيبة

جاء الإسلام نسيجًا وحده، خاتمة للديانات ومهيمنًا على ما سبقه منها.

جاء منهجًا لحياة الإنسان، يغطي جميع جوانبها المادية والاجتماعية والفكرية والعاطفية.

منهجًا يوفر للإنسان حاجاته المادية وينظمها في إطارها الصحيح، بعيدًا عن الحيوانية والهمجية.

منهجًا يبين للإنسان كيف يربط علاقاته وينظمها مع الأفراد الأقارب والأباعد، ومع المجتمع بكافة مستوياته- حاكمًا ومحكومًا.

منهجًا يبين للإنسان موقعه في هذا الوجود، ويحسم في الجواب على الأسئلة التي قد تحير البعض. وبموجب ذلك الجواب عرف الإنسان موقعه الصحيح ضمن الكائنات الأخرى، وفوق ذلك عرف الغرض من وجوده وكيف وجد، وعرف نهايته وإلى أين يصير.

منهجًا يبين له كيف ولماذا يحب ويبغض؟ وكيف يرضى ويفرح ولماذا؟ وكيف يجزع ويحزن ولماذا؟

إلى غير ذلك من الإجابات الكافية الشافية التي تغطي بجدارة كافة الأسئلة التي حيَّرت الفلاسفة، وتفننوا في الإجابة عليها، وخبطوا خبط عشواء، فضلوا وأضلوا.

نعم.. لقد خلق الله الإنسان وأنعم عليه بنعم لا تعد ولا تحصى: فاستخلفه وسخر له ما في السموات وما في الأرض، وذلك ليصير إلى عبادته لا غير، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

---

(١) الذاريات: ٥٦.

إن البداية الصحيحة للإنسان أن يعرف بحق موقعه في هذا الوجود، وما يراد منه فيه، وأن يعرف كيف ينتهي وجوده، وإلى أي مصير يصير!

بعبارة أخرى، ينبغي أن يعرف خالقه، ولماذا خلقه، وأنه يتوفاه، إلى نعيم أو إلى عذاب، إلى جنة أو نار.

تلك الأسئلة وغيرها كثير تؤسس لقضية كبرى، هي التي ينبني عليها كل سلوك للإنسان وتوجهه في الطريق الصحيح، تلك القضية هي عقيدة الإنسان التي يَدِين الله بها ويلقاه عليها، العقيدة التي إذا سلمت وخلصت سعد الإنسان سعادة أبدية، واطمأن في وجوده وعاش عيشة راضية.

إن على المسلم أن يعتقد أن الله- تبارك وتعالى- المالك القادر، كما خلق الإنسان خلق الموت والحياة ليمتحنه باتباع منهجه في الوجود: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾(١) .

على المسلم أن يتعامل مع ظاهرة الموت تعاملاً إيجابيًّا يرضي الله- سبحانه وتعالى.. تعاملاً ينطلق من إسلام الأمر كله لله، ومن الإيمان بقضاء الله والرضا به.

لقد جعل الله الموت طرفًا في ثنائية تشمل كل ما في الكون، فلا شيء إلا وينتهي إلى نهاية، قال تعالى:

﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(٢).

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (٣).

وبعد أن شمل القرآن كل شيء بالفناء، نجد فيه تخصيصًا للإنسان يؤكد فناءه، في غير ما آية، قال تعالى:

---

(١) الملك: ١، ٢.

(٢) القصص: ٨٨

(٣) الرحمن: ٢٦، ٢٧.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾(١).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾(٢).

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾(٣).

﴿ قُلْ يَتَوَفَّـٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾(٤).

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾(٥).

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾(٦).

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ﴾(٧).

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾(٨).

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾(٩).

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾(١٠).

﴿ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(١١).

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾(١٢).

وبعد هذا التأكيد المتواتر في القرآن أكثر من هذا العدد يعبر القرآن عن

---

(١) العنكبوت: ٥٧.
(٢) آل عمران: ١٨٥.
(٣) الأنبياء: ٣٥.
(٤) السجدة: ١١.
(٥) الأنعام: ٦١.
(٦) ق: ١٩.
(٧) الجمعة: ٨.
(٨) الزمر: ٣٠.
(٩) المؤمنون: ١٥.
(١٠) الواقعة: ٨٣-٨٥.
(١١) آل عمران: ١٦٨.
(١٢) النساء: ٧٨.

ذلك بعبارة أخرى هي الأجل، فيقول جل شأنه:

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1].

﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ﴾[2].

﴿ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾[3].

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾[4].

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[5].

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ﴾[6].

ولقد توعد الله تعالى في كتابه العزيز من لا يؤمن بالموت، ولا ينقاد لقضاء الله وقدره، ولا يعمل لما بعد الموت، فيتقي ما حرم الله ويمتثل ما أمر الله به، فيحاسب عند الموت بذلك، قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[7].

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾[8].

هكذا يتضح بجلاء أن الموت حقيقة ثابتة ومصير محتوم، وقضاء لا محيد عنه، هي سنة من سنن الله تعالى في خلقه، وناموس من نواميس كونه، وقد عرفت هذه الحقيقة منذ وجد الإنسان فمات، ولذلك نجد تراثًا هائلاً يتحدث عن الموت أحاديث متباينة ومتنوعة، كل حسب فلسفته وإطاره المرجعي الذي ينطلق منه.

---

(١) نوح: ٤.
(٢) العنكبوت: ٥.
(٣) الإسراء: ٩٩.
(٤) المنافقون: ١١.
(٥) الأعراف: ٣٤.
(٦) آل عمران: ١٤٥.
(٧) المؤمنون: ١١٥.
(٨) الشعراء: ٢٠٥، ٢٠٦.

وهذه نماذج من أقوال الحكماء والشعراء عن الموت:

يقول أمية بن أبي الصلت:

ما رغبة النفس في الحياة وإن تحيـا قليـلا فالمـوت لاحقهـا
يوشـك مـن فـر من منيتـه في بعض غراتـه يـوافقهـا
من لم يمت عبطة يمت هرمـا للموت كأس والمـرء ذائقهـا

وقال طرفة:

أرى العيش كنـزا ناقصـا كـل ليلـة وما تنقص الأيـام والدهـر ينفـد
متى ما يشـاء يومـا يقـده لحتفـه ومـن يـك في حبـل المنيـة ينقـد

وقال أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أبنائه:

وإذا المنيـة أنشبت أظفـارهـا ألفيت كـل تميمـة لا تنفـع

حقيقة الدنيا:

عرف أسلافنا- رضوان الله عليهم- حقيقة الدنيا، فانصرفت النفوس عنها، فقد علموا أن نعيمها زائل، وترفها ومتاعها وزخارفها، إنما هي لعبة، وامتحان يمتحن الله تعالى به عباده، ولذلك لا ينخدع بها إلا الكافرون، قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾[1] .

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2] .

ولذلك نجد الكافرين حريصين على الدنيا والبقاء في ملاذها الخداعة، قال تعالى:

﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾[3] .

---

(١) البقرة: ٢١٢ .
(٢) آل عمران: ١٨٥ .
(٣) البقرة: ٩٦ .

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[(١)].

وروي عن ابن مسعود- رضي الله عنه: لكل فرحة ترحة، وما ملئ بيت فرحًا إلا ملئ ترحًا.

وقالت هند بنت النعمان بن المنذر: لقد رأيتنا ونحن من أعز الناس وأشدهم ملكًا، ثم لم تغب الشمس حتى رأيتنا ونحن من أقلِّ الناس، وأنه حق على الله ألا يملأ دارًا حبرة إلا ملأها عبرة.

ومن هنا ينبغي للعاقل أن يتَّعظ بالموت، وألا تغره الدنيا، كما عليه أن يكثر من ذكر الموت ليستعد له، فقد روي عن ابن عمر- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، يَعْنِي الْمَوْتَ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ فِي كَثِيرٍ إِلَّا قَلَّلَهُ، وَلَا قَلِيلٍ إِلَّا جَزَّأَهُ**»[(٢)].

قال في فيض القدير: أي نغصوا بذكره لذاتكم حتى ينقطع ركونكم إليها، فتقبلوا على الله.

قال أهل العلم: هذا الحديث كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإنه من ذكر الموت حقيقة ذِكْرِه نغص لذاته الحاضرة، ومنعه من تمنيها آجلاً، وزهده فيما كان حقيقة منها يؤمل، لكن النفوس الراكدة والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعظ وتزويق الإرشاد.

وقال اللفاف: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء:

أ – تعجيل التوبة. ب – قناعة القلب. جـ – نشاط العبادة.

الابتلاء سنة من سنن الله تعالى:

لقد خلق الله تعالى الإنسان واستخلفه في الأرض وفق ذلك المنهج الرباني وجعل الحياة والموت ليبلوه في عمله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ

---

(١) البقرة: ٩٦.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦/ ٥٦) (٥٧٨٠).

﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[١].

وامتحنه في الدنيا وما فيها من نعم، ومن نقم، وبما فيها من مغريات ومن أكدار، وورد ذلك في غير ما آية، قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢].

وهكذا فإن الدنيا سجن للمؤمن، وكل ما يلقاه فيها يثاب عليه يوم القيامة إذا كان صابرًا محتسبًا، وقد وردت أحاديث في الصبر على بلاء الدنيا منها:

ما روى مسلم عن صهيب- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[٣] وقد ورد كثير غير هذا في الموضوع.

فيا أيها المسلم قد عرفت أن الدنيا دار غرور، ودار ابتلاء، فإذا تعرضت لمكروه فاصبر، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[٤].

وقد خلق الله مقابل هذا البلاء دواءً نافعًا ما مثله دواء، وحث عليه في كتابه العزيز حثًّا، وجعل جزيل الثواب لمن تحلى به، ألا وهو **الصبر**.

تعريف الصبر:

لغة: هو الحبس، يقال: قُتِلَ فلانٌ صبرًا، أي أُمْسِكَ وَحُبِسَ حتى أُقْتِلَ، وصبرتُ نفسي على الشيء: حبستُها عليه.

واصطلاحا: هو حبس النفس على مكروهها في كل الأحوال.

---

(١) الملك: ٢.

(٢) الأعراف: ١٦٨.

(٣) رواه مسلم (٢٩٩٩).

(٤) البقرة: ٢١٦.

قال أبو حيان- رحمه الله: وهو من خواص الإنسان؛ لأنه يتعارض فيه العقل والشهوة.

وهو على أنواع:

١- بدني فعلي: كتعاطي الأعمال الشاقة، والصبر على ما يصيب الجسم من أذى.

٢- نفسي: مثل قمع النفس عن مشتهيات الطبع، ويشمل ذلك:

أ- العفة: عن شهوتي البطن والفرج.

ب- الصبر: وهو الذي يطلق عند المصيبة، وعكسه الجزع.

جـ- ضبط النفس: وهو الذي يقع عند الغنى وعكسه البطر.

د- الشجاعة: وهي التي تقع في الحرب، وعكسها الجبن.

هـ- سعة الصدر: وهي عند النوائب المضجرة، وعكسها الضجر.

و- الكتمان: وهو إخفاء الكلام، وعكسه الإعلان.

ز- الزهد: وهو في فضول الدنيا، وعكسه الحرص.

ح- القناعة: وهي الرضا بيسير المال، وعكسه الشره.

وقد جمع الله هذه الأقسام كلها وسميت صبرًا، فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾[1] **البأساء**: أي المصيبة. **والضراء**: أي الفقر. **وحين البأس**: أي المحاربة.

قال: فليس الصبر إلا أن يجد الإنسان ألم المكروه، ثم لا يكره ذلك، فهو حمل النفس على ترك إظهار الجزع، وإن ظهر دمع عين أو تغير لون.

من أقوال السلف في الصبر:

قال الخوَّاص: الصبر: الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.

(١) البقرة: ١٧٧ .

وقال ذو النون المصري: الصبر: الاستعانة بالله تعالى.

وقال الأستاذ أبو علي: الصبر: حده ألا تعترض على التقدير.

وقال الطبري: الصبر منع النفس محابّها وكفها عن هواها، ولذلك قيل لمن لم يجزع: صابر، لكفه نفسه، وقيل لرمضان: شهر الصبر، لكف الصائم نفسه عن المطعم والمشرب.

الصبر عند المصيبة:

تعريف المصيبة: المصيبة اسم فاعل من أصابت، وصار لها اختصاص بالشيء المكروه، وصارت كناية عن الداهية، فجرت مجرى الأسماء.

اصطلاحا: لقد عرفت تعريفات اصطلاحية متقاربة:

فقال القرطبي: كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، والمصيبة: النكبة، ينكبها الإنسان وإن صغرت، وتستعمل في الشر.

وقال أبو حيان: كل ما آذى المؤمن في نفس أو مال أو أهل، صَغُرَت أو كبرت، حتى انطفاء المصباح لمن يحتاجه سمي: مصيبة.

تقادم المصيبة لا يزيل أجر الاسترجاع عليها:

روى ابن كثير عن الإمام أحمد، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ وَلا مَسْلِمَةٍ يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ فَيَذْكُرُهَا وَإِنْ طَالَ عَهْدُهَا** - أو قَدِمَ عَهْدُهَا - **فَيُحْدِثُ لِذَلِكَ اسْتِرْجَاعاً إِلا جَدَّدَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ فَأَعْطَاهُ مِثْلَ أَجْرِهَا يَوْمَ أُصِيبَ بِهَا**»[1].

الوقت المختار للصبر عند المصيبة:

ليس كل صبر يجازى صاحبه جزاء الصابرين، وإنما الصبر المقصود بالجزاء هو الصبر عندما يسمع الإنسان أو يشاهد ما يدعو إلى الجزع، فيمسك نفسه ويصبر، وهو ما عبَّر عنه رسول الله ﷺ بالصدمة الأولى، فالأجر

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠١).

العظيم إنما هو على الصبر الشاق على النفس عند أول هجوم للمصيبة على النفس، وعند تجرع مرارتها.

أما إذا أدبرت حرارة المصيبة وبعُدت، وتلاشى التفكير فيها، فإن ذلك لا يعد صبرًا مأجورًا صاحبه، بل يعد سلوانًا.

ففي البخاري عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ. فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**»(١). ولفظ مسلم: «**تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا**»(٢).

وفي رواية: أنا أصبر، أنا أصبر.

قال ابن حجر: أي: خافي غضب الله إن لم تصبري، ولا تجزعي ليحصل لك الثواب. والمعنى: إذا وقع الثبات أول شيء يهجم على القلب من مقتضيات الجزع، فذلك هو الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر.

وأصل الصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله، فاستعير للمصيبة الواردة على القلب.

ونقل عن الخطابي قوله: الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو.

فالمرء مأجور على حسن تثبته وجميل صبره، فلا تجتمع عليه مصيبتان: مصيبة الهلاك، وفقد الأجر.

وهكذا فالصبر المطلوب المبشر عليه بالصلاة والرحمة، قد حصره ﷺ في الصبر عند أول لحظة من تفاعل الإنسان مع نبأ المصيبة.

---

(١) رواه البخاري (١٢٨٣).

(٢) رواه مسلم (٩٢٦).

جزاء الصبر عند المصيبة:

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[١] .

وإضافة إلى ما سلف من درجات عالية يثيب بها الله الصابرين، فإن لهذه الآية دلالة خاصة؛ حيث جعلها الله- كما يقول القرطبي- ملجأ للمصابين وعصمة للممتحنين، وذلك لما فيها من المعاني السامية المباركة مثل:

١- الإقرار بالعبودية والملك لله، وهو التسليم التام لأمر الله والرضا بقدره، والصبر على أداء فرائضه.

٢- الإقرار بمقتضيات العقيدة الصحيحة.

وجزاء ذلك عند الله كثير، وهو:

أ- الصلاة من الله.

ب- الرحمة منه.

جـ- الاهتداء.

وفي الصحيح أن عمر- رضي الله عنه- قال: نعم العدلان، ونعم العلاوة[٢]. فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة الاهتداء.

وقد روى الألوسي عن الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس- رضي الله عنهما- مرفوعا «**مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ، وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ**»[٣].

وروى مسلم عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي**

(١) البقرة: ١٥٥- ١٥٧.

(٢) رواه البخاري معلقا قبل حديث (١٣٠٢) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٢٥٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٧٨) .

في مِصيُبتِي، وأخلفْ لي خيرًا منها، إلا أخلفَ الله لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»[١].

قالوا: إما بالخلف، كما وقع لأم سلمة، وإما بالأجر الجزيل، وإما بهما معها.

نماذج من الصابرين:

وإليك نموذجا رائعا في الصبر، ودرسا عجيبا، ينبغي أن يتسلى به عموم المصابين، ولاسيما الأمهات والآباء.

فقد ورد في صحيح البخاري عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: اشْتَكَى ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَمَاتَ، وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا، وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ البَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ كَيْفَ الغُلاَمُ، قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ أَخْبرَ النَّبِيَّ ﷺ بِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا»**[٢].

فانظر مستوى هذه الصحابية الفاضلة، وهي أم سليم المعروفة بجهادها وبلائها، وإليك أمثلة:

- مستوى الصبر عن الولد، حيث وارته وسجته وحدها.
- كتمانها للأمر عن زوجها حتى ينقضي الليل ويأتي النهار.
- تهيئتها الطعام لزوجها.
- مداعبتها له وتعريض نفسها له حتى جامعها، وكأن أمرًا لم يحدث.

وهذا الولد ليس كبقية الأولاد، فقد كان له الشرف كل الشرف والحظوة، حيث إن النبي ﷺ كناه بأبي عمير، وكان ﷺ يمازحه، فيقول له: **«يَا أَبَا عُمَيْرٍ،**

(١) رواه مسلم (٩١٨).

(٢) رواه البخاري (١٣٠١).

مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»[١].

فانظر معي كيف ستكون درجة حب هذا الولد إلى أهله، ومع ذلك ارتقت أم سليم إلى هذا المستوى العالي.

وأول نتائج ذلك دعوة النبي ﷺ لهما: «**لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما**».

قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

أيها المصاب عليك أن تصبر، وأن تحتسب عند الله مصيبتك، وأن تحمده على نعمة الدفع التي لا يفي عقل بحصرها، وأنك بقيت بعد مَن أصبتَ بموته، فتحمد الله على نعمة التفاوت، فتدعو له، وتستعد أنت أكثر فأكثر للموت بالتزيد من الأعمال الصالحة.

وإياك وأفعال الجاهلية، من نياحة وما يتعلق بها، فقد قال ﷺ: «**مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**»[٢]، وقال ﷺ: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**»[٣]، وقال ﷺ: **لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[٤].

(١) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).
(٢) رواه البخاري (١٢٩١).
(٣) رواه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧).
(٤) رواه البخاري (١٢٩٤).



سمات الشباب:

إذا وردت كلمة «الشباب» في الذهن حملت معها معاني القوة والجرأة، التي قد تصل إلى التهور والاعتزاز بالنفس الذي قد لا يقبل صاحبه نصائح الآخرين، والثقة التي لا تحدها حدود، مما يجعلها تختلط مع الخيال أحيانًا، وكل تلك الصفات هي سمات مرحلة الشباب التي يحنُّ الكبار لذكراها، ويأمل الصغار ويتعجلون في الوصول إليها، وإذا تحلى الكبار بالحكمة ورزانة العقل وحسن التصرف في الأمور بخبرتهم التي اكتسبوها على مر الزمان، فأغناهم ذلك عن شيء كثير مما إليه يحنون، فإن الصغار الذين هم دون مرحلة الشباب لا يملكون شيئًا من ذلك؛ ولذا يتعجلون، ويقلدون غيرهم ممن هم أكبر سناً (الشباب).

ومن هنا فإن الواقع يقرر أن الشباب يطبعون الجيل الذي يخلفهم بطابعهم، ويؤثرون فيه بأعمالهم وأقوالهم تأثيراً بليغاً، قد تخفف من حدته أحيانا- وفي بعض الحالات- تجارب الكبار وتوجيهاتهم التي يلاحقون بها صغارهم، فإن كان الشباب صالحا- في معظمه- سَهُلَ على الجيل الذي يليه أن يسير في نفس الطريق، وأن يشب حافظاً لقوته من أن ينسرب في مخادع الشهوات أو مجالس المسكرات والمخدرات، وإن كان الشباب غير ذلك فإن البلاء الذي يحيق بالجيل الذي يليه يكون أعظم وأخطر وأعم؛ لأن الفساد يتستر في أغلفة لا يبحث خلفها المصلحون، وقد لا يعرفها المرشدون فتظل كامنة مستترة تنخر في الأخلاق، ثم إن الشاب أو الفتاة يباهي أمام الأقران، وربما أمام من هم أصغر منه سناً بما فعل وما ارتكب، إظهاراً منه

للبطولة، وتعجلاً لمظاهر الرجولة.

ولكنه -أبداً- لا يفعل ذلك أمام الكبار ولا يتحدث به أمامهم، لإدراكه أن هذا لا يرضيهم ولا يقرونه عليه، وأن أبسط ما يناله منهم هو اللوم والتقريع، من هنا تنسرب انحرافات الشباب القولية وحتى الفعلية في سراديب السرية، فلا يشعر بها الكبار، وإن شعر بها بعض الصغار.

شيوع الإثارة الجنسية:

وهذا يضاعف مسئولية التربويين الذين ينبغي عليهم أن يبذلوا نشاطاً كبيراً مع الشباب، وأن يحسنوا توجيهه، وأن يباعدوا بينه وبين الانحرافات التي يتعمد الآخرون أن يضعوها له، وأن يزينوها أمامه «عن طريق وسائل الإعلام، ودور النشر، والمسرح، والسينما، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية، وعن طريق كل عميل خائن وكاتب مأجور»[١].

وقد عمل الأعداء على إغراق الشباب في الفساد، حتى «لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإن تبوأ المراكز ففي سبيل الشهوات..».. هكذا يقول القس زويمر كبير المبشرين عن ثمرة جهود إخوانه المبشرين في البلاد الإسلامية، حتى صارت جهود كثيرة تسعى في كل دولة إسلامية لإثارة الشهوات أمام الشباب.

وقد عبر عن ذلك واحد من الشباب فقال: «إذا ذهبت في السيارة نظرت يميناً فإذا أنا بامرأة متبرجة متزينة.. وأدخل البيت وأجلس مع أهلي وإذا بفيلم فاضح يعرض صوراً عارية على شاشة التلفزيون.. أجلس في داري وأقرأ الجرائد، وإذا ببصري يقع على ما يثير النفوس ويهيج الشهوات.. أقرأ المجلات وإذا بالقصص والأخبار المثيرة تثير كوامن النفس الأمارة..»[٢].

---

(١) دور الشباب في حمل رسالة الإسلام، لعبدالله ناصح علوان، ص٢١.

(٢) العفة ومنهج الاستعفاف، للعقيلي، ص١١.

وكذلك عبرت إحداهن عن ذلك فقالت: «إني أفكر في الانتحار في كل دقيقة، بل في كل ثانية؛ لأنه لا تمضي ساعة واحدة دون أن أشعر بالعاطفة الجنسية الجامحة تخترق أحشائي كما يخترق الرصاص جسم الإنسان ويقتله، وكلما شاهدت فيلماً عاطفياً أو قرأت قصة غرامية تثور عاطفتي وغرائزي»[١].

نموذج واقعي:

أليست هذه الإثارة المتعمدة والمستمرة للشهوات، ثم ما يتبعها من إحباطات عند الشاب أو الفتاة، مع غياب التربية الصحيحة والرقابة الأسرية، وإعطاء الشباب كثيرًا من الحرية والسهر وربما التغيب عن البيت من غير أن يسأل أحد عن الغائب لم غاب وأين غاب؟ ولا عن المتأخر خارج البيت أين كان ومع من؟ أليس هذا القصور التربوي والأسري وراء ما نطالعه في الصحف كل يوم من جرائم أخلاقية تتصل بهتك الأعراض، وإدمان المخدرات؟

أليس سيل الجرائم الذي لا يتوقف وراءه هذه المثيرات الدافعة للانحراف؟

وإلا ما الذي يجعل فتاة في سن الرابعة عشرة تقبل أن تنحرف وتمارس الفاحشة راضية مختارة؟

وإدارة العلاقات العامة بوزارة الداخلية تستحق الشكر على مناشدتها الآباء والأمهات أن يراقبوا أبناءهم وبناتهم، وليتها عممت هذه المناشدة، لتصل إلى أجهزة الإعلام التي تثير في الشباب كوامن الغريزة، التي تجمح بهم فتخرجهم عن حدود الدين والأخلاق والقيم، وهذا يحقق ما هدف إليه اليهود في بروتوكولاتهم؛ إذ قالوا: «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل

(١) المصدر السابق، ص٥٣.

مكان فتسهل سيطرتنا، إن فرويد منا سيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكيلا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية، وعندئذ تنهار أخلاقه»[١].

وهذا ما يحدث في كثير من الأفلام والمسلسلات وأفلام الفيديو، وبعض العروض المسرحية، وعروض الأزياء، ومسابقات الجمال التي صارت تقام في بعض البلاد الإسلامية، إلى جانب شيوع السفور والتبرج والخضوع في القول، والتكسر في المشية، والتخنث في الحركة، وكل هذا معروض أمام الشباب الذي تلهبه الشهوات بسياطها، وتجذبه النزوات نحوها، ولا يحول بينه وبينها وازع من ضمير أو رقابة من أسرة، فغاب جانب التوجيه والإرشاد، وحضرت إلى جانبه وزينت الشر له صحبة الأشرار.. فماذا تنتظر منه؟ وماذا تنتظر له؟

لقد آلمني كثيرًا أن أرى بعد صلاة فجر أحد الأيام عند أحد فروع بعض الجمعيات التي تقدم خدماتها أربعًا وعشرين ساعة ستة شبان وفتاتين فوق أربع دراجات نارية، لا تكاد تفرق بين الفتى والفتاة في ملبس ولا مظهر، إلا أن الفتاة ينسدل شعرها قليلاً خلف ظهرها، ثم نزلوا لشراء بعض العصائر، وركبوا دراجاتهم وانطلقوا حتى غيبهم الشارع عن أعين الناظرين، وتساءلت من أين جاؤوا؟ وإلى أين يذهبون؟ وأين آباؤهم وأمهاتهم؟ وأين الرقابة على هؤلاء؟

وإذا كان هذا يحدث في الكويت- رغم العرف والعادة والتقاليد التي ترفض هذه التصرفات المخالفة لدين الله وهدي رسوله ﷺ- فما بالك بما يحدث خارجها على يد المسافرين.

والأمر يدفع للتساؤل: هل هذا هو الشباب الذي ستعتمد عليه دولتنا

---

(١) منهج العفة نقلاً عن تربية الأولاد في الإسلام.

الفتية في بناء مستقبلها؟ وهل هذا هو الشباب الذي ستناط به مسؤولية حماية البلاد ورفعة شأنها؟

ثم أين الرقابة الأسرية على هؤلاء الفتية؟ وهل يعلم ذووهم ما غرضهم؟ وهل يأبهون لاحتمال وقوعهم في الزنى والمحرمات؟

الوقاية والحصانة:

إن انهماك الشباب في الشهوات والمخدرات يجعلهم صيداً سهلاً لقناصة الفساد في الأرض الذين يقطعون خط الرجعة على هؤلاء الشباب؛ فلا يتوبون إلى ربهم، ولا يرجعون عن غيهم.

ومثل هذه التصرفات والسلوكيات التي تجرف الشباب في تيارها، وتضعف مقاومته أمام الأعداء، وتجعله مشلول الإرادة، مسلوب العزيمة، لا يصبر في بأساء، ولا يثبت عند اللقاء- مثل هذه الأحداث تفرض على المجتمع بأسره التصدي لها بالتربية الإسلامية الصحيحة، والرقابة الأسرية القويمة، والتوجيه السديد، والاقتراب من الشباب في غير عنف، ومناقشة مشاكله من غير عتب ولا لوم ولا ذم ولا تسفيه ولا تحقير.

ولقد فعل ذلك رسول الله ﷺ، فقد روى الإمام أحمد بسند جيد عن أبي أمامة- رضي الله عنهأن َغُلاَ ُ َ مًا شَابًّا أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ النَّاسُ فَقَالَ: **«مَهْ»** ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَقِرُّوهُ ادْنُ»**، فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا. قَالَ: **«وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: **«وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: **«وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ؟ أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟»** قَالَ: لَا. قَالَ: «**وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**». فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ،

وَقَالَ: «**اللهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»(١)، فلم يكن شيء أبغض عليه من الزنى.

وقد سدَّ الدِّين كل ثَغرة يمكن أن ينفذ منها شيطان الشهوة، فمنع الخلوة إلا بين المحارم، وأمر بغض البصر، ونادى في الشباب: «**مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(٢).

وحث الشباب على مراقبة الله؛ فقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ- عَزَّ وَجَلَّ- يَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ**»(٣)، وجعل الطاعة لله ورسوله درعاً واقية من سهام الشهوات، فقال في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله: «**وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ**»(٤).

ومعالم المنهج التربوي الإسلامي الحافظ للشباب كثيرة، تشمل الجانب الروحي، والجانب الأخلاقي، والجانب الفكري الثقافي، وكلها تعتمد على ما في القلب من عميق الإيمان الذي يمنع المؤمن من السقوط في الرذيلة، فيفعل كما فعل يوسف الصديق حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾(٥) ويفعل كما فعل مرثد بن أبي مرثد الغنوي حين امتنع عن الحرام، مدركًا أنه يعرض نفسه لخطر القتل.

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجل يقال: له مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وكان رجلاً يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة، قال: وكانت امرأة بغيّ بمكة يقال لها: عناق: وكانت صديقة له في الجاهلية،

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٥٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٦٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٠٩).

(٤) رواه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٤٠٠).

(٥) يوسف: ٣٣.

وأنه واعد رجلاً من أسارى مكة يحمله. قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة. قال: فجاءت عناق، فأبصرت سواد ظلي تحت الحائط. فلما انتهت إليّ، عرفتني، فقالت: مرثد؟ فقلت: مرثد. فقالت: مرحبًا وأهلاً، هلمَّ، فبت عندنا الليلة. قال: فقلت: يا عناق حرم الله الزنا، فقالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم. قال: فتبعني ثمانية، ودخلت الحديقة فانتهيت إلى غار، أو كهف، فدخلت فيه، فجاؤوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا، فظل بولهم على رأسي، فأعماهم الله عني، ثم رجعوا، فرجعتُ إلى صاحبي فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه أحبله، فجعلت أحمله ويعينني، حتى أتيت به المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: أنكح عناقا أنكح عناقا- مرتين- فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد عليَّ شيئًا، حتى نزلت: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً..﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**يَا مَرْثَدُ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوِ مُشْرِكٍ، فَلاَ تَنْكِحْهَا**»[١].

ويعلق الأستاذ يحيى العقيلي في كتابه «العفة ومنهج الاستعفاف» على ذلك بقوله: فهو على الرغم من الشدة والمحنة التي لحقت به.. وعلى الرغم من حبه لتلك المرأة بدليل أنه استأذن رسول الله ﷺ بنكاحها.. وعلى الرغم من أنها هي التي دعته، وكان بإمكانه أن ينجو بنفسه ويستتر عن القوم عندها- إلا أنه قالها بكل صراحة: «يا عناق حرم الله الزنى» ولم يرض حتى باللجوء لبيتها، بل قطع دابر الفتنة والشبهة، وقالها لها قولة المؤمن العفيف.

هذه بعض جوانب تربوية إسلامية لم نقصد إلى إحصائها لأنها كثيرة، وإنما أردنا أن نقول:

إن جوانب التربية الإسلامية مع وجود الرقابة الأسرية الفعالة، وسد

---

(١) رواه الترمذي (٣١٧٧) وحسن الألباني إسناده.

الثغرات التي تأتي منها المفاسد، ودرء هذه المفاسد عن الناس قبل وقوعها وانتشارها، إن هذا كفيل أن يُوجِد نوعًا من الحصانة ضد الانحرافات والشهوات التي تقصم كاهل الشباب الذين هم نصف المجتمع في حاضره وهم كل مستقبله..

فإلى متى يكون التراخي في إهمال الثروة البشرية التي لا تُعَوَّض؟



مسؤوليتنا البيان لا الدفاع:

إن الأبدان لتقشعر، وإن الأفئدة لتضطرب، وإن الأجساد لترتجف، بل إن الآذان تَبْغي لو أنها كانت صماء لا تسمع، وما ذاك إلا لأن عِرْض المصطفى وزوجته قد شكك في طهارتهما ونزاهتهما..

وما ذاك إلا لأن زنديقاً مرتداً تجرأ به الحال أن يتكلم على زوجة خير البرية، والتي اختارها له رب البشرية، فكانت أحب زوجاته إليه، بل أحب الناس إليه..

إن أي مؤمن بالله ورسوله ليستحيي، بل لا يسيغ عنده بأي وجه من الوجوه أن يضع أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- في قفص الاتهام، بعد أن جاء الدفاع عنها، ليس من أحد من البشر، بل من رب البشر كلهم بآيات تتلى على مر الأيام والسنين.

وهي التي ارتضاها زوجة لخير خلقه، وهو الذي دلَّه عليها. فوالله ما غشه ربه، ولا دلس عليه، بل كانت خير زوجة لخير نبي- رضي الله عنها وأرضاها.

وإنما تنحصر مهمة أي فرد من المؤمنين بأن يبين ويوضح مكانة أم المؤمنين في الكتاب والسنة، بل إن أي مؤمن ليتشرف بنسيم ذكرها العطر الشذي، ويفتخر بالتحدث عن مقامها العلي.

وكما قال أحد المادحين لرسول الله ﷺ:

أنا ما مدحت محمدا بقصائدي لكن مدحت قصائـــدي بمحمد

فكل ما ذكر وما يذكر وينشر من فضل عائشة- رضي الله عنها- ليس دفاعاً عنها، بل هو التشرف ببيان فضلها وشرفها ومكانتها؛ فهي والله ليست موضعاً للاتهام حتى نبرئها ونداقع عنها.

وإن فضلها وشرفها العظيم ليجسده ويبينه لنا قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾[1]، وكذلك رسول الله ﷺ لما سُئل عن أحب الناس إليه فإنه قال: «عائشة».

فعن عمرو بن العاص- رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلاَسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: **«عَائِشَةُ»**، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: **«أَبُوهَا»**، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: **«ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ»** فَعَدَّ رِجَالًا[2].

قال الشاعر أبو عمران موسى بن محمد بن عبدالله الواعظ الأندلسي متقمصاً لسان السيدة عائشة- رضي الله عنها- في قولها عن نفسها :

يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ ... فالبَيْتُ بَيْتِي والمَكانُ مَكاني
مَرِضَ النَّبِيُّ وماتَ بينَ تَرَائِبِي ... فالْيَوْم يَوْمي والزَّمانُ زَماني
زَوْجِي رَسولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ ... للهُ زَوَّجني بِهِ وحَبَاني
وأتاه جبريل الأمين بصورتي ... فأحبني المختار حين رآني
وتكلم اللهُ العظيمُ بحُجَّتي ... وبَرَاءَتِي في مُحكمِ القُرآنِ
واللهُ خفَّرَني وعَظَّمَ حُرْمَتي ... وعلى لِسَانِ نبيِّهِ بَرَّاني
والله في القرآن قد لعن الذي ... بعد البراءة بالقبيح رماني
واللهُ وبَّخَ منْ أراد تَنقُّصي ... إفْكاً وسَبَّحَ نفسهُ في شاني

(١) الأحزاب: ٦.
(٢) رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

والله أحصنني بخاتمِ رُسْلِهِ وأذلَّ أهلَ الإفْكِ والبُهتانِ
وسَمِعْتُ وَحيَ الله عِندَ مُحمدٍ من جِبْرَئيلَ ونُورُه يَغْشاني
مَنْ ذا يُفاخِرُني وينْكِرُ صُحبتي ومُحَمَّدٌ في حِجْره رَبَّاني؟
وأنا ابْنَةُ الصِّديقِ صاحبِ أحمدٍ وحَبيبِهِ في السِّرِّ والإعلانِ
نصرَ النبيَّ بمالهِ وفِعاله وخُروجهِ مَعْهُ من الأوطانِ

فالدفاع من الله- عز وجل- ومنا شرف التوضيح والبيان.

لا تحسبوه شراً لكم.. بل هو خير لكم:

نزلت هذه الآية الكريمة من لدن رب السموات والأرض- سبحانه وتعالى- في وقت عصفت فيه بالأمة فتنة هوجاء، تعرضت فيها زوجة الحبيب المصطفى ﷺ لإفك عظيم وبهتان أثيم، تولى كِبرَ نَشْره وإذاعته المنافقون الذين يتربصون بالإسلام وأهله الشر والهلاك، كما هو الحال في وقتنا، مع تبدل في الأشخاص وتغير في الزمان والمكان.

فَعَظُم هذا الأمر على المؤمنين جميعاً، وحسبوه شراً، لكن ما تبين بعد ذلك هو أنه خرج من رحم تلك الفتنة الهوجاء التي آذت النبي ﷺ وأهله، والتي كانت ستسبب شرخاً كبيراً بين المسلمين وخاصةً بين الأوس والخزرج لولا تدخل النبي ﷺ، ومع كل هذا فقد ظهر من بين طياتها خير عظيم، وفوائد جمة، فقد فُضِحَ المنافقون ورُسِّخَتْ في ذلك الوقت المعاني العظيمة من الولاء للنبي ﷺ وزوجاته الطاهرات، والبراء من المنافقين والكاذبين. فهي محنة خرجت من رحمها منحة.

إن الأجواء التي عشناها أخيرًا من جراء زندقة ما يسمى الخاسر الخبيث (ياسر الحبيب) لا نحسبها شراً، بل هي خير؛ فهي أوضحت لنا أن أكبر القضايا التي ينبغي إعادة النظر فيها هي النظر في ما كتب في التاريخ والمذاهب التي وُلدت في أجواء كَثُر فيها المندسون والدولة الإسلامية

لازالت فتية، ولا زال الناس حديثي عهد بمذاهبهم وفرقهم التي كانوا عليها قبل سقوط مملكتي فارس والروم.

فاستغل أهل الفتن تلك الظروف، وسهل عليهم أن يَلْبِسوا على الناس دينهم.

ومن أكبر المذاهب التي ظهرت في وقت الفتنة- التي عصفت بالأمة الإسلامية بمقتل عثمان- رضي الله عنه- مروراً بموقعة الجمل وصفين ومقتل علي- رضي الله عنه- هو مذهب التشيع الذي جُمِّل في أول وقته بثوب حب آل البيت وعباءة الدفاع عنهم، ثم بعد ذلك تمت المغالاة بخطة مدروسة، وخطوات خبيثة محكمة؛ لتظهر بعد ذلك عقائد وأهواء تهدم الدين وتنسفه، وتشكك فيه، فظهر الطعن في الصحابة- رضي الله عنهم- الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ولنقل هذا الدين لهذه الأمة جمعاء، والذين يعتبر الطعن فيهم طعناً في الدين كله، والذين أثنى عليهم ربهم- سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[١].

وكذلك أوصى بهم النبي ﷺ وحذر من الإساءة لهم والطعن فيهم فقال ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ**»[٢].

ولم يتوقف قطار الطعن والسب والشتم عند الصحابة- رضوان الله عليهم- فحسب، بل امتد حتى وصل بهم الحال إلى الطعن في عرض النبي

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

ﷺ وزوجاته الطاهرات، وكذلك الطعن في خلفاء النبي ﷺ الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وهم جميعاً الخلفاء الذين أمرنا أن نعضّ على أقوالهم وسنتهم بالنواجذ، وأن نتمسك بذلك تمسكاً شديداً، فهم الخلفاء الراشدون، وهم السلف الصالح بالاتفاق، وهم الذين أُمِرْنا باتباعهم كما في حديث النبي ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ..**»[1].

والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم:

الخبيث ابن أبي بن سلول الجديد، والذي تولى كبر هذه الفتنة التي عصفت بنا وأساءت إلينا جميعاً، ليس شخصاً واحداً بمفرده، إنما خلفه مدرسة كاملة تمده وتدعمه، وتسيء للإسلام والمسلمين من خلاله، بدليل أنه بدأ في منهجه بالإعلان عن مكنون نفسه ومعتقده بكل المنابر بطعن في الخليفة أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة- رضي الله عنهم- وتكفيره للمسلمين السنة وتسميتهم النواصب، وهو ما زال في أوائل العشرينات في عمره، فهو من مواليد ١٩٧٩م، ثم صدر عليه الحكم بالسجن لمدة عشر سنوات سنة ٢٠٠٤، وهذا يعني أنه وصل إلى ذروة طعنه ونفاقه وعمره لم يتجاوز ٢٥ سنة بعدُ، أسس هيئة ومؤسسة حاربت الجميع حتى طوائف الشيعة من الاثنى عشرية، سماها هيئة خدام المهدي، وأسس مجلة تعبر عن مكنون كفره وطعنه، أطلق عليها اسم «مجلة المنبر»، وأسس مشروعاً أسماه مشروع «علي وليّ الله» الذي يتبنى نشر المذهب الشيعي، وأخذ بالدفاع عن اعتقاد المتشيعين المصريين حسن شحاته ومحمد الدريني، اللذين توليا كبر الطعن بالخلفاء والصحابة- رضوان الله عليهم.

ثم عندما ذهب إلى بريطانيا:

افتتح مكتباً في أغلى مدن العالم في عقاراتها، ضم فيه حسينية سيد الشهداء

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

وحوزة الإمامين العسكريين، والمكتب الرسمي لياسر الحبيب- مؤسسة المنبر الإعلامية- الجريدة الشيعية باللغة الانجليزية (shia news paper) باللغة الانجليزية، موقع القطرة، وهو موقعه الرسمي الذي تم حجبه بالكويت، والآن هو بصدد فتح محطة فضائية .

فهل يعقل أن يكون كل هذا تصرفاً شخصياً أو قدرة فردية؟!

بلا شك أنه في حكم العقل أن هذا مستحيل، لكنها مرجعية من خلفها أصحاب مصالح سياسية ومالية.

إن تمويل هذا الكم الهائل لما يسمى بهيئة خدام المهدي، بل وحتى تهجمه على إيران الشيعية، باعتبار ما يتعلق بالمرجع الشيعي الذي يتبعه (محمد الحسيني الشيرازي) ودفنه في قُمّ بدلاً من كربلاء يعطي مدى المرجعية التي يستند إليها في تحديه للأمة بكل فئاتها.

إن من يقرأ أو يسمع- حفظ الله أسماعنا من كل ما يسيء لخلفائنا وأمهاتنا- لمثل مقولاته وكلامه وسبه ولعنه لأمهات المؤمنين وصحابة النبي الكريم ﷺ ليتحقق يقيناً- لا شك فيه- أنه لا يتكلم بهذا مسلم مرتد ولا منافق، وإنما يصدر عن مؤسسة يهودية لها برنامج هدم للأمة. فالمسألة ليست شخصاً معتوهاً، أو تصريحات لا مسؤولة، أو عدم معرفة للظرف الذي تعيشه الأمة، بل إن الأمر ليؤكد لنا أن هناك كيانات حزبية ومرجعيات كبيرة تسترت بالإسلام كما تستر أبو لؤلؤة وابن سبأ لهدم الأمة والخلافة، فلذا علينا الحذر، ثم الحذر، ثم الحذر.

ولذلك لابد من دراسة هذا الحدث في حركة التاريخ دراسة متأنية تسترعي التحقيق والبحث للخروج بمنهجية واضحة بعيدة عن أي مكاسب سياسية أو إعلانية.

كلام جميل وإقرار للحق نرتضيه على ظاهره لنبني عليه صرح كتابة

التاريخ.

لقد بينت هذه القضية لنا رجالاً لهم اعتبارهم ومؤسسات لها تاريخها قالت ببطلان ما في كتب ومراجع المذهب الشيعي من أقوال مسيئة لأمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين والصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين.

وعلى سبيل المثال نذكر:

١- النائب الكويتي السيد عدنان عبد الصمد الذي قال: «ما ذكره ياسر حبيب مرفوض تماماً من قبلنا، وهو إساءة للشيعة قبل السنة».

٢- بيان المجمع العلمي لأهل البيت في رمضان ١٤٣١هـ والذي يضم الكثير من المرجعيات العلمية الشيعية؛ حيث أحسنوا في:

أ- تصدير بيانهم بالآية الكريمة من سورة الأحزاب: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[١].

ب- قولهم في البيان: إن تصريحات هذا الخبيث مخالفة للشرع، ومخالفة للمعتقدات الإسلامية، ومخالفة للعقلانية والسياسة.

جـ- قولهم: إن تصريحات هذا المرتد تهتك حرمة المقام الشامخ المصون للرسول الأعظم ﷺ، وتسيء إساءة بشعة لعِرْضه الطاهر، وتتنافى بوضوح مع تعاليم القرآن الكريم وسيرة أهل البيت- عليهم رضوان الله.

د- مناداة مراجع التقليد العظام والمؤسسات الشيعية والمفكرين للتنديد بهذه التصريحات.

٣- الشيخ حسن الصفار- وهو يعتبر من رجالات الشيعة المؤثرين في الإحساء- حيث يصف في تصريحه لصحيفة «الوطن» السعودية الحفل الذي أقامه الخبيث في لندن بأنه: «مشبوه في غاية القبح والمهانة، وهو انتهاك

(١) الأحزاب: ٦.

لحرمة الرسول ﷺ وإثارة لمشاعر المسلمين وتأجيج للضغائن والأحقاد، وأن الأشخاص الذين ارتكبوا هذه الإساءة لا يمثلون شيعة أهل البيت».

٤- قاضي المحكمة الجعفرية بالقطيف الشيخ محمد الجيراني يقول: «إن ما ذكره هذا الخبيث في حق السيدة الطاهرة أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- لا يمثل بأي شكل أو وجه ما تقول به الطائفة الشيعية منذ القدم».

وقال كذلك في بيانه: «إن ما جاء به هذان المدعيان (الحبيب والشيرازي) ليس سوى آراء ميتة، وأقوال مقبورة لم يقل بها أحد من الشيعة، وأنهما لا يشكلان في الشيعة لا رسماً ولا معنى، ولا وزن لهما ولا ثقل».

كما أنه طالب المرجعيات الشيعية وخطباء الجمعة بأن يبينوا لأبناء الشيعة حقيقة إجماع الطائفة على أن كافة أزواج النبي ﷺ طاهرات عفيفات، وأن الصحابة مسلمون صادقون في إسلامهم.

٥ - البيان الذي صدر من مائة شخصية شيعية من أدباء ومثقفين من الإحساء: قال منسق البيان حجي النجيدي لصحيفة «الحياة»: إن مائة شخصية من الإحساء أصدروا هذا البيان، وكان فيما ذكر في آخره: «نؤكد لإخواننا المسلمين في جميع أنحاء العالم أن ما قام به المدعو الحبيب، هو خروج عن خط مدرسة أهل البيت وعن معتقد الشيعة الذين يؤمنون إيماناً مطلقاً بطهارتها- رضي الله عنها- من حادثة الإفك» ووجهوا دعوة إلى (استنكار التطاول على مقام أم المؤمنين).

أما النخب الثقافية الشيعية في الكويت فقد أصدروا بياناً فيه استنكار واستهجان لما نشره هذا الخبيث من عبارات وكلمات مشينة ومعيبة في حق أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها.

ما بعد الحدث:

حركة التاريخ يختلف الناس في التعامل معها والاستفادة من مستجداتها

وللأسف الشديد أننا لا نحسن التعامل مع الحدث والاستفادة منه، بل هي ردود أفعال يقوم بها عامة الناس وخطباء المسلمين، بل وحتى مفكرو الإسلام، فمثلاً:

- سقوط الخلافة العثمانية، وهزيمة العرب في عام ١٩٦٧م الذي احتلت فيه الأراضي وأخذت فيه سيناء وجنوب لبنان والجولان والضفة الغربية لم يعتبر منها أحد. وحرب إيران والعراق التي سحقت ودمرت الجميع. وغزو العراق للكويت.

وهكذا حوادث جسام تبدأ وتنتهي؛ لتبقى بعد ذلك قصاصات ورق في الصحف، أو ملفات وتصريحات عبر الفضائيات، أو أرشيفاً وذكريات عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

وأقول: إنه آن الوقت لأن تغير الحكومة ومؤسسات المجتمع المدني على الأقل في الكويت سياسة تعاملها مع الأحداث الكبار. فعلى سبيل المثال لا الحصر:

١ - ما يتعلق بالحكومة والمؤسسات التشريعية: يجب أن تكون هناك تشريعات واضحة للتعامل فيما يتعلق بالمساس بثوابت هذا الدين؛ فهي ليست مجالاً للخلاف والحوار والنقاش.

فالخلفاء الراشدون وأمهات المؤمنين والقرآن الكريم وصحيح ما ثبت عن النبي ﷺ من الثوابت التي توضع على رأس الأمور، كما وضع الشعار في دولتنا (الله ثم الوطن والأمير)، وما ذكرناه فيما يتعلق بأمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين والصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- تابع لتعظيم الله- جل وعلا- لأنهم هم حملة هذا الدين، وهم المبرؤون الممدوحون في الكتاب وصحيح السنة ومما أجمعت عليه الأمة، فلا نحتاج إلى حكم قضائي، ولا محكمة دستورية، ولا إلى استشارة قانونية. فالأمر متعلق بالله ودينه، قال

تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١) .

فهو تسليم لا تردد فيه، فما كان ينبغي للدولة أن تتردد في إسقاط جنسية هذا الخبيث؛ فما تم نشره بالصوت والصورة مخالف لدينها، مخالف لشعارها، مخالف لثوابتها؛ فالتعرض للخلفاء الراشدين ولأمهات المؤمنين هو تعرض لله ورسوله؛ فالحزم والحسم من عوامل نجاح أي إدارة، ومنها إدارات الدول.

ومع هذا لا يسعنا جميعاً إلا أن نقول:

شكراً للكويت- حكومة وشعباً- وجزاكم الله كل خير على نصرة أم المؤمنين- رضي الله عنها.

إن انتفاضتكم، يا أهل الكويت، حكومة وشعباً، ما هي إلا تجسيد لمحبتكم لنبيكم ﷺ، واستجابة لندائه ﷺ من على منبره، منادياً بعد اشتداد أذى المنافقين له في حادثة الإفك حينما قال: «**مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا**»(٢).

نعم.. كان الأنسب سحب الجنسية من هذا الخبيث، وتنظيف الهوية الكويتية منه، وعدم التأخر في ذلك، وليكن حاله حال الكثيرين من المرتدين المنتشرين على وجه هذه الأرض، لا قيمة ولا اعتبار لهم.

أما المحاكمة فهي طريق لا نستطيعه!!

ومن يستطيع في زمننا هذا تطبيق الأحكام على المرتد السابّ والشاتم للرسول ﷺ، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وكما بينها الإمام السبكي في «السيف المسلول على شاتم الرسول».

(١) النساء: ٦٥.

(٢) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

وإننا- والله- لنلحظ جميعاً صحوة إسلامية حقيقية في مجموع الأمة الإسلامية، ولكن لنعلم جميعاً أن هناك أيضاً ردة حقيقية في نفر من الأمة، وهي كما يقال: ردة ولا أبو بكر لها.

وإن هذا الموقف الصارم من الكويت وأهلها (سحب الجنسية من الخبيث) ليقول لأمة المليار ونصف: انتقلت المسؤولية من الكويت البلد الصغير من المليون ونصف مسلم إلى أمة المليار والنصف مسلم، فهل تتحمل الأمة المسؤولية؟

ماذا يجب علينا فعله بعد ما كان ؟

إن الخير الذي نرى خيوطه قد انبثقت علينا من جراء هذه الأزمة ليحتم علينا جميعاً أن نفتح كل أبصارنا وعقولنا وأفكارنا، ونجند كل طاقاتنا وأجسادنا للاستفادة من هذا الخير وعدم تضييعه.

وما الأقوال التي اخترناها من البيانات والتصريحات إلا بصيص من هذا الأمل لهذه الأمة؛ ولذا فإننا نقترح إنشاء لجنة مشتركة تتخذ من هذه التصريحات والبيانات مرتكزًا وأساسًا نبني عليها أصول الحوار والنقاش، وتكون هذه اللجنة مكونة من مجموعة من علماء الشيعة في الكويت، وأن يكون معهم الشيخ راضي الحبيب ومن يختار من أصحاب الرأي والعقل.

وأن يكون معهم أحد نواب الشيعة المعتبرين كالسيد عدنان عبد الصمد، وأن يكون في طرف أهل السنة الشيخ عثمان الخميس، وأن يكون ما ذكره في مقابلة تلفزيون «الوطن» قاعدة للحوار، وكذلك النائب السيد وليد الطبطبائي ومن له اهتمام وبحوث بالعقائد والمذاهب من علماء السنة والشيعة في الكويت.

وأن ترعى مبرة الآل والأصحاب أو أي مؤسسة أخرى يرتضيها الطرفان هذا الحوار من أجل الوصول إلى قواعد وأصول يجتمع عليها أهل الكويت

من الشيعة والسنة، مبنية على ما تم ذكره من تصريحات، وتأصيل ذلك ببيانٍ مُوَقَّعٍ يكون النواة لإقراره ونشره في مواطن الصراع والاختلاف في الأمة بين السنة والشيعة؛ سواء في إيران والعراق ودول الخليج الست، وكذلك باكستان، على أن تكون البداية هي النظر في الأمور التالية:

أولاً: الاتفاق على شطب كل ما في كتب الشيعة من اتهامات لأمهات المؤمنين وللصحابة أجمعين وللخلفاء الراشدين، وإصدار نسخ كويتية من مرجعيات كويتية تكون هي النسخ المعتمدة عند هذه الفئة، وذلك بالنظر في الكتب الشيعية الآتية والتي تعتبر مراجع يستقي منها (ياسر ومجتبى) ومن سار على دربهم ومشى على معتقدهم، ومن هذه الكتب التي ينبغي أن تنقح من كل إساءة للصحابة- رضي الله عنهم- على سبيل المثال:

(الكافي للكليني - الأنوار النعمانية- بحار الأنوار- تفسير القمي- مشارق أنوار اليقين- البرهان في تفسير القرآن- الهداية الكبرى)، وغيرها من المصادر القديمة، وكذلك المراجع المعاصرة نحو: حق اليقين في معرفة أصول الدين.

وهذه الكتب- فيما أعرف- موجودة في وزارة الأوقاف في قسم المصنفات، وكذلك في المكتبات الشيعية الموجودة في الكويت.

ثانياً: أن تتم البراءة من كل الأقوال التي يتم حذفها من كل المراجع القديمة والحديثة.

ثالثاً: أن يوقع البيان من المرجعيات ووكلاء المرجعيات في الكويت؛ لأن من المصرحين بالطعن في عائشة- رضي الله عنها- من يحمل لقب آية الله كـ(مجتبى الشيرازي).

رابعاً: النص الواضح على الحكم على أن المكذب للقرآن والقائل بتحريفه كافر ومرتد.

خامساً: وضع إجابات واضحة حول هذا السؤال: هل الكلام الذي ذكره الخبيث كلاماً كفرياً يرتد قائله؟ وهل يعتبر ما ذكر مخالفة للمعلوم من الدين بالضرورة لا يعذر الجهل به؟

سادساً: أن يكون هناك رسالة من هذه اللجنة إلى الحكومة الإيرانية ومراكزها العلمية بتطبيق أقوال وتصريحات القادة الدينيين والسياسيين في قمة الوحدة الإسلامية، وذلك بأن يصدق العمل هذه الأقوال في إيران- وهي البلد الذي دائماً يدعو إلى وحدة الأمة- فلتكن هناك على سبيل المثال حقوق دينية واجتماعية وسياسية لأهل السنة في جنوب إيران وكردستان، وأن يسمح لأهل السنة ببناء مسجد ومنارة في طهران، فلا يعقل أن يكون هناك كنائس للنصارى وبِيَع لليهود ولا توجد مساجد لأهل السنة. وإن قيل: إنهم يمكنهم الصلاة مع الشيعة، نقول: لو طبق هذا على مساجد أهل الخليج لسحبت مساجد الشيعة من الوقف الشيعي ودخلت في نظام الدولة السني، وهذا لا يوافق عليه أحد من أهل التشيع.

ملاحظة لا بد من الوقوف عندها :

ولنعلم جميعاً أن المسألة المثارة والبيانات الصادرة ما نود أن يكون المراد منها فقط إحياء موضوع المواطنة والمعايشة فحسب؛ فهذه وإن كان فيها نفع، ولكنها على الأمد البعيد أثبت الواقع عدم استمراريتها، كما هو مشاهد في الدول التي فيها صراع بين الشيعة والسنة.

أما الطريق الحق الذي ينبغي التمسك به، فهو أن يكون الحوار بهدف الوصول للحق والتعاهد عليه، والتبرؤ من الباطل والبعد عنه.

ونحن حين نعرض هذه الأفكار نعلم أن الكويت لن تعالج صراعاً تاريخياً عمره أكثر من ١٤٠٠ سنة على مستوى الأمة، بل هي وقفة جادة في بلد جاد لها ما بعدها!

حقيقة لا بد من التعايش معها:

هناك قضية أساسية في الخلاف بين السنة والشيعة يصعب تجاوزها إلا بإرجاع الأمور إلى أصولها فيما اتفقت عليه الأمة بعد وفاة النبي ﷺ، وهي قضية الإمام والإمامة عند الشيعة؛ فهي من العقائد الأساسية عندهم لاعتقادهم أن الأرض لا تخلو من إمام لحظة واحدة، ولو بقيت الأرض بغير إمام لساخت، ويقولون: إن الإمامة كما هو في كتاب الكافي (بخارى الشيعة للكليني) أنه ينقل عن الإمام الرضا قوله: «إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء، وإن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين». ويرون أن الولاية قد أعطيت لعلي- رضي الله عنه- بالنص الجلي، وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من حجة الوداع نزل في الغدير- غدير خم على ٣ أميال من الجحفة- وآخى بين الصحابة، ولم يؤاخ بين علي وبين أحد منهم، فرأى النبي ﷺ عليًّا- رضي الله عنه وعن آله- فضمه إليه وقال: « **أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي** »[(١)]، والتفت إلى أصحابه وقال: « **مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ** »[(٢)].

وعلى هذا، فالإمامة عندهم نصٌّ جليٌّ، وأن من لم يُعْطِها علياً- رضي الله عنه- فقد اغتصبها منه. ثم بنوا على ذلك العداء لأبي بكر وعمر وعثمان ولأمهات المؤمنين وللصحابة أجمعين، وجعلوا ذلك من لوازم القول!!

فعلى هذا فالطعن عندهم مبني على ما يسمى عندهم بمظلمة أهل البيت، من عدم تمكينهم من الأمر الذي نص عليه النبي ﷺ !! فما نسمع وما نقرأ من عبارات وألفاظ لا يقولها مسلم غافل في أصحاب محمد ﷺ، إنما هي مبنية على هذه المظلمة التي يعتقدونها؛ فهي فروع ولوازم ألزموا بها أنفسهم

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ٢٤).

من غير لازم، وهنا لا بد من أن نقول إنه بعد أن كادت فتنة استشهاد عثمان- رضي الله عنه- وانقسام الأمة أن تنتهي بوفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ من غير أن يكون له ولد، جاء بعد ذلك من يحيي الخلاف، وهو عثمان بن سعيد العمري، فادعى أن الإمام الحسن العسكري له ولد اختفى وعمره أربع سنوات، وأنه وكيله في استلام أموال الشيعة وإجابة أسئلتهم واستمر إلى اليوم!!

وهذا ما يسمى عندهم «بالغيبة» وهي من الأمور التي فيها إشكال، حتى عند الشيعة، كما يقول ابن بابويه القمي في كتابه (إكمال الدين ص٢): «رجعت إلى نيسابور فأقمت فيها، فوجدت أكثر المختلفين عليه قد حيرتهم الفتنة ودخلت عليهم في أمر القائم عليه الشبهة، ثم بدؤوا بتأصيلها من أجل استمرارية المذهب بدوافع شخصية مصلحية سياسية اقتصادية»، وقال ابن بابويه ص١٣ من نفس الكتاب: «ومثل من أنكر القائم- عليه السلام- في غيبته مثل إبليس في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام».

ثم بنوا عليها دعاوى في غاية الخطورة؛ فهم لا يرون أي بيعة شرعية لأي خليفة من خلفاء المسلمين، وإنما البيعة لهذا المنتظر، ولهم فيه كلام لا مجال لذكره، وينظر في كتاب البحار وغيره من كتبهم.

فالمسألة إذن لها جذور يجب أن تناقش بجلسات واضحة محددة فيها الأسئلة، ليبنى عليها توافق سني شيعي وحدوي ينص على:

١- أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ليست اغتصاباً، وإنما هي شورية وقعت بمبايعة أهل الحل والعقد من الأمة للخلفاء.

٢- أن الخلفاء الراشدين منصوص على مبايعتهم، كما في قوله ﷺ: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ..»** (١).

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

٣- أن موضوع النص والتعيين والشورى والاختيار بعد النبي ﷺ وسع المسلمين الاختلاف عليها بعد النبي ﷺ، وانتهت المسألة إلى الأخذ بالشورى والمبايعة وحسم الخلاف.

٤- تنقية كل ما فيه إساءة لآل النبي ﷺ والصحابة وأمهات المؤمنين والخلفاء الراشدين.

٥- إن الإمامة تسلسلت بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ولا جدوى من إثارة ما يسمى بالمظالم ووضع اللوازم لها من التكفير وغيره.

٦- إن كان الأمر فيه صعوبة، فلنضع ميثاقًا أخلاقيًّا قيميًّا بين الشيعة والسنة، نتعايش فيه مع بعضنا البعض، مع الإبقاء على الحوار مفتوحاً على هذه المسائل، من غير تشعب وتوزع في المسائل الخلافية الكثيرة .



تتميز الإشاعة عن غيرها بأنها لا تريد إثباتاً ولا دليلاً، وليس مهماً في ميزانها الصدق والحق والأخلاق والقيم، لا كثيراً ولا قليلاً.

والإشاعة ناتجة عن نقص ومرض، ربما يكون حسداً أو غيرة أو بغضاً أو كراهية أو انتقاماً أو كسباً مالياً..

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... عني وإن سمعوا من صالح دفنوا

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

جَهْلاً عَلَيْنا وجُبْناً عنْ عدوِّهِم ... لَبِئْسَتِ الخلّتانِ الجَهْلُ والجبنُ

قال ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(١).

إن الشائعات جريمة ضد أمن المجتمع واستقراره، وصاحبها مجرم في حق دينه وأمته، فهو يثير الاضطراب والبلبلة والفوضى في الأمة، فهو ربما شر من مروجي المخدرات، لأن كلاً منهما يستهدف الإنسان.

كم من إشاعة أطلقها مغرض، وسمعها وصدقها متعجل، أدت إلى تباغض الإخوان والأصدقاء، والعداوة بين الأصحاب والزملاء، وإساءة سمعة الفضلاء، وتشتيت أسر، وتفريق جماعات، ونكبة شعوب،وانهيارها، وهزيمة جيوش، فترك ذلك جراحاً عميقة لا تندمل، وفرقة دائمة لا تجتمع.

من المؤلم حقاً، أن يكون البعض من المسلمين ساذجاً ويتلقى الإشاعات المغرضة وكأنها حقائق مسلمة.

كيف سنبني مجداً لأوطاننا ونحن نشك في بعضنا، ويشيع الأكاذيب بعضنا عن بعض؟!

---

(١) رواه مسلم في المقدمة (١/ ١٠).

لقد وضع الدين الإسلامي الحنيف منهجاً دقيقاً ومحكمًا للفرد والجماعة للوقاية من خطر الإشاعة وآثارها، وهو التثبت والتيقن من صحتها، وعدم نقل الكلام لمجرد سماعه فحسب.

هي وكالة أنباء عالمية، ومحطة بث دولية، بل هي أكبر وكالة أنباء على الإطلاق في سعتها وانتشارها وكثرة مراسليها وتقاريرها، وهي كما وكالات الأنباء الأخرى تخوض كل غمار، وتسير كل مسار، لا تعرف اختصاصاً، ولا يجد أي خبر منها خلاصاً، فهي تنشر الخوف والرعب، والحقد والكراهية، والطلاق والزواج، والأماني والأمل، لكنها تتميز عن غيرها بأنها لا تريد إثباتاً ولا دليلاً، وليس مهماً في ميزانها الصدق والحق والأخلاق والقيم، لا كثيراً ولا قليلاً.

لا تعرف لأحد حُرمة، ولا ترعى لأحد ذمة، تستهدف الكبير والصغير، والموظف والمدير، والغني والفقير، بل كل الأمة بما فيهم المدير والوزير، من غير فرق في ذلك بين ذكر أو أنثى، في فتيل أو قطمير، مستخدمة في عملها كل وسيلة متطورة من صحف وإذاعات وهواتف نقالة، وانترنت وغيرها، وكلما ظهرت وسيلة جديدة تكون هي أول المعلنين عنها والمدشنين لها، وأما آثارها فكم هدمت من بيوت! وكم شتتت من أسر! وكم أَقَّضَتْ من مضاجع! وكم أرَّقت من جفون! وكم أراقت من الدموع من العيون! كم زوجت رجالاً ونساء وهم لا يدرون! وكم أماتت من أحياء وهم لا يعلمون! بل كم قلبت من موازين القوة في المعارك والحروب! وكم تركت أناساً يفرحون ويسعدون وفي الأحلام والأماني يعيشون، ولما أفاقوا على الحقيقة إذا بهم يصدمون، وكم وكم.. !! إنها باختصار كلمة واحدة.. إنها الإشاعة.

تعريف الإشاعة:

الإشاعة: هي من فعل شاع، أي: ذاع وانتشر، فهي كل خبر يذيع وينتشر

من غير أن يُعرف مصدره ومنشؤه.

وهي مرض اجتماعي خطير، ومن يشيعها إنما هو إنسان مريض لم يجد شيئاً يثبت به نفسه، ويظهر به شخصيته إلا من خلالها، فيريد أن يلفت الأنظار إليه، أو ربما يحمله جشعه وحسده للآخرين على بث الإشاعات الكاذبة عنهم، أو نشر أخبارهم الخاصة المستورة؛ وذلك لإضعافهم، والصعود بنفسه على حسابهم، وبذلك نعلم أن الإشاعة ناتجة عن نقص ومرض، ربما يكون حسداً وغيرة وبغضاً وكراهية أو انتقاماً أو كسباً مالياً.

الإشاعة سلاح فتاك:

والإشاعة سلاح قوي من أسلحة المتحاربين أيام المعارك والحروب؛ سواء الحروب العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية، وحتى الفردية، فنرى الإشاعات الباطلة، والأقاويل الزائفة، تنتقل من طرف عن طرف آخر، ومن جهة ضد أخرى.

وما أن ينم إلى أحدهم مثقال ذرة من خطأ أو ريبة في خصمه أو عدوه حتى يضاعفها أضعافاً كثيرة، ويذيعها بين القاصي والداني والرائح والغادي، أما الخير والنجاح والتقدم فيدفنه ولا يلقي له بالاً، وإذا لم يسمع خبراً سيئاً ولم يجد ما يروج له من أباطيل، فتراه يختلق الأكاذيب والأضاليل، ويفتري الأباطيل.

ولقد أثبتت الإشاعة تأثيرها على كل الأصعدة وفي كل المجالات؛ ففي الحروب العسكرية ترى الإشاعات من طرف عن الطرف الآخر، والغرض من ذلك هو إضعاف الطرف المعادي وكسر معنوياته؛ فتراه يتحدث عن خسائر في الجانب المعادي، ويتحدث عن إصابة قائده، وعن أسر جنوده، وعن امتلاكه الأسلحة الفتاكة التي تفتك بالأخضر واليابس، والتي لا يقف أمامها شيء.

وفي المعاملات الاقتصادية ترى سيولاً جرارة من الإشاعات عن خسارة

إحدى الشركات، أو عن أزمة إدارية أو مالية فيها، أو عن تعرضها لعمليات السرقة والاختلاس، والمشيع لذلك كله إنما هو منافسٌ آخر في سوق المال والأعمال، قصده من ذلك إنما هو إضعاف هذه الشركة المنافسة، ليحل محلها ويأخذ مكانها. فكم خسرت من شركات! وكم أفلس من تجار وأصحاب أموال! وكم كسدت من بضائع جراء إشاعات كاذبة مغرضة!

وفي الحروب السياسية ترى المتنافسين يرسلون العيون والجواسيس، ويتلقفون العثرات والسقطات على بعضهم؛ ليجعلوا بعد ذلك- كما يقال- من الحبة قبة، ومن الكبير صغيراً، ومن الفتيل قطميراً.

وربما ينشر بعض القائمين على أمور الناس الإشاعات؛ لينظروا ردة فعل الناس عليها، ويمهدوا من خلال تلك الإشاعات لما يريدون ويطلبون، وبعد ذلك يفعلون الذي كانوا له يخططون.

وفي الحروب الفردية كم أشاع أناس عن أناس متزوجين أنهم تطلقوا، وعن شركاء أنهم اختلفوا وانفصلوا، وعن أبرياء أنهم للفواحش ارتكبوا!! فهُتِكَت الأعراض، وسُلِبَت الأموال، وخربت البيوت... كل ذلك لأجل مريض نفسي يريد أن يلبي نزوة الشر في نفسه الخسيسة المريضة.

ولقد استخدموا في ذلك كل الأساليب المتطورة؛ كالهواتف النقالة والإذاعات والفضائيات وشبكة المعلومات التي تنشر إلى كل أنحاء العالم.

الإشاعة في نظر الدين الإسلامي:

إن الله- سبحانه وتعالى- أكرمنا بهذا الدين الواضح الذي لا ريب فيه ولا شك ولا غموض ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[1]، والنبي ﷺ يقول: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلا هَالِكٌ**»[2].

(١) البقرة: ٢.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨/ ٢٤٧).

فالإسلام لا يحب الغموض والعمل وراء الستار والظلام إنما يبغي الحق الواضح الناجح الذي ينبني على أساس البينة الواضحة، والشهادة الحقة، والخبر اليقين، وعلى ذلك يربي الإسلام كل من ينتسب إليه سواء كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى.

فلقد وضح لنا ربنا- سبحانه وتعالى- حقيقة الحواس التي يكون من خلالها إلقاء أي خبر أو تلقين، وهي السمع والبصر واللسان؛ فبين أنها مسؤولة أمام الله عن كل صغيرة وكبيرة، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١)، وقال تعالى أيضاً: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٢).

فالسمع لا يسمع إلا حقاً وصدقاً، والبصر لا يرى إلا بتفكر ودقة.. واللسان لا يقول إلا يقينا وحقاً، والقلب لا يبني تصوراته واعتقاداته إلا من خلال الحق الخالص من كل شائبة، والبعيد عن كل غرر أو كذب أو خداع.

وعلى هذا الأساس كان علاج الإسلام لظاهرة الإشاعة، فلقد أمر الإسلام أي مسلم أن يقف أمام أي خبر يأتيه وقوف الفاحص الممحِّص، ولا يتلقف كل ما هب ودب، وشاع وذاع من الأخبار، ولذا نهى النبي ﷺ عن «قيل وقال»، وقال ﷺ: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(٣)، وكذلك قال: «**بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا**»(٤).

وكذلك أمر الاسلام أفراده المسلمين أن يدع كل واحد منهم ما لا يهمه من الأخبار والأقوال؛ قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٥)، فالمسلم كما أن عليه ألا يقول الإشاعات والأكاذيب عليه أيضاً

(١) الإسراء: ٣٦.
(٢) ق: ١٨.
(٣) رواه مسلم في المقدمة (١/ ١٠).
(٤) رواه أبو داود (٤٩٧٢)، وصححه الألباني.
(٥) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وصححه الألباني.

ألا يسمعها. وقال الإمام الشافعي- رحمه الله: «نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه ينظر الى أخبث شيء في وعائه، فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها».

فإذا كان الأمر حقاً والخبر صدقاً قبل وأخذ به، فلذا لابد لكل خبر يَرِد علينا أن نمحصه ونختبره ونعرف طريقه ومساره، ونفعه وعواره، ونفكر قبل الخوض فيه بما سيؤول منه إليه ويستقر به عليه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾(١). فلا ينبغي للمسلم أن ينجرف وراء أكاذيب المفترين، وافتراءات الفاسقين، دون تفكير بروية وعقلانية، وإلا فربما وقع في المحظورات، وربما جر لنفسه ولغيره الويلات.

بل ينبغي أن يتثبت من صحة الخبر وثبوته بفكر ودقة، فإذا تبين له المقال وتأكد له ما يروى ويقال، وليس هو من الاختصاص فيه، فعليه أن يعرضه على أهل العلم والمعرفة، وأولي الفكر والموهبة، فهم الذين يُبيِّنون صحيحه ويقرونه، ويكشفون عيبه والخطأ فيه ويردونه، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(٢).

فأهل الاختصاص هم من يعرفون دقائق اختصاصهم وتفاصيل علومهم. ولو أننا كلما سمعنا خبراً اقتصادياً أرجعناه للاقتصاديين، أو سياسياً فعرضناه على السياسيين، أو دينياً فرددناه إلى العلماء والمعنيين، وكذلك كل علم نرده لعلمائه ومختصيه، لكنا قد تفادينا كثيراً من الشر الذي وقعنا فيه.

(١) الحجرات: ٦.
(٢) النساء: ٨٣.

عِرْض النبي ﷺ لم يسلم من أذى الإشاعة:

إن الدين الاسلامي عالج ظاهرة الإشاعة، ولم يكتف بالتنظير والأمر والنهي فحسب، بل عالجها معالجة عملية وواقعية؛ وذلك من خلال حادثة مست خير البشرية وتعرضت لعِرْض من جاء بالإسلام من عند رب الخلق والبرية- سبحانه وتعالى- فقد كان له النصيب الأكبر من خطر الإشاعة وآثارها الهدامة.

إنها حادثة الإفك التي وقعت في زمن النبي ﷺ، وكادت الإشاعة فيها أن تنتهك حرمة أعظم بيت وأشرف أسرة وأعف نفس، وهي السيدة عائشة- رضي الله عنها وأرضاها- إنها حادثة الإفك، هذه الحادثة التي كان للإشاعة فيها أثر كبير جداً، فلقد كلفت أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلفت الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وعلقت قلب الصديق وزوجه وقلوب المؤمنين شهراً كاملاً، علقتها بحبال الشك والألم الذي لا يطاق.

ولا شك أنه خير من الله- سبحانه وتعالى- لهذه الأمة ليعطيها درساً عملياً يبين من خلاله خطر الإشاعة وأثرها وطرق التعامل معها، فبيَّن أن أول شيء يجب فعله عند سماع هكذا إشاعات مغرضة، واتهامات أفاكة، أن يظن المؤمن بإخوانه خيراً؛ لأنهم نفس واحدة ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾[1]، يفكر به قبل النطق به والحديث عنه، فلابد أن يُعْمِل عقله وفكره، ولا يكون كمن يتلقف بلسانه دون استماع أو تفكير ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾[2]، ثم لابد أن تطلب ممن ينقل لك خبراً كهذا أن يأتي ببينة وشهود. وهذا هو الطريق الصحيح

(١) النور: ١٢.

(٢) النور: ١٥.

للتثبت واليقين من صحة أي خبر ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾(١).

والدرس العام من هذه الحادثة كلها هو أن يكون هناك توضيح وبيان، فربنا بيَّن الحق وأظهر الحقيقة؛ ليبين لكل من تعرض للإشاعة ولكل من له سلطة في الأمر أن يكون واضحاً مع كل الناس من غير غموض ولا خفاء، فالله أزاح الغمة التي أحدثتها الإشاعة بآيات بينة وضحت الحقيقة وأزالت التهم والشكوك.

وهذه مسؤولية تقع على المختصين والمسؤولين إذا رأوا إشاعة قد انتشرت وشائعة قد فشت بين الناس، فعليهم أن يوضحوا حقيقة وجهها، ويكشفوا صحة أمرها من عدمه، فعندها تهدأ النفوس، وتطمئن القلوب، وتسكن الأفئدة بظهور الحق وزهوق الباطل ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٢) .

فلذا لابد من تحذير وإنذار لكل من تسول له نفسه أن يشيع إشاعات باطلة، واتهامات زائفة، ليهتك أعراضاً، ويشوه حقائق ويسلب حقوقاً، ويتخذ من وسائل الإعلام كالإنترنت والفضائيات والبلوتوث والصحف وغيرها، والتي عمت العالم كله، ومن خلالها يمكن وصول الشائعات من أقصى الأرض الى أقصاها. ولقد جاء التحذير والإنذار من هذا الفعل المشين على لسان رسول الله ﷺ بقوله: «**من ذكر امرأً بشيءٍ ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاد ما قال فيه**»(٣).

الإشاعة جريمة تستهدف الأمة والمجتمع:

أيها الإخوة:

إن الشائعات جريمة ضد أمن المجتمع واستقراره، وصاحبها مجرم في

---

(١) النور: ١٣.

(٢) الإسراء: ٨١.

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٠١)، وقال: «رواه كله الطبراني في الكبير وإسناد الأول من لم أعرفه ورجال الثاني ثقات».

حق دينه وأمته، فهو يثير الاضطراب والبلبلة والفوضى في الأمة، فهو ربما شرٌّ من مروجي المخدرات، لأن كلاً منهما يستهدف الإنسان، فكم للشائعات من آثار سلبية على الرأي العام وصناعة القرار في العالم.

ومن المؤلم حقاً، أن يكون البعض من المسلمين ساذجاً، ويتلقى الإشاعات المغرضة وكأنها حقائق مسلَّمة، فيجلس أحدهم ساعات طويلة أمام أجهزة الإعلام، أو أمام الإنترنت، عبر المواقع المشبوهة، فيشوه سمعه وبصره بالشائعات الباطلة، مما تتحرج النفوس المؤمنة من مطالعته أو البوح به، فيصبح من حيث يدري أو لا يدري أداة في أيدي اللوبي الصهيوني العالمي، ضد أمن أمته ودينه ومبادئه وقيمه.

وقد حذرنا الإسلام من إشاعة الخبر الكاذب، ووصف الله- سبحانه وتعالى- ورسوله الكريم وَصَفَا مبتدع الإشاعة ومروِّجَهَا بأقبح الأوصاف، فقد وُصف بالفاسق في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[1]، والكاذب في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾[2]، والإشاعة نوع من الكذب، وهو صفة من صفات المنافقين، قال رسول الله ﷺ: **«آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»**[3].

وحذر الله- سبحانه وتعالى- من الكذب، وبيَّن العقوبة التي يستحقها الكاذب، لكذبه، فقال تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾[5]، وقال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ**

---

(١) الحجرات: ٦.
(٢) النحل: ١٠٥.
(٣) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩/ ١٠٧).
(٤) آل عمران: ٦١.
(٥) الزمر: ٦٠.

لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»(١).

ماذا يجب على من يسمع الاشاعة ؟

أما السامع الذي يتلقى الإشاعة فقد أمره الله- سبحانه وتعالى- بالتثبُّت، والتأكد مما يسمع، وحذَّره من المسارعة في تصديق كل ما يبلغه، فيقع في ندامة من أمره، والخطاب عام للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾(٢).. فكم من إشاعة أطلقها مغرض، وسمعها وصدقها متعجِّل أدت الى تباغض الإخوان والأصدقاء، والعداوة بين الأصحاب والزملاء، وإساءة سمعة الفضلاء، وتشتيت أُسَر، وتفريق جماعات، ونكبة شعوب، وانهيار وهزيمة جيوش، فترك ذلك جراحاً عميقة لا تندمل، وفرقة دائمة لا تجتمع.

فمجرد نقل الأخبار دون التأكد من صحتها موجب للفسق؛ وذلك لأن هذه الأخبار ليس كلها صحيحاً، بل فيها الصحيح والكاذب، فكان من نقل كل خبر وأشاعه، داخلاً في نقل الكذب، لذا جعله الله من الفاسقين.

فالمؤمن لابد له من الحذر من أن يكون عند الله من الفاسقين (الكاذبين).

وكفى - والله - بذلك كبيرة عظيمة من كبائر الذنوب.

فالعاقل يعلم أنه ليس كل ما يُسمع يقال، ولا كل ما يعلم يصلح للإشاعة والنشر.

ومع كل ما يعلمه الناس مما تسببه الإشاعة من مساوئ وويلات، تظل المادة الأساسية، والهواية المحببة لمروجيها، ويبقى مروجوها بؤرة فاسدة في جسد المجتمع، وطفحًا جلدياً منتناً. فيجب على أي جماعة أو أمة أو شعب، محاربة هذه الآفة الفتاكة، واستئصالها، وانتزاعها من جذورها، لتبقى

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) الحجرات: ٦ .

الأمة متماسكة مترابطة، ذات هدف واحد، تبني مستقبلها، وتقف ضد أي أخطار تعترض مسيرتها.

أمة التثبت والتعقل لا ينبغي أن تغتر بالإشاعات :

إن العجب العجاب أن الإشاعات يكثر انتشارها في أمة أُمرت بالتثبت واحترام العقل وعليها نزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾[١]، وقوله أيضاً: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ ﴾[٢].

وأنه لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال أثر الإشاعة إيجابياً، وللأسف فقد أوجدت سوقاً رائجة للخرافة في هذا الزمان وبين كثير من المسلمين.

وما أدري كيف سنبني مجداً لأوطاننا ونحن مسكونون بالحيلة والدجل على بعضنا؟

كيف سنبني مجداً لأوطاننا ونحن نشك في بعضنا، ويشيع الأكاذيب بعضنا عن بعض؟!

كيف سنبني مجداً لأوطاننا ونحن نبني في أول النهار ثم في آخر النهار نهدم ما بنينا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا؟!

كيف سنبني مجداً لأوطاننا ليحترمنا الآخرون ونحن نحتقر عقول رجالنا ونسائنا وأبناء بلدنا، ثم نبحث عن الاحترام عند غيرهم؟!

الإشاعة تدخل كل المجالات:

وكما تؤثر الإشاعة في المجالات الدنيوية، فإنها تؤثر أيضًا على المصادر الدينية لتشويهها، ويقوم بذلك كثير من اليهود والنصارى ومن يساعدهم ممن ينتمي للإسلام كالمنافقين والجواسيس، فيروجون الإشاعات ويبثونها في المجتمع لتشويه صورة الإسلام وبث الأفكار الهدامة ضده وضد مبادئه وقيمه.

---

(١) الحجرات: ٦ .

(٢) البقرة: ١١١ .

وهي تشكل خطرًا على الجانب السياسي؛ سواء على مستوى الدولة نفسها، أو على علاقات الدول مع بعضها البعض، وعلى الجانب الاقتصادي الذي يمثل شريان الحياة، وعلى الجانب الأمني، فبها يتكدر الأمن العام وينتشر القلق عند الأفراد، ويسود المجتمع جو من الانفلات الأمني.

ولا يقف خطرها وأثرها- كما قلنا- على وقت السلم فقط، بل يتعدى ذلك إلى وقت الحروب، فيكون لها دور كبير في تحطيم الروح المعنوية للمقاتلين والنيل منها وإضعافها، الأمر الذي يؤدي إلى الهزيمة أو ترك القتال وعدم الاستمرار فيه؛ مما يكون له تأثير على الجبهة الداخلية للمجتمع وإدخال الشك في القدرات القتالية؛ مما يكون له أثر في وقف الإمداد المادي والمعنوي للمقاتلين.

ولأجل هذا وضع الدين الاسلامي الحنيف منهجاً دقيقاً ومحكمًا للفرد والجماعة للوقاية من خطر الإشاعة وآثارها، وهو- كما قلنا- التثبت والتيقن من صحتها، وعدم نقل الكلام لمجرد سماعه فحسب، بل لابد من توثيق وتأكيد لمضمونه ومحتواه، ومن ثم التحدث به إن كان يصلح للتكلم به، وفيه منافع دنيوية أو أخروية، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1].

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧/ ٧٤).



لقد أصبح أكثر الناس تنصقل مواهبهم، وتتوجه قدراتهم، بل وتنبني قدراتهم، حسب ما يشاهدونه في الفضائيات، أو يرونه في الإنترنت: إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قال روجيه جارودي: للعمل الإعلامي طواغيته التي تسهم في تبسيط المعقد، وتشويه الحقائق أيضاً، أصبحت سلطة الإعلام رديفاً للجنود والقوات المسلحة.

إن الدعوة الإسلامية ذات طبيعة إعلامية مميزة، ولها سماتها التي تجعلها في مكان الريادة في مجال الدراسات الإعلامية المميزة.

من بين الأسباب التي توجب علينا الاهتمام بالإعلام أن أعداء الإسلام أصبحوا يوجهون قنوات خاصة للمسلمين؛ لبث الشكوك والشبهات حول الإسلام.

وفي هذه الظروف العصيبة البالغة الصعوبة من تاريخ الأمة الإسلامية، فإن واجب المسلمين أن يولوا اهتمامهم بمسألة الإعلام، وأن يقدموا لأمتهم وشعوبهم، بل وللعالم كله، إعلاماً يبين حقيقة الإسلام والمسلمين.

إن الإعلام الإسلامي الذي ننشده لا تقتصر مسؤوليته على قضايا معينة يحققها لهذه الإنسانية، ولكنه يتدخل في كل قضية من قضاياه بالدور الملائم والمناسب.

الإعلام سيل جارف فيه الغث والسمين:

إن التطور المذهل في وسائط الاتصالات وأساليبها ليستدعينا نحن المسلمين أن نسارع إلى استدراك ما فاتنا من هذا التطور الذي ارتضى كثير

منا- للأسف- أن يكون من زبائن تجاره ورعايا فجاره، وكأن هزيمتنا على وجه الأرض لم تكن تكفينا حتى غدونا عبيد الفضاء وأذلاء الأثير.

وإن من المكابرة أن يقف أحد منا ويقول: ليس للإعلام تأثير علينا، فإن من المعلوم أن الحديث بكثرة عن موضوعٍ ما من خلال أكثر من منبر ولسان، والدندنة حوله بالحق أو الباطل حتى يظهر وكأنه تيار كاسح، إنما هو سياسة متبعة وممنهجة، يتبعها من يحملون هم التغيير، سواء كان تغييرهم للحق أم للباطل، للفضيلة أم للرذيلة؛ إذ يلجأ ملاك الإعلام والمتنفِّذون إلى الحديث بنسق واحد عن أي رأي أو دعوة يريدون لها الانتصار والانتشار، فيجعلونها محور حملاتهم الإعلامية، ويصبون كل اهتمامهم حول كل جزئية صغيرة أو كبيرة يمكن أن تساند فكرتهم وتوجههم.

ومن التطبيقات البارزة لهذه الظاهرة مثلا (قضية المرأة) فلقد كانت ولا تزال قضية المرأة المسلمة وثباتها على هويتها الإسلامية- خصوصاً في بعض المجتمعات الإسلامية- مسرحاً لمنازلات متعددة بين من يسمون أنفسهم أنصار المرأة وبين الطرف الآخر.

فمن بلد إسلامي سيطر عليه العلمانيون تُمنع المرأة فيه من مجرد غطاء الرأس، إلى بلد متمسك بتعاليم الإسلام؛ حيث تنطلق فيه دعاوى التحرر والاختلاط ونزع حجاب الوجه، ويصحب ذلك حملات إعلامية مرئية ومقروءة ومسموعة، تستخدم سلاح الحشد والأرقام المضلة التي تهدف من خلالها إلى إنهاك الخصم تمهيداً للانقضاض عليه.

وكذلك كثير من القضايا التي يريد كثير من أعداء الاسلام التشكيك فيها، وإثارة الشبهات حولها، ثم تغيير المفاهيم الصحيحة حولها، ثم بعد ذلك الانقضاض والقضاء عليها.

لذلك كله نرى التوجه الشديد من أصحاب الأيديولوجيات المنحرفة عن

الحق والمعادية له من يهودية ونصرانية وإلحادية إلى امتلاك القنوات التلفزيونية والإذاعية في شتى بقاع العالم، وتوجه العديد منها إلى العالم الإسلامي بقصد زعزعة عقيدته، تمهيداً لرد المسلمين عن دينهم وإبعادهم عنه في كل حياتهم، بعد أن استطاعوا وتمكنوا من فصل الدين عن الدولة في معظم بلاد الإسلام والمسلمين.

ولقد زاد من هيمنة أعداء الإسلام تطور وسائل الإعلام تطوراً هائلاً يتجاور كل القيود السياسية والحدود الجغرافية، ويتجاوز كل وسائل الرقابة والتفتيش. ولذا أصبح أمر الاعلام في زماننا وعصرنا أمراً خطيراً جد خطير، وإننا لنلمس دوره المؤثر والفعال على سائر المجتمعات بشتى طبقاتها، فهو يؤثر في الأمم والمجتمعات، وعلى الدول والمؤسسات، والكبار والصغار، والرجال والنساء.

وعن هذا التأثير الواضح للإعلام، قال روج هاردي محلل شؤون الشرق الأوسط في الـ«بي بي سي»: لقد أصبح للعمل الإعلامي طواغيته التي تسهم في تبسيط المعقد وتشويه الحقائق أحياناً.

ولقد أصبح من شدة وقع الإعلام وتأثيره أنه أصبح يؤثر في مسائل المال والاقتصاد، فخبر واحد- وربما يكون غير صحيح- ربما يكون له تأثير على اقتصاديات الدول وبورصاتها؛ سواء بالسلب أو الإيجاب، بل وحتى ربما يؤثر في مصير حكومات وقيادات ومسؤولين. ولذا نرى الاهتمام الواضح من كل الدول والمؤسسات والجمعيات والجماعات بمسألة الإعلام لإدراكهم جميعاً بأهمية الإعلام وتأثيره في عصرنا الحاضر، فأصبحوا يعمدون إلى تأطير وتنظيم هذا العمل ووضع السياسات الإعلامية التي تمكنهم من التحكم والسيطرة عليه وتوجيهه بما يخدم مصالحهم.

ولأن الأمم المتقدمة أدركت سحر الإعلام وسلطته الضاغطة المؤثرة

فقد أصبحت تنفق الملايين، بل وربما المليارات لتحقيق سياساتها من خلاله، بل أصبحت سلطة الإعلام رديفًا للجيوش والقوات المسلحة تقوم بجزء ليس بهيِّن من عمل الجيوش والجنود.

إن الاعلام هو أداة التغيير في الحاضر والمستقبل، وهو حجر الأساس في تطوير العديد من الجوانب الحياتية، ونكاد نجزم بأن الانفتاح على العالم الذي حصل نتيجة تطور وسائل الاتصال سينقل تجارب الأمم والشعوب عبر الحدود، ويفتح آفاق أطفالنا إلى ما نريده وما لا نريده، ما لم نحصنهم بإعلام قوي ومؤثر.

لقد سقطت كل العوائق أمام وسائل الإعلام، وعلى الآباء والمسؤولين إدراك ذلك، والاستفادة من هذا التطور والتأقلم والتعايش معه، والاستعداد للمرحلة القادمة التي لن يكون للمتأخرين فيها أي مكان.

وإلا فإن التغيير سيحدث فجأة دون مقدمات، ولن يجد عندها الآباء إلا الاستسلام للأمر الواقع.

الإعلام أثر في صورة المسلمين لدى غيرهم :

وقد حاول أعداء الإسلام أن يظهروا أن الإسلام لا يصلح لأن يقدم عبر وسائل وأجهزة إعلام العصر الحديث، كما حاولوا أن يظهروا أنه ضد التطور والتقدم، وضد الوسائل والأساليب الحديثة، غير أن هذا محض افتراء ومجرد تقولات لا نصيب لها من الصحة، وقد ساعدهم على ذلك غفلة المسلمين وانبهارهم بالحضارات الزائفة البراقة، وتناسيهم لما يمتلكون من ثروات إعلامية إسلامية هائلة، مما أدى إلى غيبة الإعلام الإسلامي عن الميدان، وانفراد أعداء الإسلام بساحة الإعلام، يشهِّرون من خلالها بالإسلام ومبادئه السمحة وقيمه الأصيلة النبيلة، ويتجنون عليه وعلى رسوله الكريم ﷺ .

وقد فعل أعداء الإسلام ذلك؛ لأنهم أدركوا أن الاسلام قوة دولية عظيمة، تزلزل كيانهم، وتهدد وجودهم، فبدأوا يشنون الحملات المضادة للإسلام، وقد حدث مثل هذا قديماً مع الكفار في مكة ومع المنافقين في المدينة.

دور المسلمين في ميدان الإعلام:

إن واجب المسلمين تجاه هذا الخضم المتلاطم من وسائل الإعلام، والأمواج الإعلامية العاتية والتي توجه سهامها نحو العقيدة والأخلاق وثوابت الأمة، وتجند كل طاقتها لخطف شبابنا وبناتنا، وصغارنا وكبارنا، بما يزينه شياطين الإعلام بزخرفهم الخداع وبريقهم الكذاب، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[1]، وفي هذه الظروف العصيبة البالغة الصعوبة من تاريخ الأمة الاسلامية- فإن واجب المسلمين أن يُولُوا اهتمامهم بمسألة الإعلام، وأن يقدموا لأمتهم وشعوبهم، بل وللعالم كله، إعلاماً يبين حقيقة الإسلام والمسلمين.

وإن هذا الأمر ليس بدعًا من الأمور الملقاة على كاهل المسلمين، وليس شيئًا جديدًا عليها أن تستحدثه، بل إن الدعوة الإسلامية في حقيقتها ذات طبيعة إعلامية مميزة، ولها سماتها التي تؤكد قدرتها على إبراز كافة عناصر الرسالة الإعلامية القادرة على التعامل بإيجابية، بما يجعلها في مكان الريادة والقدرة في مجال الدراسات الإعلامية المعاصرة.

فالمسلمون حملة دعوة، المُرسِل فيها هو الله- سبحانه وتعالى- ومضمونها هو توحيد الله وعبادته التي خلق الجن والإنس لأجل تحقيقها ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. والنبي المرسَل إلينا مرسَل للعالمين من الجن

---

(١) الأنعام: ١١٢.

(٢) الذاريات: ٥٦.

والإنس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[(١)]، والدعاة إليها هم العلماء العاملون، وكل من سار على نهجهم واقتفى أثرهم. ولذلك قال: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[(٢)].

فالإعلام والدعوة إلى الحق بكل السبل وشتى الوسائل هو من صلب هذا الدين وأساس من أهم الأساسيات فيه.

وإذا كان الغرب في زماننا الحاضر قد حقق تقدمًا في وسائل الإعلام وتقنياته، فإن الإسلام لا يقف حائلاً دون الاستفادة من هذه التقنيات لتكون في خدمة الدعوة الإسلامية، بل إن الدواعي والأسباب كثيرة للبحث عن حل لمسألة هذا التطور الإعلامي، ومن هذه الدواعي والأسباب الكثيرة:

١ - سيادة البث الفضائي القسري.

٢ - توجيه أعداء الإسلام قنوات خاصة للعالم الإسلامي لبث الشكوك والشبهات حول دينهم.

٣ - خروج البث التلفزيوني من قبضة الحكومات إلى التجار الرأسماليين الذين لا يفرقون بين حلال وحرام، إنما هدفهم الربح المادي أولاً وأخيراً.

٤ - تصدر البث التلفزيوني والفضائي المنابر التربوية، وهيمنته على الأطر التربوية التقليدية، حتى كاد يلغي تأثير الآباء والمدرسين والخطباء والوعاظ.

٥ - استحالة التصدي الفعلي لمحطات البث الفضائي أو إيقافها أو التحكم فيها من قبل الدول المستقبِلة لها، مما يعني استفحال المشكلة وخروجها عن نطاق التحكم فيها، أو تصفيتها وترشيحها وتنقيتها، أو حجب بعض برامجها.

٦ - بداية عصر الاستقبال الفضائي والمعلوماتي، وفي كل منزل وبيت، بل

---

(١) الأنبياء: ١٠٧ .

(٢) فصلت: ٣٣.

وحتى في كل هاتف، مما يقطع الصلة بالناس المحتاجين للإرشاد والتوجيه والنصيحة؛ ليصبحوا فريسة هينة للشيطان وأتباعه.

إن هذه الأسباب وغيرها لَتَلِحُّ علينا إلحاحاً شديداً يتطلب منا الأخذ بالمعطيات الخيرة للتلفزيون والإعلام بشكل عام معها من كل النواحي الإيجابية، وذلك بأن يتصدى نخبة من علماء أمتنا وعقلائها وفضلائها لهذا الأمر، والوقوف له متعاونين متعاضدين باذلين وسعهم لتتلاقى كل الجهود والخبرات والاختصاصات للتنسيق فيما بينها؛ للتخفيف من آثار الهجمات الإعلامية الشرسة التي تتعرض لها أمتنا.

بعض الحلول المقترحة:

وإن من المناسب والمفيد في هذا الصدد أن نذكر بعض الحلول المقدمة للتعامل الإيجابي مع مسألة الإعلام والحد من آثار الفاسد منه.

ومن هذه الحلول:

١ - إنشاء محطة بث إسلامية عربية تشترك فيها كافة البلدان الإسلامية وتبث لكل بقاع العالم.

٢ - إنشاء شركات إعلامية إسلامية أهلية خاصة مساهمة، تتبنى المنهج التربوي الإسلامي في الإعلام بأصنافه المختلفة.

٣ - العمل على إيجاد منهج تربوي إسلامي جديد يتناسب والعصر الإعلامي الذي نحياه؛ فعن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- أنه قال: ربوا أبناءكم غير تربيتكم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

٤ - الإكثار من المنتديات التي تهتم بعرض الأفلام التسجيلية الصالحة؛ مساهمة في البناء التربوي للشخصية دينيًّا وعلميًّا وحضاريًّا.

٥ - وضع أهداف وغايات متفق عليها بين كافة أجهزة البث الإسلامي والعربي.

٦ - إنشاء قنوات بث إسلامية بمختلف لغات الشعوب الإسلامية.

٧ - إنشاء قنوات بث إسلامية موجهة لغير المسلمين لالتقاطها في كل بقاع الأرض، وتكون موجهة إليهم، كلّ بلغته.

٨ - حث رجال المال والأعمال المسلمين وأهل الخير على البذل للجانب الإعلامي، واعتبار ذلك من باب الجهاد بالمال.

٩ - إنشاء مكتبة مركزية عامة (سمعية وبصرية) حكومية ومؤسسية في جميع المدن والأحياء الإسلامية تساهم في إعارة ونسخ الأفلام والبرامج الجادة المتفقة مع شريعتنا وتقاليدنا.

١٠ - إنشاء مؤسسة إنتاج إعلامية للبرامج التلفزيونية التي تخدم المسلمين، ثم ترجمتها إلى كل اللغات التي ينطقون بها، وكذلك برامج الكمبيوتر الهادفة.

وإن خطابنا بتلك المقترحات، وإن خصَّ أناساً لمواقفهم ودرجة مسؤوليتهم، فإنه يعم كل بني الإسلام، فحاجة المجتمع التربوية والتعليمية والتثقيفية أعظم من أن يتلهى عنها أحد في هذا العصر الذي فَغَرَ فَاهُ ليبتلع الأخضر واليابس بطغيانه وباطله.

هذا هو دور الإعلام الإسلامي، وهذه هي مهمته، وهي في الحقيقة مهمة كل مسلم غيور على دينه، فالإعلام الإسلامي ليس فقط واجب مَنْ يكتبون في الصحف أو يعملون في الإذاعات وأجهزة الإعلام، وإنما واجب كل مسلم ومسلمة، غير أنه يجب على كل إنسان مسلم العمل بحسب قدراته واستطاعته وما أوتي من قدرة وعلم ووسيلة.

فتبليغ الإسلام والإعلام عنه واجب على المسلم في بيته وعمله ومع أصدقائه، وواجب على أئمة المساجد بالأسلوب المفضل واللهجة المستحبة، لا بلهجة الجفاف والغلظة؛ فقد أمر الله- عز وجل- بحسن

عرض القول، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)، وقال تعالى موجهاً أمره للجميع: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٣).

كما أن الإعلام الإسلامي أيضاً واجب على كل العاملين في أجهزة الإعلام الخاصة بالاتصال الجماهيري والمنطلقة من الدول الإسلامية جميعها، لتعبر عن روح الإسلام في الخبر الصادق والإعلان المفيد والتمثيلية الهادفة ذات المستوى الراقي والمضمون المفيد، والبعيدة عن الإسفاف والخلاعة والترخص والابتذال.

أهداف الإعلام الإسلامي الذي ننشده :

إن الإعلام الإسلامي له وظائف وأهداف يرمي إليها لتكوين المفاهيم الصحيحة لدى جماهير المستقبِلين له في كل مكان من أنحاء العالم، ولغرس القيم والمبادئ الصحيحة السليمة التي تفيد الناس في دنياهم، حيث تنظم شؤونهم وأحوالهم المعيشية، وتنظم علاقة البشر بعضهم ببعض، كما تنظم أيضاً علاقة البشر بخالقهم- سبحانه وتعالى- وترشدهم إلى الغذاء الروحي المتمثل في العبادات والتي تؤدي إلى الاستقرار النفسي في الدنيا وإلى السعادة الأبدية الخالدة في الحياة الآخرة.

إن الإعلام الإسلامي الذي ننشده لا تقتصر مسؤوليته على قضايا معينة يحققها لهذه الإنسانية، ولكنه يتدخل في كل قضية من قضاياه بالدور الملائم والمناسب.

فله أهدافه العقائدية: فيبلغها صافية نقية من كل شائبة، ويعمل على

---

(١) النحل: ١٢٥.

(٢) يوسف: ١٠٨.

(٣) البقرة: ٨٣.

ترسيخها وتثبيتها في نفوس المدعوين، ويفند كل الشبهات المعروضة من قبل المفسدين الذين يصدون الآخرين عن الوصول إليها.

وله أهدافه الثقافية: لتعميم الوعي والفقه والفهم، والمعرفة من أجل إيجاد الفرد الصالح السوي، وكذلك يهدف الإعلام الإسلامي، باستخدامه اللغة العربية الفصحى، عبر البث الفضائي، لإعادة الاعتبار للغة العربية، من أجل حفظ هوية الأمة، والسعي لوحدتها، وتعزيز تواصل شعوبها.

وله أهدافه الاجتماعية: الرامية إلى تماسك المجتمع وترابطه، وترسيخ معاني الأخوة والمحبة والإيثار والإخلاص فيه، وغرس روح التعاون على البر والتقوى فيما بينه، وتبدأ أهدافه الإصلاحية بطريقة تصاعدية؛ فيبدأ بالفرد، ثم الأسرة، ثم المجتمع.

وله أهدافه الاقتصادية: الرامية إلى تحسين أوضاع الأمة في الكسب والإنفاق، وترشيدها في الأخذ والعطاء، والحماية من الغش والاحتكار، والتحذير من النهب والاستغلال، والمحاربة للربا وأكل الحرام، وعرض أفضل الطرق وأيسرها للتجارة، وإدارة الأموال دون أن تُوجِد في الأمة ضيقًا وعنتًا، أو تسبب للدولة أزمة وخنقًا.

وله أهدافه السياسية: للتوجيه والإرشاد، والنصح والمشورة، والتسديد والإصلاح، وتوثيق العلاقة وتنميتها بين الحاكم والأمة على أساس من العدل والطاعة والالتزام، والرعاية لمصالح الأمة، والمحافظة على أمنها وحريتها، هذا في الداخل، وتنظيم العلاقات الدولية وتحديد مسارها- سلمًا وحربًا وصداقة ومعاهدة.

وله أهدافه العسكرية: للتوعية والاستنفار ورفع الروح المعنوية في صفوف المسلمين، وللحرب النفسية في الأعداء المحاربين، ثم لكشف

المخططات وفضح المؤامرات، وللإسهام في التعبئة العامة والإعداد الشامل من الناحية الفكرية والمعنوية والروح القتالية.

وله أهدافه الترفيهية: للتسلية والترويح، ولتجديد النشاط وأداء الواجبات والقيام بالمسؤوليات، وهذه من مميزات وخصائص لهو الإسلام، لأنه لهو يريح القلب، ويدخل السرور والمرح على النفس، وفي نفس الوقت يتعلم منه الجد والنشاط في العبادات، وكما روي عن علي- رضي الله عنه: «إن القلوب تملّ كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة». وعنه أيضًا: «روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلب إذا أكره عمي».

تلك هي أهداف الإعلام الإسلامي، وتلك هي غايته النهائية، وهي تحقيق العبودية الخالصة الشاملة في كل شيء في حياة هذا الإنسان لله- عز وجل- كما ذكرها الله- عز وجل- بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(١).

وأخيرًا لابد من التذكير بأن تضافر الجهود الخيّرة، وتآزر الهمم المتطلعة لسيادة الحق وهزيمة الباطل، كفيلة- بعد توفيق الله وتسديده- بأن تصل بالأمة إلى بر الأمان، وامتلاك ناصية الأمر، وتخليص الإنسانية من كابوس طغيان المادة، وتحكم الذين يسيئون لها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

---

(١) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.



ما أن بزغ على هذه البشرية نجم الإسلام، وما أن أضاء الكون بمبعث خير الأنام، سيدنا محمد- عليه الصلاة والسلام- حتى عم الحق والعدل في الأرض كل الجوانب والأركان، وحتى تنفست المرأة الصعداء وبدأت تشعر بشيء من الطمأنينة والأمان، فهي الأنثى التي كانت ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١)، وهي المرأة التي كانوا يعتبرونها من سقط المتاع، لا كرامة لها توزن بها إنسانيتها، فلا وزن لها ولا اعتبار؛ لأنها شيء قليل حقير- عندهم- لا مكانة لها؛ لأنها ليس كالرجال، لا سلطان لها؛ لأنها ليست صاحبة القرار، لا ملكية لها؛ لأنها مملوكة وما ملكت، لا حرية لها؛ لأنها أَمَة مستعبدة، لا تصرف؛ لأنها لا تملك شيئاً، بل تورث، وتُملك ولا تَمْلك، تُوأد حيةً بالقتل والدفن بين الحفر والرمال، وبين أحضان العواصف الهائجة في تخوم الجبال.. وما كان لها من شأن إلا بقايا من دين إبراهيم- عليه السلام- أو بعض مما بقي من مروءات الرجال.. إلى آخر ذلك من الذل والهوان.. وهذه هي امرأة الجاهلية الأولى وبنتها.

المرأة في الإسلام:

إن المرأة في نظر الشريعة الإسلامية هي ذاك المخلوق العظيم الذي يصنع الأمم والأجيال، الذي يلد العظماء، ويقدم الأمراء والكبراء، هو ذاك المخلوق الذي لولاه لم أكن ولم يكن ولم تكن ولم يكونوا ولم يكنَّ، فهي الأم، وهي الأخت، وهي الزوجة، وهي العمة والخالة والجدة، وإن لم تكن كل

---

(١) النحل: ٥٨، ٥٩.

ذاك، فهي لا شك أنها البنت. إن المرأة في نظر الإسلام هي مربية الأجيال، وهي مخرجة الأبطال، وهي المنجم الغني، الذي لا ينضب عطاؤه، ولا ينتهي جوده وسخاؤه، فلذا كان للمرأة حقوق على الرجال أياً كانت صفتها: أماً أو بنتاً أو أختاً أو زوجة، وكل من يقصر في حقها يعتبر آثماً وعاصياً عند الله تعالى، ولعظم مكانتها في الإسلام كانت هناك سورة في كتاب الله تعالى اسمها النساء، في حين لا يوجد سورة اسمها الرجال، ولقد اهتم الإسلام بحقوقهن اهتماماً عظيماً؛ فالنبي ﷺ وردت عنه أحاديث كثيرة في حق النساء، والوصية بهن، وعدم ظلمهن أو التقصير في حقوقهن.

الإسلام كرم المرأة الأم تكريماً عظيماً:

لقد كرم الإسلام المرأة باعتبارها (أُمًّا) يجب برها وطاعتها والإحسان إليها، بل جعل رضاها من رضا الله، وسخطها من سخطه، فهي مربية الأجيال ومصنع الأبطال، وهي تضطلع بأعظم وظيفة على هذه الأرض، فهي تعطي من حنانها وشفقتها الذي فطرت عليه- ولا يوجد مثله عند الرجل- تعطيه لأبنائها، ويبدأ هذا كله من حين ولادة الطفل؛ فإرضاعه الرضاعة الطبيعية هو جزء من مهمة المرأة الذي به تستقيم طبيعتها وتكمل بها شخصيتها وتشبع فطرتها، فالله أشار لهذا الأمر بقوله: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾(١) فأوجب عليهن الرضاع رحمة بالمرأة وحفظاً لحق طفلها الذي به تقوى بنيته وتستقيم فطرته وتكمل شخصيته، فالطفل يحتاج لحنان أمه، يحتاج لشفقة أمه وعطفها، يحتاج إلى من يقوِّم سلوكَه ويهذِّب أخلاقَه ويعدل انحرافَه، ولن يصبر ويقوم بهذه المهمة، إلا أمّه التي تفرغت لأجله وعرفت مهمتها الأساسية.

ولقد أخبرنا ربنا أن الجنة أقرب ما تكون من العبد عند قدمي أمه،

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

وكذلك حرم عقوقها وإغضابها ولو بمجرد التأفف، وجعل حقها أعظم من حق الوالد، وأكد العناية بها في حال كبرها وضعفها، وجعل حقها والقيام به مقدماً على بذل الروح والنفس في سبيل الله- عز وجل- وكل ذلك في نصوص عديدة من القرآن والسنة.

ومن ذلك قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[١].

ولقد جاء مُعَاوِيَة بْنُ جَاهِمَةَ السُّلَمِيِّ- رضي الله عنه- إلى رَسُولِ الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: «**وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**ارْجِعْ فَبَرَّهَا**». ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ الْجَانِبِ الآخَرِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: «**وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا**». ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله وَالدَّارَ الآخِرَةَ. قَالَ: «**وَيْحَكَ! أَحَيَّةٌ أُمُّكَ؟**» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**وَيْحَكَ الْزَمْ رِجْلَهَا، فَثَمَّ الْجَنَّةُ**»[٢]. وهو عند النسائي بلفظ: «**فَالْزَمْهَا، فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا**»[٣].

وتعظيماًلحق ِّ الأم على أولادها، وتقديراً لدورها فقد كان لها النصيب الأوفر من الوصية ببر الوالدين.

وجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهمن أَحَق ُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:

---

(١) الإسراء: ٢٣، ٢٤.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٧٨١) وصححه الألباني.

(٣) رواه النسائي (٣١٠٤)، وصححه الألباني.

«**ثُمَّ أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»(١).

وهناك الكثير الكثير من الأحاديث والآثار التي تدل على فضل المرأة عن تبوئها منزلة الأم.

وقد جعل الإسلام من حق الأم على ولدها، إذا لم يكن لها نفقة، أن ينفق عليها ويتعهدها ويقوم بشؤونها، ولهذا لم نسمع أن أحداً من أهل الإسلام طيلة قرون عديدة ترك أمه في دور العجزة، أو أخرجها ابنها من البيت، أو امتنع أبناؤها من النفقة عليها، أو احتاجت مع وجودهم إلى العمل لتأكل وتشرب، لم نسمع ذلك إلا في عصورنا المتأخرة التي أصبح أهلها يفتخرون بأنهم أعطوا المرأة حقها، وردوا لها كرامتها وعزتها. وقد كرمها الإسلام زوجة وبنتاً وأختاً وعلى كل حال.

إن ديننا لم يكرم المرأة عندما تكون أمًّا فحسب، بل كرمها على كل أحوالها، وبمختلف صفاتها، فلقد كرمها زوجةً، فأوصى بها الأزواج خيرًا، وأمر بالإحسان في عشرتها، بل جعل الخيار من الرجال هم الذين يحسنون معاملة نسائهم، وأخبر أن لها من الحق مثل ما للزوج، إلا أنه يزيد عليها درجة، لمسئوليته في الإنفاق والقيام على شئون الأسرة، وحرم أخذ مالها بغير رضاها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

وقال ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٤).

وقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).

(٢) النساء: ١٩.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) رواه البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨).

(٥) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) وصححه الألباني.

وكرمها بنتًا، فحث على تربيتها وتعليمها، وجعل لتربية البنات أجرًا عظيماً، ومن ذلك قوله ﷺ: **«مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ»** وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[1].

وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ- رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ، كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنْ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[2].

وقوله: «من جِدَته» أي: من غناه.

وكرم المرأة كذلك أختًا وعمة وخالة، فأمر بصلة الرحم، وحث على ذلك، وحرم قطيعتها في نصوص كثيرة، منها قوله ﷺ: **«قال الله تعالى عن الرحم: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»**[3].

وقد تجتمع هذه الأوجه في المرأة الواحدة، فتكون زوجة وبنتًا وأماً وأختاً وعمةً وخالةً، فينالها التكريم من كل هذه الأوجه مجتمعة، ويا له من تكريم ما بعده تكريم.

وبالجملة؛ فإن الإسلام رفع من شأن المرأة، وسوَّى بينها وبين الرجل في أكثر الأحكام، فهي مأمورة مثله بالإيمان والطاعة، ومساوية له في جزاء الآخرة، ولها حق التعبير، تنصح وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله، ولها حق التملك، تبيع وتشتري، وترث، وتتصدق وتهب، ولا يجوز لأحد أن يأخذ مالها بغير رضاها، ولها حق الحياة الكريمة، لا يُعتدى عليها، ولا تُظلم، ولها حق التعليم، بل يجب أن تتعلم ما تحتاجه في دينها.

المرأة عندما تتمرد على فطرتها:

إن الإسلام أعطى المرأة مكانتها ورفع من شأنها كما رأينا، لكن في

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣١).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٦٦٩)، وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٥٩٨٨).

المقابل، فإن الإسلام حذر تحذيراً شديداً من المرأة عندما تتمرد على فطرتها، وتتنكب عن شريعة ربها، وتجعل من نفسها وجسدها فتنة وإغراء للآخرين، وتعمل من حيث تدري أولا تدري على إفساد الآخرين، ولقد كانت فتنة النساء أول فتنة بني إسرائيل، وسبباً من الأسباب التي أدخلتهم في مرادي الخسران والهلاك .ولذا جاء التحذير من فتنتها والأمر باتقاء شرورها كما جاء الأمر بالوصية بها قال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، وإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فينظُر كيفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاء؛ فإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسرائيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»(١).

المرأة طريق أعدائنا لإفسادنا:

لما رأى أعداء الإسلام أن المرأة تملك مجموعة من المواهب الضخمة والقدرات الجديرة بأن تبني أمة أو تهدمها، ورأوا أنها مصنع الأفراد لهذه الأمة وهي التي تعلم وتربي وتنشئ أولوها كل اهتمامهم، ووجهوا إلى جسدها وروحها كل مخططاتهم ومكائدهم.

إنهم لما علموا ذلك وجهوا سهامهم نحوها، وجعلوها هدفا وغرضا. ولأجل ذلك كان رسول الله ﷺ- وهو أرحم الناس بأمته وأشفقهم عليها- قد حذر من ذلك فقال: «**اتقوا الدنيا واتقوا النساء**». ولما اتخذ أعداء الله المرأة غرضاً، كان لزاما أن يبين للنساء بعض أساليبهم وخططهم لإفساد نصف الأمة وأهلها.

هكذا أرادوا وكان لهم ما أرادوا:

إنهم يريدون المرأة متعة مبذولة، يلعقها كل من مر عليها، يريدونها مِلْكاً مشاعًا لكل رجل وعابر سبيل. أخرجوها من بيتها، وعَرُّوها من ملابسها، وخدعوها بقولهم: حسناء جميلة، شريكة الرجل وصديقته، عملت مع الرجل

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢)، والترمذي (٢١٩١).

وخالطته، تلقفتها دور الفن والسينما والأفلام، فزادت عريها فسقاً وعهراً، وأصبحت مصيدة لكل بضاعة لتجذب إليها الزبائن الذكور، وجاورتهم في مكاتبهم سكرتيرة لمدرائهم، وفي كل ذلك يشترطون امرأة حسناء متناسقة الجسم، مثيرة في حركاتها وسكناتها، مهتمة بزينتها وملابسها، تبدي مواضع الزينة وتبرز أماكن الفتنة، جذابة لكل من وقعت عينه عليها.

زَجُّوا بها في أعمال لا تناسب طبيعتها، ولا توافق فطرتها، بل تهين أنوثتها، وتفقدها لطفها ورونقها، فعملت مضيفة تخدم المسافرين، ونادلة في المطاعم للآكلين والشاربين، وموظفة استقبال في فندق وشركة للغادين والرائحين، ولكن بشرط الجمال والشباب والزينة والإثارة.

إن أسواق النخاسة التي كنا نسمع عنها في الماضي، تباع فيها الجواري للمتعة الجنسية الخاصة، لم تصل إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية التي تدَّعي تكريم المرأة والعناية بها، وإعطاءها حقوقها وحريتها من المتاجرة بأجساد النساء، وجعلهن ألعوبة بأيد الماجنين الفاسقين.

لنرجع إلى فطرة ربنا:

واليوم، وبعد طول زمان، عبث العابثون، وطمع الطامعون، خلف هذه الجوهرة المصونة، واللؤلؤة المكنونة بنت الإسلام، فأخرجوها من قعر بيتها، ومكان تشريفها، ولباس حيائها وعفتها وطهرها، وابتكروا لها وسائل متنوعة من العبث واللهو بها، وجعلوها دمية بأيديهم، ومحلاً لشهواتهم الرخيصة، وخدعوها وقالوا: حرروها، وأعروها وجردوها من لباسها وجوهرها، وقالوا: إنهم قدموها وطوروها، قالوا عنها: إنها وردة زاهية نستنشق عبيرها، فصيَّروها لاعبة للكرة تتعرى في النوادي من أجلها، وصيروها ممثلة وفنانة– زعموا– ليتمتعوا بها من خلف الكواليس الشيطانية، وليغروا بها السفهاء والإماء والجاهلين، وصيروها خادمة للركاب في

الطائرات والاستراحات، وتقديم المنافع وربما الفواحش والزنا في الفنادق والبارات.. وجعلوها عارضة للأزياء العالمية والموضات، وجعلوها تاجرة مروجة للسلع والمأكولات وأطباق الحلويات.. ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى..

هذا ما قدمته المدنية العصرية الحديثة للمرأة في عالم التقدم والحرية.

والآن صارت صورة المرأة- فضلاً عن جسدها- تعرض بأرخص الأثمان، تعرض على صفحات الشبكة العنكبوتية بلا خجل أو وَجَل.

نداء لمن اغتروا بحرية المرأة:

يا إخواننا.. يا أبناء جلدتنا.. يا مثقفينا :

إن المرأة يجرحها أن تكون لعبة متداولة، ويُدْمي قلبها أن تصبح متعة متبادلة، ويقتل كبرياءها أن يتذوقها الرجل ثم يقدمها لصديقه ليذوق ما تبقى منها .

إن المرأة يذبح حياءها أن تصير فاكهة المجالس الخاصة، وفاتحة وخاتمة الأمنيات والرغبات، والأهواء والشهوات، ويوضع جسدها العري على صفحات المجلات.

هكذا الغرب حرر المرأة، هكذا الغرب أعطى الحرية للمرأة، أفهكذا نريد أن تكون نساؤنا وبناتنا وزوجاتنا.

وإني أهيب برجال قومي، وحماة عرضي، وعقلاء بلدي، وشرفاء أهلي، وحملة ديني، وأمناء أمتي، وقضاة بلدي، وولاة أمري، أن ينقذوا ما يمكن إنقاذه، وأن يدلوا بدلوهم، ويسهموا بسهمهم، في تدارك الأمر قبل استفحاله، وعلاج داء سَرَى وباؤه، واستئصال ورم عَظُم خطره وظهر أثره، حتى لا تهون المصيبة، وتنتشر الرذيلة، وتُسْتَمرَأُ الفاحشة، وتصغر الخطيئة، وتسمى بغير اسمها، وتُمحى الفضيلة، فلا يبقى إلا رسمها، ويقتل الحياء، فلا يذكر

إلا حلماً، وتفقد الأنوثة فلا نجني إلا شوكاً.

وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن، وإبداء الزينة، وكشف الصدور، والأفخاذ، وما هو أشد؟!

هل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة؟!

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسناوات في الإعلانات والدعايات؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أُهملت ورُميت كأي آلة انتهت مدة صلاحيتها؟!

يا دعاة الحرية للمرأة.. يا دعاة الدفاع عن المرأة.. يا دعاة إعطاء المرأة حقوقها:

لا تدافعوا عن المرأة العربية فحسب، لا تطالبوا بحقوق المحجبات في خلع حجابهن، لا تطالبوا بالدفاع عن المرأة المسلمة التي تطيع زوجها وترضي ربها.

أرجوكم دافعوا عن جنس المرأة في العالم كله، عن المرأة التي أصبحت نادلة في مرقص، تعصر قلبها في الكأس التي تقدمها لرجل عربيد، ثم تعود تسب كل خطوة تقودها كل يوم إلى هناك.

دافعوا عن المرأة الممثلة التي تقبع كل يوم في حضن رجل، مرة في دور أبيها، ومرة في دور عشيقها، ثم تعود لتشيح بوجهها عن المرآة حتى لا ترى آثار قبح ما فعلت مع كيانها الإنساني الذي لم تبق له ملامح تخص أنوثتها ورقتها وعفافها وطهرها.

يا دعاة الحرية للمرأة.. يا دعاة الدفاع عن المرأة.. يا دعاة إعطاء المرأة حقوقها:

ابحثوا عن الفطرة السليمة، للمرأة الرصينة الرزينة، للمرأة الصالحة،

للمرأة الأم والبنت والزوجة والأخت و.. و.. و.. و.

لن تجدوا الفطرة في كتاب قديم أو حديث، ولا في شرق أو غرب أفضل وأسمى وأعز وأكرم مما تجدونه في دين الإسلام؛ لأنه خالق الخلق- سبحانه وتعالى- وبارئهم.. ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

طالبوا بالعودة إلى الفطرة، دافعوا عن المرأة لتعود إلى الفطرة، وستجدون الفطرة تقول لكم :

إن الأنثى الطبيعية تحب أن تنضوي تحت جناح رجل؛ لا ليهينها، ولا ليستذل كرامتها، ولكن ليلبي حاجاتها النفسية القائمة على الرغبة في احترام إنسانيتها، وتقبُّلها كما هي، وحبها، بل وتأكيد هذا الحب باستمرار؛ لتحس بأنها أثيرة في قلبه، وليس واحدة من عشرات العشيقات والخليلات يتسلى بهن متى شاء ويرميهن متى شاء، فلماذا نقلب الحقائق، ونناقض الفطرة؟

يا دعاة الحرية للمرأة.. يا دعاة الدفاع عن المرأة.. يا دعاة إعطاء المرأة حقوقها:

كلنا نحب الحرية، كلنا يعشق الحرية، وإن الإسلام أعطى المرأة حريتها في أسمى معانيها وأجلِّ مراميها، أعطاها الحرية لتتحرر من عبودية المادة، وتنخلع من رق الانحلال والإباحية، وتتخلص من طوق الشهوات المطلقة.

أما الحرية الغربية التي انخدع بها الكثيرون والكثيرات من أبناء جلدتنا فهي الحرية التي لا حدود لها، وهي لا توجد إلاّ في الغابات بين البهائم والحيوانات، ويكفي هذه الحرية مقتاً وسوءاً أن يكون هذا موطنها.

نداء لكل النساء العاقلات:

أخواتي النساء:

لا أحد ينكر فتنة النساء، وأنهن عندما يتبرجن ويخرجن متزينات متطيبات يصبحن معولاً هداماً لأخلاق الرجال، وإفساد دينهم، فهل ترضى الفتاة

المسلمة أن تكون كذلك؟ فهل ترضى من تخاف الله أن تكون أداة للشيطان يزين بها بضاعته من الذنوب والمعاصي والفواحش للناس؟

وإن الفتنة بالنساء إذا وقعت يترتب عليها من المفاسد والمضارّ ما لا يُدرَكُ مداه ولا تُحمَد عقباه، وهي تطال النساء والرجال معاً، بل تطال المجتمع كله، روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»(١).

أيتها النساء:

إن من يتأملِ التاريخ على طول مداه يجد ذلك ويعرف صدق ما نقول، فإن من أكبر أسبابِ انهيار الحضارات وتفكك المجتمعات وتحلل الأخلاق وفساد القيم وفُشو الجريمة، هو تبرج المرأة ومخالطتُها للرجال، ومبالغتُها في الزينة والاختلاط، وخَلوتُها مع الأجانب، بل اقرؤوا إن شئتم ملفات وقصص الجواسيس الذين استخدمهم العدو لصالحه، سترون أن العدو جندهم وابتزهم عن طريق مصيدة النساء العاهرات الفاجرات.

فنأمل من فتياتنا المسلمات أن يكنَّ سدوداً منيعة من العفة والعزة والحشمة ضد كل فجور وتهتك وعري وانحلال، وأن يكنَّ مدارس للتربية والأخلاق والقيم والمبادئ ومعالي الأمور.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).



ماذا أقول.. ومن أين أبتدي..؟؟ وقد دهانا ما يُلجم اللسان، ويفطر الجنان..!!

لا توجد ظاهرة تصم الآذان، وتصدع القلوب مثل هذه الظاهرة الفريدة، والتي يراها ويشعر بها العدو قبل الصديق، ألا وهي **مرحلة الذل والهوان التي تمر بها أمتنا وتتعرض له مجتمعاتنا وشعوبنا.**

فقد أصبح تدنيس المقدسات عند أمتنا شيئاً لا تهتز له قلوب كثير منا، وكأن الصمم أصابهم، والمقدسات ليست لهم، ومما يزيدنا غيظاً أنهم يسارعون إلى استنكار أي حادثة في أي بلد غربي، ويرسلون رسائل التعازي والتضامن والسلوان، ويعلنون الحزن والأسى، ويظهرون الغضب والاستنكار، في حين لا تتحرك شعرة فيهم لانتهاك مقدساتهم، **فهذا الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال في مدينة الخليل** يصبحان ما بين عشية وضحاها - في مرحلة الذل والهوان- تراثاً يهودياً لعصابة الإجرام والإرهاب العالمي، ويدخلان موسوعة الآثار الصهيونية التي لم تغلق بعد، ولن تغلق حتى تأتي على كل المقدسات الإسلامية في فلسطين بما فيها المسجد الأقصى الشريف.

ولكن ماذا فعلنا؟ ماذا صنعنا؟ ماذا قدمنا؟

تنديد، كلام، صياح وصراخ، عويل وضجيج، ثم تهدأ العاصفة، وتوأد القضية ويَنْمحي أثرها.

بل ما زال الكثيرون من الذين يغترون بمعسول الكلام الأمريكي، فهم ما زالوا يصدقون- أو ربما يحاولون أن يجعلوا أنفسهم تصدق- أن اليهود

يمكن أن يصلوا إلى سلام مع الفلسطينيين، أو أن أمريكا يمكن أن تضغط عليهم، وهي التي لم تستطع أن تجعل اليهود يوقفون الاستيطان في الأراضي الفلسطينية المحتلة، مع العلم أن الاستيطان أمر مخالف لقوانينهم الدولية .

ولكن مع كل هذا مازال العرب ينشدون الصلح والمفاوضات والسلام مع اليهود .

أقول لهؤلاء : اسألوا أنفسكم، ثم أجيبوها بصدق: **هل يمكن أن يكون مع هؤلاء اليهود سلام؟**

أما اختراق العدو لبلادنا فأصبح أمراً مكشوفاً، يدخل ويقتل أبناءنا وإخواننا، ويجرم ويعربد، ويزوِّر جوازات سفر، ثم لا تجد ممن نعدهم أصدقاء لنا ما يشير إشارة إلى التنديد بالجريمة، وإنما عتاب فقط وفي العلن فحسب على استخدام جوازات سفر تلك الدول (دون علمها) والله أعلم هل كانوا يعلمون أم لا؟!

أليس هذا وأداً لقضية فلسطين بل ووأداً للأمة وقضاياها ؟

هذا الواقع المرير مع كل ما هو الحال عليه من جدار يغير ملامح فلسطين بأكملها، وحصار يجوع شعباً بأكمله، ومن خطط لجعل فلسطين المحتلة دولة يهودية خالصة، بل ومع هذا كله يجب على العرب والمسلمين الاعتراف بيهوديتها.

أليس هذا وأداً لقضية الأمة في فلسطين ؟

ومع كل هذا الذي يقوم به أعداؤنا، ومع كل الطعنات والضربات والصفعات التي تتلقاها منهم، ترى الإخوة في فلسطين قد انقسموا إلى حركات وأحزاب. فخلاف بين فتح من جهة وحماس والجهاد وغيرهما من جهة أخرى. هذا الخلاف الذي طال أمده وعظم أثره، والعدو الإسرائيلي ينظر ويضحك معجباً بالانتصار الذي حققه بالتفريق بين الإخوة والأشقاء.

وخلاف يقوم به البعض الآخر، يريد إمارة إسلامية داخل غزة، كما فعل

عبد اللطيف موسى من قبل عندما أصبح يكفر حماساً وغيرها، ويستبيح دماء المسلمين، ويعلن دولة من داخل المسجد، ونسي أن هناك عدواً لم يدع جريمة إلا وارتكبها بحق شعبه وأمته هو أولى بتوجيه الحراب والسهام إليه.

هذا غير الانقسامات الأخرى التي لم نعلم بها.

وهذا كله إنما هو من سذاجة بعضنا بأن جعل إخوته في بلده أعداء له، ونسي هو وهم أعداءهم الحقيقيين من اليهود والصهاينة.

أليس هذا وأداً للقضية وقتلا لها من بعض أهلها وأبنائها ؟؟

هدية من العرب لليهود :

ثم يأتي العرب بعد هذا كله ليقدموا هدية للصهاينة على ضمهم الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال إلى تراثهم، وعلى قتلهم المبحوح، وعلى اختراقهم للبلاد العربية وارتكابهم ما يشاؤون من جرائم وفظائع .

قدموا لهم هدية وهي: أن يعودوا للمفاوضات غير المباشرة معهم. وهنا تتبادر إلى الأذهان أسئلة:

ماذا قدمت لهم المفاوضات المباشرة حتى تثمر لهم غير المباشرة؟؟

ماذا جنوا من تضييع الوقت بالمفاوضات إلا ذلاً وهواناً لهم، وزيادة في الطغيان والاحتلال والقتل والجرائم من قبل اليهود؟

أليس جديراً بهم أن يتركوا الكلام والأقوال ويظهروا لعدوهم الأفعال؟؟

لماذا لم يدعوا إلى الجهاد؟ أم يخافون أن يوصفوا بالإرهاب، فهم يخشون الناس أكثر من خشيتهم لله سبحانه وتعالى؟

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

ماذا ينفع القول والخطب جلل ؟

جل الخطب، وعظم المصاب .. وانفض الأحباب.. وتولت الدنيا عن

---

(١) التوبة: ١٣.

سادتها ... على حقارتها .. واستدار الزمان موليًا.. وحل البلاء عادياً.

غير أني أعتذر إلى الله بهذه الكلمات.. وأبرأ إليه بتلك العبارات، فأستذكر كتاب الله وأقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

ولا تحوُّلٌ عن حال، ولا قوة على تَحَوُّل إلا بالله.

وقد علمتُ وعلمتم، أن الإنشاء لا يفك القيد.. ولا يحرر الأرض، ولا يقيم المجد... كما أن ضروب الكلام، لا تبدي ولا تجدي في إحياء موؤود.. ولا في رد مسلوب.. وأن أفانين البلاغة لا تبلغ العلياء.. ولا تدفع الشقاء .. وأي بلاء وأي خطب أعظم وأفجع مما حلَّ بنا.. حتى تحييه الكلمات.. وتبعثه العبارات.

ذل ما بعده ذل:

ولكن إلى متى سنبقى في الذل والهوان غائصين، وفي الغي مكبَّلين؟! أطفال المسلمين يُقتلون، وأعراضهم تُنتهك، وأراضيهم ومقدساتهم تُسلب. يسفك دم المسلمين وكأنَّ قِطاً دُهِسَ على أحد الطرقات، لا أحد يحس بهم، ولا أحد يشعر بمعاناتهم ومشاعرهم.. فقط لأنهم مسلمون. فالكلام والصراخ والعويل لن يُنقذنا، فنحن بحاجة إلى أفعال لا أقوال.

ولله در القائل:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حدهِ الحدُّ بين الجد واللعب

الموؤودة.. هل تعرفون قدرها وحقيقتها؟

أحبتي في الله:

لنتذكر تلك الموؤودة إذا سُئلت: بأي ذنب قتلت..؟!

ليت شعري أي موؤودة هي.. وأي مسلوبة تلك.. التي جل مصابها .. وعظم خطبها..؟؟

إنها ليست فتاةً وضّاء.. أو غادة حسناء .. يحزن لوأدها ذووها، وينتحب

لمصابها أهلوها؟!

إنها ليست امرأة حصينة .. ولا زوجة رزينة.. ضاع بوأدها بَنُوها، وشَقِيَ بفقدها ذووها.. وأظلم بيتها.. ونعاها زوجها، وتلظى بنار فقدها.. واحتمل هول مصابها..؟!!

تالله لو كانت الموؤودة بعض ما سبق لحزنّا وامتعضنا.. واستحق علينا ديننا أن نهب رياحاً.. وندفع نواحاً.. ونضمد جراحاً.. ونواسي مصاباً.. ونصلح معاباً.. وندفع ارتياباً عن هذه الفئات.. ونقيل عنهم تلك النكبات.

غير أن الخطب أعظم.. والمصاب أجل.. وموؤودتنا أكبر من ذلك كثيراً.. ونكبتها أعظم قيلاً..!!

ولله در القائل:

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنــه سهــم وثــانٍ وثالـثُ

إذن من هي تلك الموؤودة..؟؟ وما خبر هذه المسلوبة..؟؟

إنها أمة الإسلام التي تم وَأْدُ عزتها وكرامتها على أرض فلسطين.

فادمعي يا عين..

وتفطَّرْ يا قلب..

وذوبي يا نفس..

واهتف يا لسان : إنا لله وإنا إليه راجعون..!

يالله.. ! يا للعجب ..!! يا للخطب..!! يا للمصاب الجلل في تلك الموؤودة.. وهذه الضائعة المسلوبة..!!

إنها والله لتستحق أن نخط اسمها بدموعنا، ونخضب نحورنا بدمائنا.. ونجود لها بأموالنا وأنفسنا.

إنها أمة الإيمان.. إنها أمة القرآن.. إنها أمة : لا إله إلا الله.

أمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾[١].

أمة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[٢].

أمة: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[٣].

أمة: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٤].

أمة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. ﴾[٥].

أمة: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[٦].

أمة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ ..﴾[٧].

أمة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي.. ﴾[٨].

أمة: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[٩].

أمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[١٠].

أمة: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١١].

أمة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[١٢].

أمة: ﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[١٣].

أمة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾[١٤].

---

(١) المائدة: ٥١.
(٢) البقرة: ٢١٧.
(٣) التوبة: ٣٢.
(٤) الأنفال: ٦٥.
(٥) البقرة: ٢١٨.
(٦) النساء: ١٤١.
(٧) آل عمران: ١٣٩.
(٨) المجادلة: ٢١.
(٩) النور: ٥٥.
(١٠) آل عمران: ١١٠.
(١١) آل عمران: ١٠٣.
(١٢) البقرة: ١٤٣.
(١٣) الأنفال: ١.
(١٤) الأنفال: ٤٦.

أمة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾[١].

أمة: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾[٢].

أمة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾[٣] .

أمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٤].

أمة: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٥].

انظروا.. وأبصروا أي أمة تلك التي وُئِدَت، ونُكِّست أعلامها، وطُمِست معالمها؟!.. إنها أمة الإسلام، وأمة نبي العزة والكرامة محمد ﷺ .

أمة: تَرَكْتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي.

أمة : إن الله يغار وغيرة الله أن تؤتى محارمه.

أمة : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق .

أمة: إني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة .

أمة: ستقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم خلفي يهودي تعال فاقتله.

إنها أمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي..

إنها أمة عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد وصلاح الدين والمظفر قطز..

---

(١) التوبة: ٤١.

(٢) الأنبياء: ١٠.

(٣) الأنفال: ٣٣.

(٤) الجمعة: ٢.

(٥) الحج: ٧٨.

أما الآن فهي أمة استعاضت عن عليائها بِضَعة، وعن رفعتها بذل، وعن كبريائها بخنوع وخضوع .

أمة كانت في مقدمة الركب الحضاري والقيادي، وها هي اليوم كأضعف ما يكون تأخراً وتخلفاً وتقوقعاً.

أحبتي ..

أين نحن من جثث وأشلاء الموتى في الأرض المقدسة.. ؟

أين نحن من الله إن سألنا عن الأمة الموؤودة في فلسطين: «بأي ذنب قتلت»؟

أين نحن من مقدساتنا التي تسلب أمام سمع العالم وبصره، ولكن لا حياة لمن تنادي؟

أين نحن من شهدائنا الذين دفعوا دماءهم وأنفسهم للدفاع من كرامة الأمة وعزتها ومقدساتها؟

لا تحسبن الحق صيحة عاجزٍ الحق عزم صادق وجلاد
الله أكبر يا خلائف أحمد أتضيع أوطان لكم وبلاد
صوني فلسطين الذمار وجاهدي إن العدو عن البلاد يُذاد

جثث.. أشلاء..جدار.. حصار.. سلب للمقدسات.. ألا تحركنا؟

أحبتي في الله..!

لقد فاحت رائحة الشهداء.. تزكم أنوف اليهود، وتعطر أنفاس الباسلين الصامدين من المجاهدين.

فهبوا- يا أمة الإسلام- وتنبهوا من رقادكم، وانفضوا عن أكتافكم غبار الكسل والدعة والراحة، وامسحوا عن أجفانكم آثار النعاس والنوم المقيت، ولا تقنعوا من تفاعلكم مع آلام الأمة في فلسطين وغيرها بالدعاء، فهو لا

يكفي، ولا يصلح الحال بالدعاء ما لم يصحبه عزم وإرادة على التغيير، وذلك هو الإسلام الحق، وهو المنهج الذي تربَّت عليه الأمة من خلال جراح أُحُد وصد الحديبية وحادثة الإفك. لقد اقتضت حكمة الله أن ينصر هذا الدين بالجهد البشري ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾[1].

إسلامنا لا يستقيم عموده بدعاء شيخ في زوايا المسجد
إسلامنا لا يستقيم عموده بقصائد تتلى بمدح محمد
إسلامنا نور يضيء طريقنا إسلامنا نار على من يعتدي

لقد تجمعت الذئاب..، وامتدت المخالب، ونصبت الشباك هناك في أرض الأقصى.. مفاوضات.. طاولات.. تنسيقات أمنية.. صفقات مشبوهة.

جثث.. أشلاء.. قتلى.. جرحى.. طعنى.. موتى.. عرض يُهْتَك.. يهودي يَمْلِك.. مسلم يُقتَل.. حرم يُستباح.. آلام وجرحى .. ثكلى.. موتى .. أرامل.. أيتام .. كهول .. أطفال..

فالله الله في فلسطين.. والله الله لأمة الإسلام.

وا إسلاماه..

وا قدساه..

وا عرباه..

وا صلاحاه..

وا حطيناه..

هل من مغيث؟؟ هل من مجيب؟؟

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول به على الدين النحيب
فحق ضائع وحق مباح فقل وسيف قاطع ودم صبيب
لذوي الكرامة حيث كانوا أجيبوا الله ويْحَكم أجيبوا

---

(١) العنكبوت: ٢.

الخيانة واليهود شيئان متلازمان:

وإذا كانت الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال- كما ورد في الحديث- فإن الخيانة والغدر عناصر خلقت منها قلوب اليهود، فمجزرة غزة مثلاً لم تكن استثنائية، بل تندرج في مسلسل دموي طويل بدأ منذ النكبة عام ١٩٤٨، مروراً بمحطات صراعٍ راح ضحيته الآلاف من إخواننا الفلسطينيين، فتاريخ الصهاينة البغيض منذ أن زرعوا أنفسهم ككيانٍ غاصبٍ على أرضنا العربية يُشهد لهم بدمويتهم، فالصهيونية نفذت أكثر من ثلاثة وثمانين مجزرة بحق الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ استهدفت التطهير العرقي، والاستيلاء على الأرض، فهذه مجزرة دير ياسين في أبريل ١٩٤٨ تشكل ذروة الإرهاب الصهيوني، وتتوالى المجازر والمذابح الوحشية، فتأتي مجزرة قرية مجدل في العام نفسه بعد أن أغارت طائرات العدو الصهيوني على المدينة، فقتلت عدداً كبيراً من أهلها.

وبعدها مجزرة الدوايمة وعيلبون والحولة والدير والبعنة وعرب المواسي ومجد الكروم وأبو زريق وأم الشوف وحيفا وطبرية.. وكلها مدن عربية فلسطينية تمت فيها مجازر صهيونية في عام واحد، وهو عام ١٩٤٨.

وفي العام ١٩٥٥ قام الصهاينة بمذبحة قبية، وفي العام ١٩٧٠ قاموا بمذبحة مدرسة بحر البقر، وكان من ضحايا هذا الحقد الأسود أطفالٌ صغار، وفي عام ١٩٨٢ كانت مجزرة صبرا وشاتيلا اللتان قتلا فيهما ٣٠٠٠ شخص أعزل من النساء والأطفال والشيوخ، بل لم تتوان إسرائيل عن قصف مخابئ تحت الحماية الدولية؛ فهذه قانا الجريحة وعناقيد غضب صهيوني أسود يقتل أكثر من ١٠٦ مدنيين أغلبهم أطفال ونساء، احتموا في مقر لقوات الأمم المتحدة وقد كان ذلك في العام ١٩٩٦.

وأما قضية اغتيال المجاهدين والأبطال، فحدِّث ولا حرج؛ فقد قتلوا من

أبناء فلسطين الأعداد الكثيرة، وسفكوا دماءهم بطائراتهم وصواريخهم وعملائهم.. قتلوا الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي وغيرهم وغيرهم- رحمهم الله جميعاً. وها هم الآن قد اغتالوا **الشهيد محمود المبحوح** -رحمه الله- على أرض عربية إسلامية، استغلوا حرية الدخول إليها، وكرم الضيافة فيها لينفذوا جرائمهم وفظائعهم التي اعتادوا عليها، ولا يستطيعون العيش بدونها، فما هم إلا عصابة الإجرام والإرهاب في العالم.. جمعوهم في هذه البقعة من أرضنا، وأعطوهم ظلماً وزوراً وعدواناً مسمى «الدولة»، مع أن وصفهم لا يتجاوز أن يكون عصابة وحثالة من المجرمين من شتى بقاع الأرض.

فبذلك نعلم أن بين اليهود والغدر صلة رحم لا تنقطع، وقرابة لا تعطل أسبابها.. فكيف نطمئن إليهم ونصدقهم في مواعيدهم ومواثيقهم؟

النداء الأخير للذود عن حياض هذه الأمة:

فيا حكامنا، ويا علماءنا، ويا رجالنا، ويا نساءنا، ويا شبابنا، ويا بناتنا.. يا أمتنا كلها: لتكن من كل واحد منا صنيعة لهذه الأمة وعزتها وكرامتها ..

ليكن من كل واحد منا أفعال تسبق الكلام والأقوال..

لنعد لديننا.. لنعد لجهادنا.. لنقف صفاً واحداً خلف مقاومتنا.. فأعداؤنا لن يرهبونا، ولن يحسبوا لنا أي حساب إذا بقينا قوَّالين لا فعَّالين..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1].

(١) آل عمران: ٢٠٠.

الخاتمة

بعد هذا التجوال في هذه الحقائق نلخص أهم ما جاء فيها وما ينبغي لنا أن نتمسك به فنقول:

إن إرادة الشعوب يجب أن تحترم، وأن يختاروا حياتهم، وألا نبقى في الطابور الخامس، وأن نقول كلمة الحق ولو كانت مُرة.

«كانت تتمارح.. واليوم تتقاتل».. حقيقة تؤكد الفرق بين أحوال الناس في زمن دون زمن.. زمن يكون فيه الود واللعب، ثم يكون هناك اللهو واللعب، ثم القتال والشجار، ثم الود والوصال.. وهو حال الأطفال الصغار.

ثم في حقيقة أخرى نشحذ الهمم نحو القمة، ونطلب من العلماء أن ينصفوا العلم بالتقوى به وأدائه على أحسن وجه.

ثم لم ننس في حقيقة أخرى أن نذكر ببعض الأخطار التي تضرب الأمة والتي قد يغفلون عنها.

ولم ننس أن ننبه على حقيقة نفسية هي: أن الذكاء قد يكون نقمة لا نعمة، وأنه قد يكون طغيانًا إذا لم يهذب.

ومن الحقائق المهمة التي تناولناها حقيقة أهمية الوطن، وأن النفس من حبها له قد تذهب حسرات عليه.

وأخيرا كان لنا حديث عن حضارتنا مهاجرة فمتى وكيف تعود؟؟ وطرق السعادة ، وأهمية الكتاب وأنه لا يغني كتاب عن كتاب، ولا جماعة عن جماعة.

هذا ونسأل الله- سبحانه وتعالى- أن تكون هذه الحقائق جلية واضحة يستفيد منها القاصي والداني والعالم والجاهل إنه السميع المجيب.

وأخيراً أسأل الله تعالى كما وفقنا لتدوين هذه الحقائق وألهمنا تسجيلها أن ينفعنا بها وأن يرزقنا العمل بها.

الفهرس

الموضوع الصفحة



هذا الكتاب



إن الحقائق في حياة الإنسان متعددة ومختلفة؛ منها ما هو معروف، ومنها ما هو خفي.. قضايا متنوعة ومتعددة، وخواطر تخطر علىٰ الفكر والقلب؛ فيُسرع القلم إلىٰ تسجيلها، وينطلق إلىٰ تدوينها بمداده، وتخليدها.

هذه الحقائق هي التي تناولناها واستعرضناها، حيث إنها تشتمل علىٰ مواضيع مهمة وفي غاية الاحتياج.

فمنها ما يتناول:

- بشرىٰ معاشر المسلمين من الآيات والذكر الحكيم، وهي البشارة من الله – تعالىٰ – للمسلمين بالفوز والثبات.
- هكذا تحترم إرادة الشعوب واختياراتهم وحرياتهم، نضرب فيه بعض النماذج للشعوب التي تحترم إرادتها.
- الطابور الخامس في قلب الأمة، وهم المرجفون الذين نسلط عليهم الضوء للحذر منهم.
- كلمة الحق وسنة البلاء، وهي حقيقة نجليها للقارئ بأن سنة الله – تعالىٰ – في الحياة أن أهل الحق معرضون للبلاء.
- الفرق بين أحوال الناس في زمن دون زمن.. زمن يكون فيه الود واللعب، ثم يكون هناك اللهو واللعب، ثم القتال والشجار، ثم الود والوصال وهو كحال الأطفال الصغار.
- ثم في حقيقة أخرىٰ نشحذ الهمم نحو القمة، ونطلب من العلماء أن ينصفوا العلم بالتقوىٰ به وأدائه علىٰ أحسن وجه.
- ثم لم ننس في حقيقة أخرىٰ أن نذكِّر ببعض الأخطار التي تضرب الأمة والتي قد تغفل عنها.



الكويت : ت/٩٩٥٥٧٤٧١ الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦ ص. ب : ٦٦٥٢٠
E-mail: alsamaha_laib@gmail.com